المجلد الثالث من [illegible] مسالك
الابصار عدد ١٩

لفضل العمري

الحمد لله وبه النعم
من عوادي الدهر ونوبه ابو عبد الله ... ابن محمد
واجعوه محمد احمد ابن العلائي ... الحنفي
عامله ربه الخفي بلطفه الجلي والخفي

مسالك الابصار
لفضل الله العمري

الجزء الثالث



قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
الغازي محمود خان وفقه ... عاملين طالع ... وشرط ... ان ...
جعل الله تعالى ثوابه وافر ... احمد شيخ
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما



احمد ... ١٣١

بسم الله الرحمن الرحيم   رب يسر واعن

النوع الثاني في ذكر ممالك الاسلام جملة

ممالك الاسلام واقعة بحمد الله في احسن المعمور شرقا وغربا
جنوبا وشمالا لانها لا تنتهي الى غاية الحر المفرط ولا الى غاية
البرد المفرط الا في ما قل ولا تخرج عن حد المستطاب وسيأتي بيان ذلك
في تحديد كل مملكة وغاية معمور الجنوب مساكن السودان من عباد
النيران والاصنام مما تغلغل من جزائر الهند واطرافه والنصارى باطراف
الحبشة وعباد الحيات والهمج في سودان المغرب جنوب غانة وغاية
معمور الشمال من النصارى والهمج بلاد الصقالبة في شماليها احد
قسمي ايران المسماة بلاد القبجاق وما سامت ذلك الخط من القسطنطينية
وما وراءها الى جليقية والارض الكبيرة وجزائر البحر الرومي وغاية
معمور الشرق من عباد النيران والاصنام ثالث اقسام توران من
بلاد الصين الى المحيط ۞ واما الغرب فانتهى فيه الاسلام الى
البحر المحيط وكلا طرفي الشرق والغرب بلاد صالحة وان لم تكن
الغاية فالغرب الى منتهى الغاية في ممالك الاسلام والصين وان كان
خارجا عن دعوة الاسلام فانه ملك عظيم جليل القدر ضخم الملك
وهو معظم توران ولم يزل لملوك الترك وبه تخت قانهم
وهو الان لقانهم من ابناء جنكزخان وسيأتي ذكره عند
ذكر ابناء جنكزخان فممالك الاسلام واقعة على ما نذكره

فاولها الهند والسند وهو واقع في ممالك الاسلام للشرق
بمحض انحراف الى الجنوب على مسامتة الصين يحدها البحر من جنوبها
وبلاد الكفار من شرقها والاسلام في احد قسمي توران من شمالها ثم احدى
قسمي توران مما يلي الاسلام وهي مملكة تركستان وما وراء النهر
وهي واقعة للشرق بمحض انحراف الى الجنوب يحدها السند من جنوبها
والصين من شرقها وممالك الاسلام منها الثاني وايران من جنوبها
ثم القسم الثاني مما يلي الاسلام من مملكة توران وهي خوارزم
وبلاد القبجاق وهي واقعة في الشمال آخذة الى المشرق يحدها اطراف
الصين من شرقها وبلاد الصقالبة وما يليها من شمالها فاما جنوبها فخراسان
وما سامتها وغربيها الخليج القاطع من بحر الروم على القرم ووراءها
ممالك الاسلام والروم كلها من ممالك الاسلام ثم ايران وهي تلي قسمي
توران المذكورين داخلة كالشعبة الفارقة بينهما وذلك القسمان
متشعبان عليهما مثل كمي السراويل على شعبة يحدها ممالك
الاسلام من كل جهة وفي بعض جنوبها ينتهي الى البحر الفارسي
الآخذ على البصرة وما سامتها وممالك جيلان واللر والشول وشبانكاره
والاكراد وبلاد اتراك الروم كلها في هذا القسم خلا ان اتراك
الروم حدهم الشمال بلاد القسطنطينية ثم يليها مملكة مصر والشام
والحجاز وتلك عمود الاسلام وفسطاط الدين يحدها ممالك الاسلام
من كل جهاتها الاربع منتهية في الجنوب الى اليمن واليمن والحجاز

فاما من جزيرة العرب على ما يأتي تبيينه ثم الى البحر الاخضر على حده الى
ايله وينتهي في الشمال الى البحر الرومي ثم اليمن وهو جنوب الحجاز في نهاية
جزيرة العرب يحدها في جنوبها البحر الاخضر الى الهند ومن شرقها
البحر الاخضر الى حلّه ومن شمالها الحجاز ومن غربها بحر الحبشة ثم
ممالك الاسلام بالحبشة والحبشة متصلة باطراف الواحات آخذة الى الجنوب
يحيط بها بحر الحبشة من شرقها وممالك نصارى الحبش من جنوبها
وكفارهم ثم الصحارى القفار من غربها وشمالها الواحات ثم الكانم
وهو على ضفة النيل على مسامتة دنقلة ثم تليها من وراء برقة مملكة افريقية
يحدها من جنوبها كفار السودان وبقية حدودها منتهية الى ممالك
الاسلام من شمالها البحر الشامي ثم بر العدوة يحدها ممالك الاسلام
من جنوبها بلاد البربر ثم مالي ومن شمالها بلاد افريقية ومن غربها
البحر المحيط ومن شمالها بحر الزقاق الى البحر الشامي ثم بر العدوة
وشرقها القفار ثم يليها مالي وما معها جنوبها غانة وبلاد الكفار
السودان وغربها المحيط وشمالها جبال البربر وبر العدوة وشرقها
القفار ثم يليها مالي وما معها جزيرة الاندلس وهي نهاية
ممالك الاسلام وليست بجزيرة ولكن كالجزيرة يحيط بها من
جانبها الجنوبي البحر الشامي ومن غربها وشمالها البحر المحيط وبقي
شرقها مكشوفا متصلا بالارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة
فلو مشى ماش من نهاية غرب الاندلس عند مخرج بحر الزقاق في

في الجانب الشمالي الى ناحية شرقه انتهى الى الجبل المسمى بهيكل الزهرة
وهو آخر حد الاندلس وفيه الابواب المفتوحة وقد تقدم ذكرها
ثم يمشي الماشي من تلك الابواب الى ان يخرج من شرقي هذا الجبل ويدخل
في الارض الكبيرة ويمشي فيها الى حيث شاء من الارض شمالا او شرقا
وجنوبا لا يقطعه بحر حتى انه اذا اراد مشى على ساحل البحر الشامي وما
هو متصل به حتى ينتهي الى حجزة ثم يدور معها عند حجزة بلاد الشام
على شرقه ثم يدور معه على ساحله الجنوبي حتى يعود الى نهاية
الغرب قبالة المكان الذي بدا منه عند مخرج الزقاق في الجانب الجنوبي
لا يقطعه دون ذلك قاطع ولا يمنعه مانع ٥ واعلم ان الامر في تحديد الاقاليم
العرفية لا يجري في تحديد الدار او البستان ونحوهما لان غالب الدور
والبساتين تكون قطعا مربعة او مثلثة او متساوية الجوانب وليس الامر
في الاقاليم العرفية كذلك فان بعض جوانبها يكون مداخلا لاقليم
آخر وبعضها يكون فيه تقويس وبعض جوانبها اعرض من بعض
والذي يحدد المكان انما يحدده بالجهات الاربع وهي الشرق والغرب
والجنوب والشمال وذلك لا يصفو في الاقاليم العرفية لما ذكرناه
ولو كانت الاقاليم قطعا مربعة او متساوية الجوانب لامكن فيها ذلك
~~ولو كانت الاقاليم~~ فينبغي ان يعرف العذر في التقصير في تحديدها
لاسيما عند من لم يشاهدها وانما نقلها من الاوراق وافواه الرجال
فان عذرا في التقصير اوضح وايضا فان بعض الاقاليم يكون على

على شكل مثلث لجزيرتي الاندلس وصقلية وبعضها يكون ذا خمسة اضلاع
واكثر واقل وسنعدد ذلك بجهاته الاربع على الصحة ٥

ومن ها هنا نشرع في ذكر الممالك مملكة مملكة ٥ وهذا الباب
هو المراد من هذا الكتاب ولسببه الف ولاجله صنف ونحن نأخذ
في هذا الباب على التحرير في اكثر ما عرفنا والتحقيق لاكثر ما لم نعرف
بتكرار السؤال من واحد بعد واحد عما يعلمه من احوال بلاده
وما فيها وما اشتملت عليه في الغالب نواحيها وكنت اسال الرجل
عن بلاده ثم اسال الاخر والاخر لاقف على الحق فما اتفقت عليه اقوالهم
او تقاربت فيه اثبته وما اختلفت فيه اقوالهم او اضطربت تركته ثم
اني اترك الرجل المسؤول مدة اناسيه فيها عما قال ثم اعيد عليه السؤال
عن بعض ما كنت سالت فان ثبت على قوله الاول اثبت مقاله
وان تزلزل اذهبت في الريح اقواله كل هذا لا تردد في الرواية والوثوق
في التصحيح مع اننا اهل بيت وطيفتهم مجمع وفود وموضع كل صادر
ووارد ولم نزل عند ملوك مصر والشام رحم الله من مضى منهم وحفظ
من بقي بابهم المفتوح لكل طارق وسحابهم الممنوح به كل جود دافق
فالسيافي بوابهم اول كل وارد اليهم واخر كل صادر عنهم ومنذ
نيطت بي التمائم الى ان اثبت على العمائم الى ان صرت ركن هذا
الباب وكن هذا السحاب اسال كل وارد على باب سلطاننا
اعز الله نصره من جميع الافاق ووافد استكن تحت لوائه الخفاق
جناح

وما اخذت مع رسول يصل من ملوك الارض في مطارحة حديث ومراوحة
قدم وحسب الا وجربت بذلا ذل السؤال عن بلادهم واوضاع
ملوكها و وظايف الرعايا في سلوكها وما للجنود بها وطبقات ارباب
الرتب العالية من الارزاق ومقدار تفرقة خزاين الاطلاق وكيف
زي كل اناس وما يمتاز به اهل كل طايفة من اللباس على ما يذكر
ذلك ان شاء الله في مكانه وبالله نستعين ومنه نسال التوفيق ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٥

وهذا النوع اربعة عشر بابا

الباب الاول
في مملكة الهند والسند

الباب الثاني
في مملكة جنكز خان

وفيه اربعة فصول

الفصل الاول
في الكلام عليهم جملة

الفصل الثاني
في مملكة القان الكبير صاحب التخت وهو صاحب الصين والخطا

الفصل الثالث
في التورانيين وهم فرقتان

الفرقة الاولى ما وراء النهر

الفرقة الثانية في خوارزم والقبجاق

الباب الاول في مملكة الهند والسند

هذه مملكة عظيمة الشان لا تقاس في الارض بمملكة سواها لاتساع اقطارها وكثرة اموالها وعساكرها وابهة سلطانها في ركوبه ونزوله ودست ملكه وفي صيتها وسمعتها كفاية ولقد كنت اسمع من الاخبار الطائحة والكتب المصنفة ما يملا العين والسمع وكنت لا اقف على حقيقة اخبارها لبعدها منا وتنائي ديارها عنا فلما شرعت في تاليف هذا الكتاب وتتبعت ثقات الرواة وجدت اكثر مما كنت اسمع واجل مما كنت اظن وحسبك ببلاد في بحرها الدر وفي برها الذهب وفي جبالها الياقوت والماس وفي شعابها العود والكافور وفي مدنها اسرة الملوك ومن وحوشها الفيل والكركدن ومن حديدها سيوف الهند وبها معادن الحديد والرصاص والزئبق ومن بعض نباتها الزعفران وفي بعض اوديتها البلور خزائنها موفورة واسعارها رخيصة وعساكرها لا تعد وممالكها لا تحد لاهلها الحكمة ووفور العقل املك الامم لشهواتهم وابذلهم للنفوس

فيما يظن به الزلفى ۵ قال محمد بن عبد الرحيم الاقليشي الغرناطي
في تحفة الالباب والملك العظيم والعدل الكبير والنعم الجزيلة والسياسة
الحسنة والرخاء الدائم والامن الذي لا خوف معه في بلاد الهند والصين
واهل الهند اعلم الناس بانواع الحكمة والطب والهندسة والصناعات
العجيبة التي لا يقدر على مثلها وفي جبالهم وجزائرهم ينبت شجر العود
والكافور وجميع انواع الطيب كالقرنفل وجوز بوا والسنبل
والدارصيني والقرفة والسليخة والقاقلة والكبابة والبسباسة
وانواع العقاقير وعندهم غزال المسك وقط الزباد ويخرج من بلادهم
انواع اليواقيت واكثرها من جزيرة سرنديب ۵ وقد حكى ابن عبد
ربه في العقد عن نعيم بن حماد قال بعث ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز
كتابا فيه من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك والذي تحته بنت
الف ملك وفي مربطه الف فيل وله نهران ينبتان العود والالوة والجوز
والكافور والذي يوجد ريحه على اثني عشر ميلا الى ملك العرب
الذي لا يشرك بالله شيئا اما بعد فاني بعثت اليك بهدية وما هي بهدية ولكنها
تحية وقد احببت ان تبعث الي رجلا يعلمني ويفهمني الاسلام والسلام
يعني بالهدية الكتاب ۵ حدثني الشيخ العارف المبارك بقية السلف
الكرام مبارك بن محمود الانباتي من ولد محمد شاذان حاجب
خاصي نفع الله ببركاته وهو الثقة الثبت وله الاطلاع على كل
ما حكيته لمكانته ومكانة اسلافه من ملوك هذه البلاد ۵

كبارا وصغارا ويجمعها الاعمال والقرى العامرة الاهلة ولا اعرف
ما عدد قراها وانما اعرف ان اقليم القنوج مائة وعشرون لكا كل لك
مائة الف قرية فيكون اثني عشر الف الف قرية . واقليم بلنك وهو شه
وبلتور لكا فيكون ثلثة الاف الف وستمائة الف قرية واقليم مالوه
اكبر من القنوج ولكني لا احرر كم عدد واما المعبر
يشتمل على جزائر كبار كل واحد منها [illegible] جليلة
مثل كولم وفتن والسيلان ومليبار وقال الشيخ مبارك
وعلى لكنوتي مائتا الف مركب صغارا خفافا للسير اذا رمى الرامي
في آخرها سهما وقع في وسطها لسرعة جريانها هذا غير الكبار
ولا تبلغ بعض هذا العدد ومنها ما فيه الطواحين والافران
والاسواق وربما لا يعرف بعض سكانه بعضا الا بعد مدة
لاتساعها وعظمها وحررت من جغرافيا تحقيقا طولها
وهو من الواق واق الى قبالة عدن وعرضها من سرنديب
الى بوار والواقعة غربي فزاقرم ۵ واقول بعبارة ابسط
من هذا واوضح لمن تامل لوح الرسم في الجغرافيا الكاملة
يقول طولها من مخرج البحر الهندي من المحيط في نهاية
الصين في المشرق دون جزيرة المهجر والواق واق
المائلة الى الجنوب اخذا في البحر الى حيث ينعطف مغربا على
جزيرة الموجة ام جزائر الصين مع طول البحر حتى ينتهي

الى فرضة المعرب ثم تمتد من هناك برًا وبحرًا اخذًا في الشمال
الى بوارو غزنى وتراقرص على حد بلاد كشتغد الى حد بلاد
مكران ممتدًا على نهر مكران الى ان يدخل السند
في حد قريب مكرمان ثم ينتهي هناك اقليم الهند في البر
والجزء المتصور وتتصل جزائر في البحر الى قبالة عدن واما
عرضه فمن سرنديب وما هو على سمتها في الجنوب
الى بوارو وما على سمتها في الشمال وحدود هذه المملكة من الجنوب
البحر وما يمتد معه من كورة قراجل ومن الشرق لهاور وكلاور
ومن الشمال بلاد الترك ومن الغرب سانكوت والمفازة
ومدينة دهلي هي قاعدة الملك ثم بعدها قبة الاسلام
وهي مدينة الدواكير جددها هذا السلطان وسماها قبة
الاسلام قال ودهلي في الاقليم الرابع قلت
وهكذا قال الملك المؤيد صاحب حماه رحمه الله في تقويم البلدان
ونقله عمن يعلق به من اهل هذا الشان قال الشيخ مبارك
واما قبة الاسلام فتكون في الثالث وفارقتها وما تكاملت
والى الان عنها ست سنين وما اظنها تكون قد تكملت لعظم
ما حصل الشروع فيه من اتساع خطط المدينة وعظم البناء ه
وان هذا السلطان كان قد قسمها على ان تبني محلات
لاهل كل طائفة محلة الجند في محلة والوزرا والكتاب في محلة

والقضاة والعلما في محلة والمشايخ والفقرا في محلة والتجار والكساب
في محلة وفي كل محلة ما تحتاج اليه من المساجد والمواذن والاسواق
والحمامات والطواحين والافران وارباب الصنائع من كل
نوع حتى الصواغ والصباغين والدباغين حتى لا تحتاج اهل محلة
الى اخرى في بيع ولا شرا ولا اخذ ولا اعطاء لتكون كل محلة
كانها مدينة مفردة قايمة بذاتها غير مفتقرة في شي الى سواها
وليس في هذه المملكة خراب الا مقدار عشرين يومًا مما يلي غزنة
لتجاذب صاحب الهند وصاحب تركستان وما ورا النهر اطراف
المنازعة او جبال معطلة لوعرها مشتبكة ومحصلات تلك من
نبات العطر والافاويه والعقاقير الداخلة في ادوية الطب اعود
نفعًا من الغلات المزدرعة بما لا يقاس قلت
وقد اوقفني الفاضل نظام الدين يحيى بن الحكيم على تاليف قديم في البلاد
وذكر فيه ان جميع قرى الملتان مايه الف قرية وستة وعشرون
الف قرية مثبتة في الديوان وهو ودهلي في الرابع ومعظم
المملكة في الثاني والثالث وكلها فسيحة وبلادها صحيحة الا
مزارع الارز فانها وخيمة وبقاعها ذميمة وحكي في ذلك
التاليف ان محمد بن يوسف الثقفي اصاب بالسند اربعين بهارًا
من ذهب كل بهار ثلاث مايه وثلثه وثلثون منًا قال
ومن بلاد غزنة والقندهار اخر حلة وسالت الشيخ مبارك

كثيف بر الهند وصواحبه فقال لي إن به أنهاراً ممتدة تقارب ألف
نهر كباراً وصغاراً منها ما يضاهي النيل عظماً ومنها ما
هو دونه ومنها ما هو دون هذا المقدار وما هو مثل بقية الأنهار
وعلى ضفات الأنهار القرى والمدن وبه الأشجار الكثيفة
والمروج الفيح وهي بلاد معتدلة لا تتفاوت حالات فصولها
ليست كمفرطي حر ولا برد كأن كل أوقاتها ربيع وتهب بها
الأهوية وتتنسم النسيم اللطيف وتتوالى بها الأمطار مدة أربعة
أشهر وأكثرها في حرارة الربيع إلى ما يليه من الصيف
وبها أنواع من الحبوب الحنطة والأرز والشعير والحمص
والعدس والماش واللوبيا والسمسم وأما الفول فلا يكاد
يوجد فيها ٥ قلت ———— وأظن عدم الفول بها لأنها بلاد
حكماء وعندهم أن الفول يفسد جوهر العقل ولهذا حرمته الصابئة
قال وبها من الفواكه شيء من التين والعنب والرمان
الكثير الحلو والمز والحامض والموز والخوخ والأترج والليمون
والليم والنارنج والجميز والتوت الأسود المسمى بالفرصاد
والبطيخ الأصفر والأخضر والخيار والقثاء والعجور والتين والعنب
هو أقل ما يوجد من بقية هذه الأنواع وأما السفرجل فيوجد
بها ويجلب إليها وأما الكمثرى والتفاح فهما أقل وجوداً
من السفرجل وبها فواكه أخر لا تعهد في مصر والشام والعراق

قال إن هذه المملكة متسعة غاية الاتساع يكون طولها ثلاث
سنين بالسير المعتاد وعرضها ثلاث سنين وعرضها ما بين سومنات
وسرنديب إلى غزنة وطولها من الفرضة المقابلة لعدن إلى سد الإسكندر
عند مخرج البحر الهندي من البحر المحيط متصلة المدن ذوات المنابر والأسرة
والأعمال والقرى والضياع والرساتيق والأسواق لا ينقطع بينها
لهم ولا يتخلل بينها خراب قلت ومما ذكر من هذه المسافة
طولاً وعرضاً نظر إذ لا تفي جميع المعمورة بهذه المسافة اللهم إلا إن
كان مراده أن هذه مسافة من يتنقل فيها حتى يحيط بجميعها مكاناً
مكاناً فيحتمل على ما فيه ٥ قال وفي طاعة هذا السلطان
أهل بلاد قراجل لهم منه هدنة وأمان على قطائع يحمل إليه منهم يتحصل
منها مال وهذا جبل قراجل به سبعة معادن ذهباً يتحصل
منها ما لا يحصى وجميع هذه البلاد براً وبحراً مجموعة لسلطانها القائم
الآن إلا الجزائر المتوغلة في البحر فأما الساحل فلم يبق به قيد شبر إلا
بيده فتح معاقله وملك معاقله وله الآن الخطبة والسكة في جميع هذه
البلاد لا يشاركه فيها مشارك ٥ قال ولقد حضرت معه
من الفتوحات العظيمة ما أقوله عن المشاهدة والعيان على الجملة لا
على التفصيل خوفاً من إطالة الشرح فأول ما فتح مملكة
تلنك وهي واسعة البلاد كثيرة القرى عدة قراها تسع مائة ألف
قرية وتسع مائة قرية ثم فتح بلاد جاجنكر وبها سبعون مدينة

حبليه كلها بنادر على البحر دخلها من الجواهر والفيله والقماش المنوع
والطيب والافاويه ثم فتح بلاد لكنوتي وهي كرسي لسبع ملوك
ثم فتح بلاد دواكير ولها اربع وثمانون قلعه كلها جليلات
المقدار ٥ قال الشيخ برهان الدين ابو بكر بن الخلال البزي
وبها الف الف قريه ومايتا الف قريه ٥ عدنا الى حديث الشيخ مبارك
قال الشيخ مبارك ثم فتح بلاد دورسمند وكان بها السلطان بلال
الديو وخمس ملوك كفار ثم فتح بلاد المعبر وهو اقليم جليل له
تسعون مدينه بنادر على البحر يجي من دخلها الطيب واللاس والقماش
المنوع ولطايف الافاق ٥ وحدثني الفقيه العلامه سراج الدين ابو
الصفا عمر بن اسحق بن احمد الشبلي العوضي من اقليم عوض من الهند
وهو من اعيان الفقها الذين يحضرون حضرة السلطان بدهلي ان امهات
الاقاليم التي في مملكة هذا السلطان ثلثه وعشرون اقليما وهي

اقليم دهلي	واقليم الدواكير	واقليم الملتان	واقليم كهران
واقليم سامانا	واقليم سيوستان	واقليم وجا	واقليم هانسي
واقليم سرستي	واقليم المعبر	واقليم تلنك	واقليم كجرات
واقليم بداون	واقليم عوض	واقليم القنوج	واقليم لكنوتي
واقليم بهار	واقليم كره	واقليم ملاوه	واقليم لهاور
واقليم كلانور	واقليم جاجنكر	واقليم تلنج	واقليم دورسمند

وهذه الاقاليم تشتمل على الف مدينه ومايتي مدينه كلها مدن دواوين سابقة

وهي العنبا والمهوا واللكج والكوبكا والبجكي والبكي
والنغرك وغير ذلك من الفواكه الفايقه اللذيذه فاما
النارجيل وهو المسمى بالجوز الهندي فلاشي يعادله وهو اخضر
مملو بدهنه واما الحمر وهو المسمى بالتمر هندي فهو شجر برى
مملو الجبال والنارجيل والموز بدهلي اقل مما حولها من بلادها
على انه الموجود الكثير واما قصب السكر فانه بجميع هذه البلاد
كثير مستحسن ومنه نوع اسود جافا صلب العيدان وهو اجود ٥
للاستعصار لا للاعتصار وهو مما لا يوجد في سواها ويعمل
من قصبه انواع السكر العظيم الكثير الرخيص من السكر النبات
والسكر المعتاد ولكنه لا يجمد بل يكون كالسميذ السخن وبها
الارز على ما حدثني به الشيخ مبارك بن محمد شاذان على احد وعشرين
نوعا وعندهم اللغت والجزر والقرع والباذنجان والهليون
والزنجبيل وهم يطبخونه اذا كان اخضر كما يطبخ الجزر وله طعم طيب لا
يعادله شي وبها السلق والبصل والثوم والسمار والصعتر
وانواع الرياحين من الورد واللينوفر والبنفسج والبان وهو الخلاف
والنرجس وهو العبهر وبها شجر الحنا وهو الف عنه وكذلك البشرج
ومنه وقد يهم واما الزبيب فلا يشهم الا جليا واما العسل فاكثر
من الكثير واما الشمع فلا يوجد الا في دور السلطان ولا يسمح فيه
لاحد وما لا يحصى من الدواب السايمه من الجواميس والابقار

والاغنام والمعز ودواجن الطير من الدجاج والحمام البلدى والاوز
وهو اقل انواعه واما الدجاج الهندى فيكاد ان يكون كالاوز فى
عظم المقدار وكل هذا يباع بارخص الاسعار واقل الاثمان واما
السمن واللبن على اختلاف انواعه فكثير لا يعبا به ولا له قيمة فيباع
باسواقها من الاطعمة المنوعة كالشوا والارز والمطجن والمقلى والمنوع
والحلوا المنوعة على خمسة وستين نوعا والفقاع والاشربة
ما لا يكاد يرى فى مدينة سواها وبها من اصحاب الصنايع السيوف
والقسى والرماح وانواع السلاح والزرد والصواغ والزراكشة والسراجين
وغير ذلك من ارباب كل صنعة مما يختص بالرجال والنساء وذوى
السيوف والاقلام وعامة الناس ما لا يحصى لهم عدد واما الجمال
فقليلة لا تكون الا للسلطان ومن عنده من الخانات والامرا
والوزرا واكابر ارباب الدولة واما الخيل فكثيرة وهى نوعان
عراب وبراذين والاكثر مما لا يحمد بفعله ولهذا تجلب الى الهند
من جميع ما جاورها من بلاد الترك وتقاد اليها العراب من البحرين
وبلاد اليمن والعراق على ان فى داخل الهند خيلا عرابا كرايمة
الاحساب تتغالى فى اثمانها ولاكنها قليلة ومتى طال مكث الخيل بها
انحلت واما البغال والحمر فمما يعاب عندهم ركوبها ولا يستحسن
فقيه ولا ذو علم ركوب بغلة فاما الحمار فان ركوبه عندهم مثلة
كبرى وعار عظيم بل ركوب الكل الخيل واما الاثقال فخاصتهم

يحمل على الخيل وعامتهم يحمل على البقر يعمل عليها الاثقال ويحمل عليها وهى
سريعة المشى ممتدة الخطا وسالت الشيخ مبارك عن مدينة دهلى
وما هى عليه وترتيب سلطانها فى احوالها فحدثنى ان دهلى مداين جمعت
مدينة ولكل واحدة اسم معروف وانما دهلى واحدة منها وقد صار
يطلق على الجميع اسمها وهى ممتدة طولا وعرضا يكون دور عمرانها
اربعين ميلا وبناؤها بالحجر والاجر وسقوفها بالاخشاب وارضها
مفروشة بحجر ابيض شبيه بالرخام ولا يبنى بها اكثر من طبقتين
وفى بعضها طبقة واحدة ولا يفرش بالرخام الا السلطان قال
الشيخ ابو بكر بن الخلال هذه دور دهلى العتيقة فاما ما اضيف
اليها فبغير ذلك قال وجملة ما يطلق عليه الان اسم دهلى احد وعشرون
مدينة وبساتينها على استقامة كل خط اثنا عشر ميلا من ثلث
جهاتها فاما الغربى فعاطل لمقاربة جبل لها به وفى دهلى الف مدرسة
وبها مدرسة واحدة للشافعية وسايرها للحنفية ونحو سبعين مارستانا
وتسمى بها دور الشفا وفيها وفى بلادها من الخوانق والربط نحو
الفين مكانا وبها الديارات العظيمة والاسواق الممتدة والحمامات
الكثيرة وجميع مياهها من ابار محتفرة قريبة المستقى اعمق ما يكون
سبعة اذرع عليها السواقى واما شرب اهلها فمن ماء المطر فى احواض
وسيعة تجتمع فيها الامطار كل حوض يكون قطره علو سهم او
ازيد وبها الجامع المشهور المادنة التى قال انه ما على بسيط

الارض لها شبيه في سمكها وارتفاعها قال الشيخ برهان الدين الحلال
البزي الصوفي ان علوها ستمائة ذراع في الهواء قال
الشيخ مبارك واما قصور السلطان ومنازله بدهلي فانها خاصة
لسكنه وسكن حرمه ومقاصير جواريه وحظاياه وبيوت خدمه
ومماليكه لا يسكن معه احد من الخانات ولا من الامرا ولا يكون
به احد منهم الا اذا حضروا للخدمة ثم ينصرف كل واحد الى بيته
ويحضرون مرتين في كل نهار في بكرة كل يوم وبعد العصر منه
وترتيب الامرا على هذه الانواع اعلاهم قدرا الخانات ثم الملوك ثم
الامرا ثم الاصفهسلارية ثم الجند وفي خدمته ثمانون خانا
او اكثر وعسكره تسع مائة الف فارس من هولا من هو بحضرته ومنهم
في ساير البلاد تجري عليهم كلهم دواوينه ويشملهم احسانه
وعساكره من الاتراك والخطا والفرس والهند ومنهم البهالوين
والشطار ومن بقية الانواع والاجناس كلهم بالخيل المسومة
والسلاح الفايق والتجمل الظاهر الزايد وغالب الامرا والجند
يشتغل بالفقه ويتمذهبون خاصة واهل الهند عامة لابي حنيفة
رضي الله عنه وله ثلاثة الاف فيل محققة تلبس في الحروب
البركصطوانات الحديد المذهب واما في اوقات السلم فتلبس
جلال الديباج والوشي وانواع الحرير وتزين بالقصور والاسرة
المصفح وتشد عليها البروج من الخشب المسمرة ويتبوا بها

رجال الهند مقاعد للقتال ويكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة
رجال على قدر احتمال الفيل وله عشرون الف مملوك اتراك ه
قال البزي وعشرة الاف خادم خصي الف خزندار والف شمقدار
وله مائتا الف عبد ركابية تلبس السلاح وتمشي في ركاب السلطان
وتقاتل رجالة بين يديه وليس يستخدم احد من الخانات والملوك والامرا
والاصفهسلارية احدا الا اذا انقطع لهم الاقطاعات من قبلهم كما هو في
مصر والشام بل ليس يكلف الواحد منهم الا نفسه وعدته من الجند
استخدامهم الى السلطان وارزاقهم من ديوانه وسقي كلما تعين لذلك
الخان او الملك او الامير او الاصفهسلار خاص لنفسه والحجاب وارباب
الوظايف واصحاب الاشغال من ارباب السيوف من الخانات والملوك
والامرا الكل بيده من يناسبها على مقدارها فاما الاصفهسلارية
فلا تؤهل منهم احد لقرب السلطان وانما يكون منهم نوع الولاة
ومن يجري مجراهم والخان يكون له عشرة الاف فارس والملك الف
فارس والامير مائة فارس والاصفهسلارية دون ذلك واما
ارزاقهم فيكون للخانات والملوك والامرا والاصفهسلارية بلاد
مقررة عليهم من الديوان ان كانت لا تزيد فانها لا تنقص والغالب
ان تجي اضعاف ما عبرت به ولكل خان لكان كل لك مائة الف
تنكة كل تنكة ثمانية دراهم هذا خاص له لا يخرج منه لجندي
من اجناده شي ولكل ملك من ستين الف تنكة الى خمسين الف تنكة

ولكل امير من اربعين الف تنكه الى ثلثين الف تنكه والاصفهسلارية
من عشرين الف تنكه وما حولها واما الجند فلكل جندي من عشرة
الاف تنكه الى الف تنكه واما المماليك السلطانية فلكل مملوك
من خمسة الاف تنكه الى الف تنكه وطعامهم وكساوهم وعليقهم
والجند والمماليك ليس لهم بلاد وانما ياخذون اموالهم نقدا من الخزانة
واما اولائك فبلاد تلك عبرها قال والان ان لم يزد محصلات
البلاد المقتطعة لهم عن العبرة والا فما تنقص ومنهم من يحصل له قدر
عبرته مرتين واكثر واما العبيد فلكل عبد منهم في كل شهر منان
من الحنطة والارز طعاما لهم وفي كل يوم ثلثة اسيار لحم بما يحتاج اليه
وفي كل شهر عشرة تنكات بيضا وفي كل سنة اربع كساوى ه
ولهذا السلطان دار طراز فيها اربعة الاف قزاز يعمل الاقمشة المنوعة
للخلع والكساوى والاطلاقات مع ما يحمل له من قماش الصين والعراق
والاسكندرية وهو يفرق في كل سنة مائتي الف كسوة كاملة مائة
الف كسوة في الربيع ومائة الف كسوة في الخريف فاما كساوى
الربيع فغالبها من القماش الاسكندري عمل اسكندرية واما
كساوى الخريف فكلها حرير من عمل دار الطراز بدهلي وقماش الصين
والعراق ويفرق على الخوانق والربط الكساوى وله اربعة الاف
زركش يعمل الزركش لما في الحريم ويعمل في مستعملاته وما
يخلع على ارباب دولته ويعطي لنسائهم ويفرق في كل سنة

عشرة الاف فرس عربي من الخيل العراب المسومة منها ما هو مسرج ملجم ومنها
ما هو عري بلا سرج ولا لجام والمسرجات والملجمات على انواع منها
ما هو ملبس ومنها ما هو محلى ثم لتلك الملبسات والمحليات منها ما
هو بالذهب ومنها ما هو بالفضة فاما ما يعطي من الخيل البراذين فانه بلا
حساب يعطي حبشارات حبشارات ويفرق مبينا مبينا وهو على
كثرة الخيل ببلاده وكثرة ما يجلب اليه يتطلبها من كل قطر ويبذل
فيها اكثر الاثمان لكثرة ما يعطي ويطلق وهي مع هذا غالية
الثمن مرتجة المكاسب لمن يتاجر فيها لكثرة المكاسب والعساكر
وجمهرة الحلق ه وحدثني علي بن منصور العقيلي من امرا عرب
البحرين وهو ممن يجلبون الخيل الى هذا السلطان ان لاهل هذه
البلاد علامة في الفرس يعبرون بها بينهم متى ما راوها في فرس اشتروه
بما عسى يبلغ ثمنه ولهذا السلطان نايب من الخانات يسمى امير بن اقطاعه
يكون قدر اقليم عظيم نحو العراق ووزير واقطاعه يكون قدر
اقليم نحو العراق وله اربعة نواب يسمى كل واحد منهم شق ولكل
منهم من اربعين الف تنكه الى عشرين الف تنكه وله اربعة دبيران
اي كتاب سر لكل واحد منهم مدينة من المدن البنادر العظيمة
الدخل ولكل واحد منهم يقدر بلها به كاتب اصغر منهم واضيق
رزقا له عشرة الاف تنكه واما اكابرهم فلهم قرى وضياع ومنهم
من له خمسون قرية ولصدر جهان وهو اسم قاضي القضاة وهو في وقتنا

كمال الدين بن البرهان عشر قرى يكون متحصلها قريب ستين الف تنكة
ويسمى صدر الاسلام وهو اكبر نواب الحكم بالقضا ولشيخ الاسلام
وهو شيخ الشيوخ مثله وللمحتسب قرية يكون متحصلها نحو ثمانية
الاف تنكة وله الف طبيب ومايتا طبيب وعشرة الاف بزدار تركب
الخيل وتحمل الطيور المعلمة للصيد وثلثة الاف سواق لسوق تحصيل
الصيد وخمسماية نديم والفان ومايتا نفر من الملاهي غير مماليك
الملاهي وهم الف مملوك برسم تعليم الغنا خاصة والف شاعر من اللغات
الثلاث العربية والفارسية والهندية من ذوي الذوق اللطيف يجري على
هولا كلهم ديوانه وتدر عليهم مواهبه ومتى بلغه ان احدا من ملاهيه غنى
لاحد قتله وسالته عما لهولا من الارزاق فقال لا اعلم من ارزاق
هولا الا الندما فان لبعضهم قريتين ولبعضهم قرية ولكل واحد
منهم من الاربعين الف تنكة الى ثلثين الف تنكة الى عشرين الف تنكة
على مقاديرهم من الخلع والكساوي والافتقادات ٥
قال الشيخ مبارك ويمد لهذا السلطان السماط اوقات الخدم في
طرفي النهار مرتين في كل يوم ويطعم منه عشرون الف نفر مثل الخانات
والملوك والامرا والاصفهسلارية واعيان الجند واما طعامه الخاص
فيحضر معه عليه الفقها ماية فقيه في الغدا والعشا لياكلوا معه ويبحثوا
بين يديه ٥ قال الشيخ ابوبكر بن الخلال البزي سالت طباخ
السلطان كم يذبح في مطابخه كل يوم فقال يذبح الفين وخمسماية

راس من البقر والفين راس من الغنم غير الخيل المسمنة وانواع الطير
قال الشيخ مبارك ولا يحضر مجلس هذا السلطان من الجند
الا الاعيان او من دعته ضرورة الى الحضور لكن عددهم وكذلك
مجالسه الخاصة لا يحضرها جميع ارباب الكلام من الندما والمغاني الا بالنوب
وكذلك ارباب الوظايف مثل الدبيران والاطبا ومن يجري مجراهم لا
يحضرون الا بالنوب واما الشعرا فلحضورهم اوقات مخصوصة في السنة مثل
العيدين والمواسم ودخول شهر رمضان وعندما يتجدد نصر على اعدا او فتوح
من الفتوحات او غير ذلك مما تهنى به السلاطين او يتعرض الى مدحهم
فيه وامور الجند خاصة بل الناس عامة الى امير بك وامور الفقها والعلما
القاطنين والواردين كلها الى صدر جهان وامور الفقرا القاطنين
والواردين الى شيخ الاسلام وامور عامة الواردين والوافدين والادبا والشعرا
القاطنين والواردين الى الدبيران وهم كتاب السر ٥ وحدثني
قاضي القضاة ابو محمد الحسن بن محمد الغوري الحنفي ان السلطان محمد بن
طغلقشاه كان قد جهز شعبان احد كتاب سره الى جهة السلطان
ابي سعيد رسولا وبعث معه الف الف تنكة ليتصدق بها في المشاهد بالكوفة
والعراق في تلك الافاق وكان هذا شعبان خبيث البنية فجمع امواله عازما
على انه لا يرجع الى حضرة مرسله وصادف وصوله وفاة ابي سعيد فتمكن مما قصده
وحضر الى بغداد ومعه نحو خمسماية فرس له ولاصحابه ثم توجه الى دمشق قال
ثم بلغني انه عاد منها الى العراق واقام ببغداد واستوطنها فل

وقد حدثني بحال هذا الفاضل نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم وقال لي
انه راه بدمشق لكنه لم يذكر له بلوغ هذه المصادفة وكذا حكى لي عنه السلمي
والملتانى والبرزى وان تخالفت الفاظهم فمعناها واحد وقال كل
منهم ان هذا بعض ما من الفضلا الاعيان والادبيه الاخيار ٥
قال الشيخ ابو بكر البزي وهذا السلطان ترعد الفرايص لمهابته
وتتزلزل الارض لموكبه وهو كثير التصدي لامور مملكته لامور ملكه وهو يجلس
بنفسه لانصاف رعيته قال خواجا احمد بن خواجا عمر بن مسافر
فيما حكاه عنه انه يجلس لعزاه فيقص الناس عليه جلوسا عاما ولا يدخل
عليه من معه شي من السلاح حتى ولا السكين الا كاتب السر لا غير والسلطان
عنده سلاح كامل حتى التركاش والقوس والنشاب حيث يغدو لا
يفارقه سلاحه قال وهذا دابه دايما ابدا ٥ ولما ركب هذا السلطان
فانه يختلف تارة يكون للحرب وتارة يكون للانتقال في دهلي من مكان الى
مكان وتارة يكون في قصوره واما اذا ركب الى حرب فالجبال سايرة
والرمال سايلة والبحار تدفق والبروق تلمع وامور يعتقد كذبها العيان ويعقل
عن وصفها اللسان وعلى الفيلة من الابراج مدينة او قلعة حصينة ولا يرى الطرف
الا النقع المثار ودجى ليل ممتد على النهار وشعار السلطان اعلام سود
في اوساطها تنين عظيم من الذهب ولا يحمل احد في الاعلام سوادا الا له خاصه
وفي الميمنة له اعلام سود وفي الميسرة اعلام حمر وفيها التنينات الذهب
واما بقية الامرا فلكل واحد يحمل ما يناسبه واما ما يدق للسلطان من الرجحات

في الالف مرة والسفرى ان يدق له مثل الاسكندر ذي القرنين وهو مايتا حمل
نقارات واربعون حملا من الكوسات الكبار وعشرون بوقا وعشرة
صنوج وتدق له النوب الخمس ايضا ويحمل معه ما لا يحصى من الخزاين
وغير ذلك مما لا يكاد يعد من الجنايب ٥ واما في الصيد فانه يخرج
في خف لا يكون معه اكثر من مايه الف فارس ومايتي فيل ويحمل معه
اربعة قصور خشب على ثمان مايه جمل كل قصر على مايتي جمل ملبسة جميعها
ستور حرير سود مذهبة وكل قصر طبقتان غير الخيم والخركاوات
واما في الانتقال من مكان الى مكان للتنزه او ما هذا سبيله فيكون
معه نحو ثلثين الف فارس وهذا العدد من الفيلة والف جنيب مسرجة ملجمة
ما بين ملبس بالذهب ومحلا ومطوق ومنها المرصع بالجواهر واليواقيت
واما ركوبه في قصوره فقال لي الشيخ محمد الخجندي وكان ممن دخل
دهلي واستخدم في الجند بها انه راه وقد خرج من قصر الى اخر وهو راكب
وعلى راسه الجتر والسلاح داريه وراه يحملوا بايديهم السلاح وحوله
قريب اثني عشر الف مملوك جميعهم مشاه ليس فيهم راكبا الا حامل الجتر
والسلاح داريه والجمداريه حمله القماش وقال لي الشيخ مبارك ان
هذا السلطان يحمل على راسه حيث يركب الجتر فاما في خروجه الى الحروب
والاسفار الطويلة فانه يحمل على راسه سبعة جتورة منها اثنان مرصعان
ليس لهما قيمة ولدسته من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهية
والاوضاع السلطانية ما لم يكن مثله الا للاسكندر ذي القرنين

او ملكشاه بن الب ارسلان واما الخانات والملوك والامرا فانه لا يركب
احد منهم في السفر والحضر الا بالاعلام واكثر ما يحمل الخان تسعة اعلام
واقل ما يحمل الامير ثلثه واكثر ما يجر الخان في الحضر عشر جنايب واكثر
ما يجر الامير في الحضر جنيبان ٥ فاما في الاسفار فبهما وصلت قدرة كل
واحد منهم وسعة صدره وكرمه مع انهم اذا حضروا باب السلطان
تتضائل الطموس شموس مواكبهم وتطم بحور سحائبهم وهذا السلطان مع هذا ذو
بر واحسان وتواضع لله تعالى ٥ حدثني ابو الصفا عمر بن اسحق الشبلي
انه راه وقد نزل الى جنازة فقير صالح مات وحمل نعشه على عنقه وله
فضيلة جمة يحفظ كتاب الله تعالى وكتاب الهداية في مذهب الامام ابي حنيفة
رضي الله عنه ويحب في المعقول ويكتب خطا حسنا وله يد متمهدة في الرياضة
وتاديب النفس والادب ويقول الشعر وينظمه ويستنشده ويفهم معانيه
ويباحث العلما ويناظر الفضلا ويواخذ خصوصا الشعرا بالفارسية فانه
عالم بها وهو بها عارف بشعرائها قال ولقد سمعته يبحث في معنى تقدم
الامس على اليوم من ابي قبيل هو لا يفهم لولا ان التقدم اما ان يكون بالزمان
او بالرتبة او بالذات وهذا لا يجوز ان يكون واحدا من هذه الاقسام وقرر
ان قولهم ينقض بهذا لان الامس يتقدم لا بشي من هذا قال ولقد رايته
ياخذ باطراف الكلام على كل من حضر على كثرة العلما قال والعلما
تحضر مجلسه وتفطر في شهر رمضان عنده ويامر صدر جهان كل ليلة
واحدا ممن حضره ان يذكر نكتة ثم يتجاذب الجماعة اطراف البحث فيها

بحضرة السلطان وهو كواحد منهم يتكلم معهم ويبحث بينهم ويورد
عليه وهو ممن لا يرخص في محذور ولا يقر احدا على منكر ولا يتجاسر
احد ان يتظاهر في بلاده بمحرم واشد ما ينكر على الخمر ويقيم
الحد فيه ويبالغ في تاديب من يتعاطاه من المقربين اليه ٥
حدثني السيد الشريف تاج الدين بن ابي المجاهد الحسن السمرقندي
ان بعض الخانات الاكابر بدهلي كان يشرب الخمر ويدمنها ويصر
عليها وكان ينهى فلا ينتهي فغضب عليه هذا السلطان غضبا شديدا
وامسكه واخذ امواله فكان جملة ما وجد له اربع مائة الف الف
مثقال وسبعة وثلثون الف الف مثقال ذهبا احمر ٥ وفي
هذه الحكاية كفاية في مبالغته في انكار المنكر وفي سعة اموال هذه
البلاد فان هذا المبلغ اذا حسب بالقناطير المصرية كان ثلثة واربعين
الف قنطار وسبع مائة قنطار ذهبا وهذا ما لا يكاد يدخل تحت حصر
ولا احصا ٥ وحكى لي هذا الشريف حسن السمرقندي
وهو ممن جال الارض وجاب الافاق عن اموال هذه البلاد ما تحار العقول
فيه من مثل هذا واشباهه ٥ وله من وجوه البر والصدقات ما
يسطر الدنيا في صحايف حسناتها ويترك الايام في غرر جبهاتها
سمعت منه احاديث جملتها ما علمت تفصيلها حتى حدثني الشيخ
المبارك مبارك ان هذا السلطان يتصدق في كل يوم بلكين
لا اقل منهما يكون عنهما من نقد مصر والشام الف الف وستمائة

الف درهم في كل يوم وربما بلغت صدقته في بعض الايام خمسين لكا
ويتصدق عند رؤيته كل هلال من كل شهر بلكين عادة دائمة لا يقطعها
وعليه راتب مستمر لاربعين الف فقير لكل واحد منهم في كل يوم درهم
واحد وخمسة ارطال خبز قمح او ارز وفترا الف فقيه في مكاتب ارزاقهم
على ديوانه تعلم الايتام واولاد الناس الفقراء والكتابة ولا يدع بدهلي
سائلا يستعطي الناس بل كل من استعطى منع من هذا واجري عليه ما
يجري على امثاله من الفقراء فاما احسانه الى الغرباء ومن يوصله فما يكاد
يخرج عن حد التصديق ٥ حدثني الفاضل نظام الدين ابو الفضائل
يحيى بن الحكيم الطياري قال كان عندنا بالاردو في خدمة السلطان
ابي سعيد رجل اسمه عضد بن قاضي يزد يروم الوزارة ولا يؤهل لها ولا يعد
من اكفائها فلا يزال يشغب على الوزرا ويغتن من اهل الاردو
فاتفق رايهم على ابعاده فبعثوه رسولا الى دهلي برسالة مضمونها السلام
والوداد والسؤال والافتقاد وعملوا هذا صورة ظاهره لابعاده
وكان قصدهم ان لا يعود فلما حصل بدهلي وحضر في حضرة هذا
السلطان وادى الرسالة اقبل عليه وشرفه بالخلع والعطا واحله من كنفه
في محل الرحب والسعة واطلق له جملا من المال ثم لما اراد الانصراف
عائدا الى مرسله قال له ادخل الى الخزائن وخذ ما شئت وكان هذا
السيد عضد رجلا ذاهبه فلما دخل الخزائن لم ياخذ سوى مصحف واحد فسمع
السلطان بهذا فاعجبه وقال له لاي شي ما اخذت الا هذا المصحف

فقال لان السلطان قد اغناني بفضله ولم اجد اشرف من كتاب الله
فازداد اعجابه بفعله وبكلامه ووقع منه موقع الاستحسان واعطاه
مالا جما منه ما هو خاص بنفسه ومنه ما هو معه لابي سعيد على سبيل
المهاداة وكان جملة ما اتصل اليه منه مما هو لابي سعيد وما هو له ثمان
مائة تومان التومان عشرة الاف دينار رائجا الدينار ستة دراهم فيكون
هذا المبلغ ثمانية الاف الف دينار رائجا عنها ثمانية واربعون الف
الف درهم فلما عاد بهذا المال المعهود خشي ان يوخذ في الاردو منه
بفرقة اسبابها وغيبة عن العيون وكان امير احمد بن جوا جارشنيك
وهو الوزير وقد وقع له امر اقتضى اخراجه من الاردو وروعي له مكان
اخيه الوزير غياث الدين محمد وكتب له بان يكون امير الابلكاه ومعنى
هذا انه يحكم حيث حل من المملكة حتى على حكامها فصادف في طريقه هذا
السيد عضد فاخذ منه شيئا كثيرا احتمل انه عمل منه علو جمل من اواني
الذهب والفضة ليقدمها الى ابي سعيد والخوابين واحسبه سلم له الى العود
الى الاردو وقد حل الموت ثم مات ابو سعيد والسيد عضد وتقضت تلك
الايام وذهب الذهب ولم يغن احدا ما كسب ٥ قال ابن الحكيم
وهذا السلطان صاحب دهلي كرمه خارق واحسانه الى الغرباء عظيم
قصده بعض الفضلا من بلاد فارس وقدم اليه كتبا حكمية منها الشفا
لابن سينا واتفق انه لما مثل بين يديه وقدمها له احضر اليه جمل جليل
من الجواهر الثمينة فحثا له منه ملء يديه واعطاه له وكان بعشرين الف

مثقال من الذهب هذا غير بقية ما وصله به ٥ وحدثني الشريف السمرقندي
ان اهل بخارا يقصدونه بالبطيخ الاصفر المبقى عندهم في زمن الشتا فيعطيهم
عطا حسنا قال ولقد اهدى اليه واحد اعرفه حمل اليه جملين من البطيخ فتلف غالبه
ولم يصل معه الا اثنان وعشرون بطيخة فاعطاه ثلثة الاف مثقال
من الذهب ٥ قال الشيخ ابو بكر بن ابي الحسن الملتاني المعروف بابن
التاج الحافظ الذي بلغنا بالملتان واستفاض عندنا بها اني سافرت
الى دهلي واقمت بها وجدت هذا ايضا مستفيضا فيها ان هذا السلطان
التزم انه لا ينطق في اطلاقاته باقل من ذلك ٥ وحدثني الخجندي قال
قصدته واتصلت به فانعم علي بالف مثقال من الذهب ثم سال ان كنت
اختار الاقامة او العود فقلت الاقامة فاجراني في جملة الجند ٥
وحدثني الشيخ ابو بكر بن الخلال البزي الصوفي قال بعث هذا
السلطان مع جماعة انا منهم ثلاث لكوك ذهبا الى بلاد ما ورا النهر
لتفرق على العلما لكا منها ويتصدق على الفقرا الكا منها ويبتاع له باللك
الثالث قال فقال لنا بلغني ان الشيخ برهان الدين الصاغرجي
شيخ سمرقند فريد في العلوم والزهد وانه لا يبيت عنده مالا فاعطوه
اربعين الف تنكة يتزود بها الى الملتان ثم اذا دخل بلادنا
جدنا عليه بالاموال ثم قال وان لم يحضر فاعطوا هذا المبلغ لاهله
ليوصلوه اليه اذا جا ويعرفوه باننا نطلبه ليتزود الى الملتان قال فلما
وصلنا الى سمرقند وجدناه قد دخل الى بلاد الصين فاعطينا المال الجارية

وعرفنا هذا بر عنه السلطان منه وحثه في طلبه ٥ وحدثني الفقيه ابو الصفا
عمر بن اسحق الشبلي ان هذا السلطان لا يفارق العلما سفرا ولا حضرا
قال وكنا معه في بعض غزواته فلما كنا في اثنا الطريق جاته من مقدمة
عساكره كتب البشرى بالفتوح ونحن بين يديه فحصل له السرور وقال
هذا ببركة هولا العلما ثم امر ان يحمل الينا من المال فحملوا
من المال ما قدروا عليه ومن كان منهم ضعيفا يستنيب من يحمل من
ذلك المال عنه قال فدخلوا الى الخزانة ولم ادخل انا ولا كثير من امثالي
لاننا لم نكن من تلك الطبقة وحمل اولئك كل واحد كيسين كل كيس
عشرة الاف درهم الا واحدا منهم فانه حمل ثلثة اكياس اثنان تحت
ابطيه وواحد فوق راسه فلما راه السلطان ضحك تعجبا من حرص الذي
حمل الثلاثة وسال عن بقية الجماعة ممن لم يدخل مثلي فقيل له ان
هولا دون اولئك لان اولئك من المدرسين وهولا من المعيدين فامر لكل
واحد منا بعشرة الاف درهم فرقت علينا قال ومنار الشرع
عنده قايم وسوق اهل العلم لديه رائج بشعار الهم بالتوقير والاجلال وهم
في غاية الحافظ على ما يقام به ناموسهم من اصلاح الظاهر والباطن والملازمة
على قراة العلم وانزابه والتحري في كل امورهم والاقتصاد في جميع احوالهم
وهذا السلطان لا يتوانى عن الاجتهاد في الجهاد برا وبحرا لا يثني
عنه عنانه ولا سنانه لا يزال هذا دابه ينصب عينه ودابه ذاته
وقد بلغ مبلغا عظيما في اعلا كلمة الايمان ونشر الاسلام

في تلك الأقطار حتى سطع في ذلك السواد ضوء الإسلام وبرقت في فلك
الأفق بوارق الهدى وهدم بيوت النيران وكسر البدود والأصنام
واجلا البرهمن ليس بسر الأمن هو تحت عقد الذمة واتصل به الإسلام
إلى أقصى المشرق وقابل مطلع الشمس لألاء الصباح المشرق ولوصل رايد
الأمة المحمدية كما قال أبو نصر العتبي إلى حيث لم تصل إليه راية ولا
تليت به سورة ولا آية وعمر الجوامع والمساجد وأبطل التطريب بالأذان
وأسكت المزمزمة بالقرآن وبوأ أهل هذه الملة قمم الكفار وأورثهم
بتأييد الله أمر الهنود ديارهم وأرضا لم يطؤها وهو مع هذا تمد له خافقة
مع كل خافقة ففي البر عقبان الأعلام وفي البحر غربان السفن الجواري
المنشآت كالأعلام حتى إنه لا يخلو يوم من الأيام من بيع آلاف مؤلفة
من الرقيق بها قد الأثمان لكثرة السبي والأخذ حدثني كل هؤلاء
أن الجارية الخدامة لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثمان تنكات واللواتي
يصلحن للخدمة والفراش خمسة عشر تنكة وأما في غير دهلي فإنهن
بأرخص من هذه الأثمان ٥ قال لي أبو الصفا عمر بن إسحق الشبلي
أنه اشترى عبدا مراهقا يفاعا بأربعة دراهم وقس على مثل هذا
قال ومع رخص قيمة الرقيق هو إنه يوجد من الجواري الهنديات من يبلغ
ثمنها عشرين ألف تنكة وأكثر وهكذا قال لي ابن التاج الحافظ
الملتاني قلت وكيف يبلغ الجارية هذا الثمن مع الرخص قال لي
كل واحدة في مجلس على انفراده لحسن خلقها ولطف أخلاقها ولأن

غالب مثل هذه الجواري يحفظن القرآن ويكتبن الخط ويروين الأشعار
والأخبار ويجدن الغناء وضرب العود ويلعبن بالشطرنج والنرد ومثل هذه
الجواري يتفاخرن في مثل هذا تقول الواحدة أنا آخذ قلب سيدي في ثلاثة
أيام وتقول الأخرى أنا آخذ قلبه في يوم وتقول الأخرى أنا آخذ قلبه في ساعة
وتقول الأخرى أنا آخذ قلبه في طرفة عين قال وإن ملاح الهنديات
أكثر حسنا من الترك والقفجاق مع ما يتميزن به من الغنج العظيم والعنق
الفاتن وغالبهن ذهبيات الألوان وفيهن بيض ذوات بياض ساطع
مختلطا بالحمرة وعلى كثرة وجود الترك والقفجاق والروم وسائر
الأجناس عندهم لا يفضل أحد على ملاح الهنديات سواهن لكمال الحسن
والحلاوة وأمور أخرى تدق عنها العبارة ٥ حدثني سراج الدين عمر
الشبلي أنه لا يلبس ثياب الكتان المجلوبة إلى هذه المملكة من الروس والإسكندرية
إلا من لبسه السلطان منهم وإلا فقمصهم وثيابهم من القطن الرفيع قال
تعمل منه ثياب شبيهات بالمقاطع البغدادية ولا كن ابن المقاطع
البغدادية والهندية في نسجها ورقعتها ولطافة سترتها فإن بعضها يوازي
اللواسن في رقعتها مع الصفو والمائية ٥ وحدثني الشيخ مبارك أنه لا يركب
بالسروج الملبسة أو المحلاة بالذهب إلا من أنعم السلطان عليه بشيء منها فإذا
أنعم عليه بشيء من المحلاة بالذهب كان إذنا له في اتخاذ ما شاء منه ٥
وأما عامة ركوبهم ففي الملبس أو المحلى بالفضة ٥ قال والسلطان ينعم
على من في خدمته على اختلاف أنواعهم من أرباب السيف والقلم والعلم

بكل شيء جليل ونوع نفيس من البلاد والاموال والجواهر والخيول والسروج
المحلاة بالذهب والمناطق الذهبية والاقمشة المختلفة الانواع والاجناس
الا الفيلة فانها لا تكون الا له لا يشاركه فيها مشارك من جميع الناس
قال والفيلة لها رواتب كثيرة لعلوفتها لعل هذه البلاد الاف فيل
لا يكفيها الا دخل مملكة كبيرة فسالته كم لها قال تختلف اجناسها
واشكالها وعلى قدر اختلافها علوفاتها ه وانا اقول لك اكثر ما يريد كل
فيل في كل يوم واقل ما يريد اما اكثر ما يريد في كل يوم فهو اربعون رطلا
من رز وستون رطلا من شعير وعشرون رطلا من سمن ونصف حمل حشيش
واما ما يريد سواسها والقومة عليها فجملة كثيرة وامور كثيرة قال وشحنة
الفيلة رجل كبير من اكابر الدولة قال الشبلي يكون اقطاعه قدر اقليم
كبير مثل العراق وهيئة وقوف ملوك هذه المملكة في مواقف الحرب ان يقف
السلطان في القلب وحوله الائمة والعلماء والرماة قدامه وخلفه وتمتد
الميمنة والميسرة موصولة بالجناحين وامامه الفيول الملبسة بالاركصطوانات
الحديد وعليها الابراج المستترة فيها المقاتلة على ما قدمنا القول فيه
وفي الابراج منافذ لرمي النشاب ومرمى قوارير النفط وقدام الفيول العبيد
المشاة في خف من اللباس بالسيوف والسلاح يمشون بحبال الفيول
ويعرقبون الخيول بالسيوف والرماة في الابراج تكشف عليهم من
خلفهم من فوق والخيل في الميمنة والميسرة تضم اطراف الارض على
الاعداء وتقاتل من حول الفيول ودوابها فلا يجد الهارب معاذا

والا من خلا فلا يكاد ينجو احد منهم لاحتياط العساكر المحدقة بهم ووقع
النشاب والنفط من فوقهم وتحت اسنة الرجال لهم من تحتهم ويأتيهم
الموت من كل مكان ويحيط بهم البلاء من كل جهة ولقد تهيأ
لهذا السلطان القائم بها الان ما لا تهيأ لاحد قبله من ملوك هذه المملكة
من النصر والاستظهار وفتوح الممالك وهدم قواعد الكفر وحل عقد
السحر وابطال ما كانت تتعلل به الهنود من الصور والتماثيل ولم يبق
الا ما هو داخل البحار من القليل النادر النادر الذي لا حكم له ولا اعلم
بالم يحفره هذا السلطان حتى يستكمله ويقبل على السيف ما بقي منه فضوعت
ابنية الهند بذكره باطيب من طيبها وحلي زمانه بها على قيمة من
جواهرها وهو اليوم جامع ذيول تلك الاقطار وماسك نطاق البراري
والبحار واذا قيل اليوم سلطان الهند لا يطلق على سواه ولا يصح
هذا الاسم الكريم الا على مسماه قال الشبلي وحقيق على
كل مسلم ان يدعو لسلطان هذا في الله جهاده وذلك معروفه
وتلك سجاياه ه وحكى لي محمد الخجندي ان لهذا السلطان في
كل اسبوع يوما عاما يجلس فيه للناس جلوسا عاما وهو يوم
الثلاثاء يجلس في ساحة عظيمة متسعة الى غاية يضرب له فيها
جتر كبير سلطاني يجلس في صدره على تخت عال مصفح بالذهب
مرصع بالجواهر ويقف ارباب الدولة حوله يمينا ويسارا وخلفه
السلاح دارية والجمدارية ومن حكمه من ارباب الاشغال

الخاصة حكمهم وارباب الوظايف على منازلهم ولا يجلس الا الخانات
وصدر جهان والدبيران يعني كتاب السر بين يديه والحجاب وقوف
وينادي مناداه عامة انه من كان له شكوى يحضر فيحضر كل من
له شكوى او حاجة تسايل السلطان فيها فاذا حضر اوقف بين يدي
النصب ولا يمنع حتى ينهي اليه شكواه ويامر السلطان فيه بامره
واما بقية الايام فانه يجلس ينظر في كل نهار ويركب في
الخانات والملوك والامرا جميعهم الى بابه ومن رسمه ان احدا لا
يدخل عليه بسلاح كبيرا ولا سكين صغير ومن جاه اعتبر قبل
دخوله ودون المكان الذي يجلس فيه سبعة ابواب بعضها داخل بعض
وعلى الباب الاول البراني منها رجل معه بوق فاذا جا احد من
الخانات او الملوك او اكابر الامرا نفخ في البوق اعلاما للسلطان
بانه قد جاه كبير ليكون دايما على تيقظ واستعداد من امره
ومن جا بابه كاينا من كان نزل من الباب الاول البراني
ويمشي الى ان يدخل السبعة الابواب الى حضرة السلطان وسم من شرف
بالاذن له بان يعبر راكبا الى الباب السادس وابدال البوق عملا
الى ان يقارب الداخل الباب السابع ويجلس على ذلك الباب كل
من دخل الى ان يجتمعوا فاذا تكامل المجي اذن لهم في الدخول فاذا
دخلوا جلس حوله من له اهلية الجلوس ووقف سايرهم وقعد القضاة
والوزرا والدبيران كتاب السر وهم الموقعون الى جانب من

المكان لا يقع فيه نظر السلطان عليهم ومدت الاسميط وقدمت الحجاب
القصص ولكل طايفة حاجب يرفع قصصهم وحاجبهم على يده ويقدم
جميع الحجاب القصص الى حاجب صاحبه وهو الحاجب الخاص المقدم
على الكل فيعرضها على السلطان ثم اذا قام السلطان جلس الى كاتب
السر فادى اليه الرسايل بما رسمه السلطان في ذلك بعدها ثم
اذا قام السلطان من المجلس جلس في مجلس خاص واستدعا العلما
فيحضر من له عادة فيجالسهم ويوانسهم ويأكل معهم ويتحدث هو واياهم
وهم بطانته الخاصة ثم يامرهم بالانصراف ويخلو بالندما والمغاني
تارة ينادم بالحديث وتارة يغني لهو وهو على كل حال في المحافل والخلوات
عفيف الخلوة طاهر الذيل يحاسب نفسه على الحركات والسكون
ويراقب الله في السر والعلن لا يرتكب محرما ولا يفسح فيه
قال لي الشبلي حتى انه لا يوجد بدهلي خمر بالجملة ومهو الكافية
لا ظاهرا ولا مضمرا لتشديد هذا الرجل فيه وان كان على من يعانيه
قال مع ان اهل الهند لا رغبة لهم في الخمر ولا في المسكرات
استغنا بالتنبول وهو حلال طيب لا شبهة فيه مع ما فيه من اسنا
ما يوجد في الخمر بعضها وهو انه يطيب النكهة ويصرف الاطعمة ويبسط
الانفس بسطا عظيما ويورثها سرورا زايدا مع ثبوت العقل وتصفية
الذهن ولذاذة الطعم فاما اجزاوه فهو ورق التنبول والفوفل ونورة
بعمل خاصة قال ولا يعجب اهل ملك البلاد كرامة ابلغ منه

فانه اذا اضيف الرجل لاخر واكرمه بما عسى ان يكون من انواع الاطعم
والاشوبه والحلاوات والاشربه والرياحين والطيب ولا يحضر معها
التنبول لا يعتد له بكرامه ولا يعد انه اكرمه وكذلك اذا اراد
الرئيس اكرام احد ممن حضره يناوله التنبول قلت
وهذا نظير مسك الاياق في ممالك اولاد جنكزخان والاياق
هو قدح خمر او تمر يمسكه الكبير لمن اراد اكرامه او الرجل لمن
اراد خدمته وهو ابلغ خدمه عندهم وسياتي بمشية الله تعالى ذكر
هذا في موضعه ٥ حدثني العلامه سراج الدين ابو الصفا عمر
الشبلي ان هذا السلطان متطلعا الى معرفة اخبار ممالكه وبلاده
واحوال من حوله من جنوده ورعاياه وان له ناسا يسمون المنهين
وطبقاتهم مختلفه فمنهم من يخالط الجند والعامه فاذا علم ما يجب
انهاؤه الى السلطان انهاه الى اعلى طبقه منه ثم ينهيها ذلك المنهي
الى اخر الاعلى فالاعلى الى السلطان ٥ واما اخبار البلاد النائيه
فان بين حضرة السلطان وبين امهات الاقاليم اماكن متقاربه بعضها
من بعض شبيهه بمراكز البريد في مصر والشام ولكن هذه قريبة المدى
بين المكان والمكان بقدر اربع غلوات نشاب او دونها وفي كل مكان عشر
سعاه ممن له خفه في الجري يحمل الكتب بينه وبين من يليه اذا اخذ احدهم
الكتاب جرى به جريا قويا باشد ما يمكنه ان يشتد واقوى ما يمكنه
ان يجري الى ان يوصله الى الاخر فيجري به كالاول الى المكان الذي يليه

ويرجع حامله الى مكانه على مهله فيصل الكتاب من المكان البعيد الى المكان
البعيد في اقرب الاوقات اسرع من البريد والنجابه قال وفي كل مكان
من هذه الاماكن المركزه مساجد تقام بها الصلوات وياوي اليها السفار
وبرك ماء للشرب واسواق يباع بها الماكل وعلوفة الدواب فلا يكاد يحتاج
الى حمل ماء ولا زاد ولا خيمه قال ومن جملة عنايه هذا السلطان
جعل بين قاعدتي ملكه وهما دهلي وقبة الاسلام في هذه الاماكن
المعده لابلاغ الاخبار طبولا مخبئا كان في مدينه وفتح باب الاخرى
او غلق يدق الطبل فاذا سمعه مجاوره دق فيعلم خبر فتح المدينه التي هو
غاب عنها وغلقها في وقت الحاضر كل يوم بنوبته ٥ ولهذا السلطان
مهابه تسيطر لها القلوب مع قربه من الناس ولينه في كلامه وحديثه
وكل من اراد الوصول اليه وصل اليه لا يبعده عظم حجاب ولا عموم حجاب
وقد ادر الله في ايامه الارزاق وكثر المواد وضاعف النعم على ان الهند
ما زال موصوفا بالرخا معروفا بالسخا ٥ حدثني الخجندي قال اكلت
انا وثلثه نفر رفاق لي في بعض بلاد دهلي لحما بقريا وخبزا وسمنا حتى
شبعنا بجيتل وهو اربع فلوس ٥ وسأذكر معاملاتهم ثم ذكر
الاسعار عندهم لانها مرتبه على المعامله وبها تعرف ٥ ولقد حكى
الشيخ مبارك قال اللك الاحمر مايه الف تنكه واللك الابيض
مايه الف تنكه الذهب وهي المسماه عندهم التنكه الحمرا المثناه قبل
والتنكه النقره وهي تنكه الفضه ثمانيه دراهم هشتكانيه ٥

وهذا الدرهم الهشتكاني هو وزن الدرهم النقرة معاملة مصر والشام وجوازه
جوازه لا يكاد يتفاوت ما بينهما وهذا الدرهم الهشتكاني هو اربعة دراهم
سلطانية وهي المسماة الدكانية وهذا الدرهم السلطاني يجي ثلث درهم
ششتكاني وهو درهم ثالث يتعامل به في الهند وجوازه بنصف وربع
درهم هشتكاني ه ولهذا الدرهم السلطاني نصف يسمى يكاني
وهو جيتل واحد ولهم درهم اخر اسمه دوازدهكاني جوازه بدرهم ونصف
درهم هشتكاني ودرهم اخر اسمه شازدكاني جوازه بدرهمين فجملة
دراهم الهند ستة شازدكاني ودوازدهكاني وهشتكاني وششتكاني
وسلطاني ويكاني اصغرها الدرهم السلطاني وهذه الدراهم
الثلاث هما مما يتعامل به والمعاملات بينهم بها داير والاكثر بالدرهم
السلطاني وهو الذي يقلب ربع درهم من نقد مصر والشام وهذا الدرهم
السلطاني هو ثمانية فلوس والثمانية فلوس هي جيتلان كل جيتل اربعة
فلوس فيكون الدرهم الهشتكاني الذي هو مثل درهم النقرة معاملة
مصر والشام اثنين وثلثين فلسا ورطلهم يسمى سير وهو وزن سبعين مثقالا
عنها بصنجة الدراهم بمصر فانه ستة ودرهمان وثلثان
وكل اربعين سيرا منا واحد ولا يعرف عندهم الكيل
واما الاسعار فان اوسطها القمح كل من بدرهم ونصف هشتكاني
والشعير كل من بدرهم واحد منه والارز كل من بدرهم ونصف
وربع منه الا انواعا معروفة من الارز فانها اغلى من ذلك

والحمص كل منين بدرهم واحد هشتكاني ولحم البقر والمعز سعر
واحد ويباع كل ستة استار بدرهم سلطاني وهو ربع درهم هشتكاني
والغنم كل اربعة استار بدرهم سلطاني والاوز كل طاير بدرهمين هشتكانية
والدجاج كل اربعة طيور بدرهم هشتكاني والسكر كل خمسة استار
بدرهم هشتكاني والنبات كل اربعة استار بدرهم منه وراس من الغنم
الجيد السمينة القابعة بتنكة واجل عنها بثمانية دراهم هشتكانية
والراس البقر الجيد بتنكتين وربما كان باقل والجاموس كذلك
والاكثر ما كلهم لحوم البقر والمعز ه قلت للشيخ مبارك اهذا
لقلة الغنم قال لا ولكن عادة والا فالاغنام لا تعد في
كل قرية في الهند الا بالالاف المؤلفة والدجاج كل اربعة
طيور فائقة بدرهم واحد بالمصري واما الحمام والعصافير وانواع
الطير فباقل الاشياء ثمنا واما انواع الصيد من الوحش والطير بها
فكثير وبها الفنك والكركدن واما فيله النرخ احد
واما زيهم في الملبوس فلبسهم الشاش وثياب الجوخ وثياب الصوف
اذا جلب اليهم يباع باربع الاثمان ولا يلبس الصوف الا اهل العلم
والفقر ويلبس السلطان والخانات والملوك وسائر ارباب السيوف
تتريات وتكلاوات واقبية اسلامية محضرة الاوساط حوائص
وعمايم صغار لا تتعدى العمامة خمسة ستة اذرع من اللانس الرفيع
وحدثني الشريف ناصر الدين محمد الحسيني الكاروني المعروف

بالرشيدي وهو ممن دخل الى الهند مرتين واقام عند السلطان
قطب الدين بدهلي ان غالب لباسهم البياض وغالب جمعات
اكسيتهم التي هي مزركشة بالذهب ومنهم من يلبس مبطن
الكمين بزركش ومنهم من يعمل الطرازين كتفيه مثل
المغل واقباعهم مربعة الابنساط مرصعة بالجواهر وغالب ترصيعهم
بالياقوت والماس وتضفير شعورهم ذوابات مرخية كما كان يفعل
عسكر مصر والشام ويجعل في الذوابات شراريب حرير وتشد
في اوساطهم المناطق من الذهب او الفضة واخفاف ومهامز
واما السيوف فلا تشد الا في الاسفار واما في الحضر فلا تشد
واما الوزرا والكتاب فمثل في الجند ولكن لا يشدون المناطق
وبعضهم يرخي له عذبة امامهم مثل عذبة الصوفية ه
واما القضاة والعلما فلبسهم فرجيات شبيهات بالجندات ودراريع
واما عامة الناس فقمص وفرجيات مقفلة ودراريع ه
وحدثني السلي ان اهل دهلي اهل ذكا وفطنة فصحا في اللسان
الفارسي والهندي ولهم دقة افهام وصفا اذهان وغالبهم
ينظمون الشعر بالفارسي والهندي ومنهم من ينظم الشعر بالعربي
ويجيد فيه النظم وكثير ممن يمدح السلطان منهم ممن ليس
لهم اسم في ديوانه فيقبل عليهم ويجيزهم ه قال
لي السلي واخبرني ان السلطان له عادة ان يجيز اذا تجرد

له فتح او امر كبير ورسمه عليه ان يامر بان يعد له ابيات
قصيدته ويعطي بكل بيت عشرة الاف تنكة وكثيرا
ممن يستحسن السلطان منه شيئا او يعلم له ضرورة فيامر
له بشي مخصوص على التعيين وانما يامر بان يدخل الى الخزانة
ليحمل ما اطاق فلما رايت عجبت مما يحكيه من كثرة هذا
الانفاق والتبسط في المواهب والاطلاق قال وهو مع
هذه السعة المفرطة في بذل العطا لا ينفق نصف دخل بلاده
وحدثني شيخنا فريد الدهر ~~علامة الادبا العلما~~ شمس الدين
الاصفهاني قال كان قطب الدين
الشيرازي رحمه الله يثبت صحة الكيميا قال فبحثت معه
في بطلان الكيميا فقال لي انت تعلم ما يتلف من الذهب
في الابنية والمستعملات ومعادن الذهب لا يحصل منها نظير
ما ينفد ولما الهند فاني حررت ان له ثلاثة الاف سنة
لم يخرج منه ذهب الى البلاد ولا دخل اليه ذهب فخرج
منه والتجار من الافاق تقصد الهند بالذهب العين وتعوض
عنه باعواض حشايش وصموغ لا غير فلولا ان الذهب يعمل
لعدم بالجملة الكافية قال شيخنا شهاب الدين اما
قوله عما يدخل الى الهند من الذهب ثم لا يخرج منه فصحيح
واما اثباته لصحة الكيميا فباطل لا صحة له ه

قال وبلغني ان ممن تقدم هذا السلطان فتح فتوحا فاخذ
منه من الذهب وسوق ثلثة عشر الف بعير قلت
والمشهور عن اهل هذه البلاد جمع الاموال وتحصيلها حتى ان
بعضهم اذا سيل كم معك يقول ما اعرف الا اني ثاني ولد جمع على
ما احبه او ثالث ولد في هذا النقب او في هذا الجب وما نعلم
كم هو وهم يتخذون اجبابا لجمع الاموال ومنهم من ينقب في
بيته ويتخذ به بركة ويسدها ولا يدع الا مقدار ما يسقط منه
الدنانير ليجمع فيها الذهب وهم لا ياخذون الذهب المصوغ ولا
المكسور ولا السبائك خوفا من الغش ولا ياخذون الا الدنانير المسكوكة
وفي بعض جزايرهم من ينصب على سطح داره علما كلما تكامل
لاحدهم جرة ذهب حتى يكون لبعضهم عشرة اعلام واكثر ٥
حدثني الشيخ برهان الدين ابو بكر بن الخلال محمد البزي الصوفي
قال بعث هذا السلطان عسكرا الى بلاد
وهي مجاورة للدواكر في نهاية حدودها واهلها كفار
يدعى كل من ملك منهم الراي فلما نازله جيوش السلطان بعث
يقول لهم قولوا للسلطان انه يكف عنا ومهما اراد من
المال نبعث له ما اراد من الدواب لا حمله له فبعث امير
الجيش يعرفه بما قال فاعاد جوابه بانه يكف عنهم القتال
ويوصله للحضرة معه فلما حضر الى السلطان اكرمه

اكراما كبيرا وقال له ما سمعت بمثل ما قالت فكم عندك من
المال حتى قلت انا نبعث لك مهما اردنا من الدواب لنحملها
فقال تقدم مني سبع ذوات في هذه المملكة جمع كل واحد
منهم سبعين الف بابين اموالا وكلها عندي حاصلة فقال
والبابين هو صهريج متسع جدا ينزل له بسلالم من اربع جهات
فعجب السلطان من مقاله وامر بان يختم على الاموال باسمه فختمت
باسم السلطان ثم امر الراي بان يجعل له نوابا في مملكته
ويقيم هو بنفسه في حضرة دهلي وعرض عليه الاسلام فابى
فاقره على دينه واقام في حضرته وجعل له نوابا في مملكته
واجرى السلطان عليه ما يليق بمثله وبعث الى ملك المملكة
اموالا جمة فرقت على اهله صدقة عليهم لكونهم انتظموا
في عقد رعاياه ولم يتعرض الى البابينات وانما ختم
عليها وابقاها على حالها تحت ختمه ٥ وقد ذكرت هذا
على ما ذكره البزي وهو معروف بالصدق والعهدة عليه
والعايد فيها ان كان يعود فالسبه ٢ ٥
حدثني علي بن منصور العقيلي من امراء عرب البحرين قال
ان سفارنا ما تنقطع عن الهند وعندنا كثير من اخباره
وتواترت الاخبار عندنا ان هذا السلطان محمد بن طغلقشاه
فتح فتوحات جليلة وانه مما فتح مدينة لها خيرة ماء في

وسطها بيت متعبد معظم عندهم يقصد بالنذور وكان
كل نذر يحمل اليه يرمى في تلك البحيرة فلما فتحها قيل له عن
ذلك فشق نهرا من تلك البحيرة وصرف الما منها الى ان نضب
ثم اخذ ما كان هناك من الذهب وحمل منه وسق مائتي فيل
والاف من البقر قال وهو رجل جواد كريم يحسن الى الغربا
سافر مبارك رجلان اليه ومثلتهما السعادة بالحضور عنده فانعم
عليهما وشرفهما بالخلع واجرى عليهما الاموال الجمة وكانا
ممن لا يوبه اليه من غربا ثم خيرهما في المقام او العود
فاختار الواحد منهما المقام فاعطاه بلدا جليلا ومالا جزيلا
وشيئا كثيرا من مواشي الغنم والبقر وهو الان هناك بهم لا
مخولا واما الاخر فسال العود فانعم عليه بثلاثة الاف تنكه ذهبا
واعاده محبوا محبورا

الباب الثاني في ممالك بيت جنكزخان

وفيه فصول

الفصل الاول في الكلام عليهم جمليا

الفصل الثاني في مملكة القان الكبير صاحب التخت وهو صاحب الصين والخطا

الفصل الثالث في التورانيين وهم فرقتان

الفرقة الاولى فيما وراء النهر الفرقة الثانية في خوارزم والقبجاق

الفصل الرابع في الايرانيين

الفصل الاول في الكلام عليهم جمليا

جعلت هذا فصلا جامعا لذكرهم قبل ذكرهم على التفصيل في ممالكهم لان هاولاء منهم اربعة
سلاطين عظما بيد كل منهم مملكة عظيمة استولوا بها على غالب المعمور من حدود
الفرات الى نهاية الشرق على الخط المستقيم المتصل بالسد فالمسمى منهم بالقان
الكبير هو المتغلغل في الشرق منهم وهو القايم مقام جنكزخان والجالس على تخته وسياتي
ذكره ان شا الله تعالى والثاني منهم هو صاحب ايران بمجموعها وهي التي كانت
بيد الاكاسرة والثالث منهم هو صاحب القبجاق والرابع منهم صاحب
مملكة ما وراء النهر فاما الثلاثة القان الكبير وصاحب القبجاق وصاحب ما
وراء النهر فانقسمت بينهم مملكة توران وهي مملكة الترك القديمة وبها كان افراسياب
واما صاحب ايران فهو يفخر على الملكين صاحب القبجاق وصاحب ما وراء النهر بان
جده الاكبر هولاكو بن تولي بن جنكزخان شقيق القان الاكبر منكوقان وارث
تخت ابيهم جنكزخان وهو جد القان الاكبر الان والملكان الاخران يفخران بان

جنكزخان لما قسم البلاد بين بنيه ملك جديهما ولم يملك تولي ولا هولاكو ولده
جد صاحب ايران بل كان هولاكو بن تولي منذ وكا من جهة اخيه منكوقاآن
وارث الملك والتخت حدثني الفاضل نظام الدين ابو الفضايل يحيى بن الحكيم
نور الدين عبد الرحمن الطياري الكاتب البوسعيدي انه كان ارسله لدفع الاسماعيلية
والاكراد فلما اخذ بغداد تمكن وعصا واستقل بنفسه والواضح الجلي ما سنذكره
عن شيخنا الوزير نادرة الوجود ابي الثنا الاصفهاني ان شا الله في ذلك

واما اصل جنكزخان جد هاولاء الملوك في النسب فنحن نذكر
من منتهى نسبهم الى ان ناتي الى جنكزخان منبعهم ومشرع الرياسة لهم
ثم منه نفرع نسب كل ملك من هاولاء الاربعة فنقول وبالله التوفيق
ان جنكزخان ينتهي نسبه الى امراة تسمى الان قوا كانت متزوجة بزوج
اولدها ولدين اسم احدهما بكنوت والاخر بلكتوت وابنا هذين الولدين يسميان
عند المغل الدرلكيه ثم مات زوجها وبقيت مرملة بغير زوج فحملت فانكر
عليها الحبل وحملت الى من له الحكم بينهم لينظر في امرها فسالها ممن حملت فقالت
ما حملت من احد الا اني كنت قاعدة وفرجي مكشوف فنزل نور ودخل في فرجي
ثلث مرات فحملت منه بهذا الحمل وانا حامل بثلاثة ذكور لان دخول ذلك النور
كل مرة بولد ذكر فامهلوني حتى اضع فان وضعت ثلثة ذكور فاعلموا مصداق
قولي والامر اليكم فيّ فولدت ثلاثة اولاد ذكورا في بطن واحد بوقن قوناغي
وبوسن سالجي وبودنجر وهولاء الثلاثة هم المسمون بالنورانيين
نسبة الى النور الذي ادعت امهم انه نزل في فرجها ولهذا يقال عن جنكزخان

انه

انه ابن الشمس وبودنجر عليه عمود النسب الى جنكزخان فنقول ان هذا بودنجر
ابن الان قوا اولد بغا وبغا اولد ذوتومنن وذوتومنن اولد قيدو
وقيدو اولد باي سنقر وباي سنقر اولد تومنيه خان وتومنيه خان
اولد قبل خان وقبل خان اولد بيسوكي بهادر وبيسوكي بهادر اولد جنكزخان
جد هاولاء الاربعة ونحن الان نسرد نسبه منه الى الان قوا قبل ان نفرع
انساب هاولاء الاربعة منه فنقول جنكزخان بن بيسوكي بهادر بن برتان
ابن قبل خان بن تومنيه خان بن باي سنقر بن قيدو بن ذوتومنن بن بغا
ابن بودنجر بن الان قوا الى هذه المراة منتهى نسبهم وهذه الحكاية في نسب
جنكزخان اكذوبة قبيحة واحدوثة غير صحيحة وان صحت عن المراة فلعلها
احتالت على نفسها من القتل ولعلها سمعت قصة مريم الزكية فتعلقت بحبل
الشبهة حتى اضلت اقواما بشبيه ذلك الحق وزورت كذبا على مثال ذلك
الصدق قد يشبه الشي من شي يشابهه ان السما نظيرا الما في الزرق

وها نحن نبدا بذكر نبذة من ابتدا حال جنكزخان وترقيه
الى ان ملك ودانت له ملوك تلك الديار فنقول حكى لي صاحب علا الدين عطا ملك
الجويني انه كان ملك عظيم في قبيلة عظيمة يدعا اونك خان وكان مطاعا في قبيلته
ينقاد اليه عظما رعيته فتردد اليه جنكزخان في حال صباه وقربه واداناه
وتوسم فيه النجابة والرياسة فزاد على قرباه واعلاه على من سواه حتى نشا
بينهما الاتحاد وانتسج الوداد فشبت نار الحسد في اقربا ذلك السلطان
ونفخ في روعهم مخيل الشيطان ان وضعوا لجنكزخان المراصد والمصايد

ودفنوا له الاوابد والمكايد واعملوا الفكر في قطع حبل اتصاله عنه ووضع
موجبات قتله وانفصاله منه فلما بالغوا في الوقيعة واسرفوا في الغيبة
والشنيعة تغير اونك خان على جنكزخان تغيرا لم يظهره واستر كدرا
لم ينفه وجمع نكرا في ذنب ياخذه به او ينحله او جرم ينقوله واستشار
فيه اصحابه وجعل التوقع لذلك دابه فاتفق ان سخط اونك خان على
صبيين من مماليكه فخافاه والتجيا الى حوزة جنكزخان واستجاراه فاحسن
اليهما وحنا عليهما ووعدهما ازالة كدر السلطان وتلافي ما كان
فانطقهما لسان الاحسان بهذه

اذا النجم المقدار حبل سعادة اتاك جميع الكائنات مساعدا

واذا اجرى القضاء على صعب سهله واذا اراد الله لامر هياك له وقالا
له ان السلطان اونك خان يتوقع لك الوقيعة ويتربص لك الاجن
الشنيعة فخذ حذرك واصلح امرك فرحل من ليلته باتباعه وجماعته
ودهمه اعداوه سحرا فلم يجدوا له اثرا ولا عرفوا له خبرا ونفر العسكر يتلوه
فلم يلحقوه وقيل بل لحقوه فعطف بجماعته اليهم وقاتلهم حتى اتى عليهم وغنم
مالهم فلما جمع اتباعه واقاربه واعز مقامه وحمى جانبه ورتب رجاله واله وبذل
لهم قوته وماله وخص باحسانه ذينك الصغيرين دون الناس وانزلهما منزلة
العظيمين من الناس وسمى كلا منهما ترخانا وكتب له امانا وفرمانا بفراغه
من جميع الكلف ونفرغه لانتهاز الفرصة وانتطاف الطرف وان ينهب في الفتوح
نهب كل ناهب ويسلب سلب كل سالب ويدخل على بده عامة البيوت فلا يمنع ويحكم
المؤن و

فلا

فلا يدفع وان لا يؤخذ بذنوب كثيرة ولو تكررت ذنوبه واستمرت عيوبه
واجرى ذلك لجملتهما واحادهما وان يستمر ذلك الى سبعة ابطن من اولادهما
ومن نسلهما الان قوم لا عادية عليهم ولا لوم محترمون عند الملوك جارون
على ذلك النهج المسلوك ثم شرع في الاحسان الى جميع من رحل عن اونك
خان وباعده واتصل به وعاضده وانشى فيهم الانعام وبث فيهم الاعزاز
والاكرام حتى تتالوا اليه افواجا وتواردوا افرادى وازواجا واولادهم
الان اقرب الاخصين واخص الاقربين فقوى بذلك امره وامارته
واشتدت شوكته ومهابته وراسل القواد فانقادت واستمال القلوب
فلانت او كادت فجيش جرد عسكرا كثيفا وتبعا ولفيفا لمحاربة السلطان
اونك خان وامرته ان اجرسلوه فنازلته العساكر الجنكزخانية فقتل في
اقرب امد وملك جنكزخان ما كان له من عدة وعدد ثم بعث جنكزخان
الى القبايل المتباعدة والبطون المتباينة بما عرفهم به من حاله وعدله
وباسته وفضله وعلو شانه ان انضموا اليه وتاييد سلطانه ان عكفوا
عليه فتوالوا اليه كالسيل وزمل الفلا ورجل الجراد وكان من اعظم
القبايل المجيبة لدعوته الداخلة في ايالته الفائقة بزياسته وباسته
قبيلتان العتان في العدد متباينتان في الاستعداد والعدد احديهما
تدعى اويرات والاخرى قنقورات واما التي هي خدمه ومنها
عظمه تسمى قيات وهي اكثر القبايل شهرة واتمها كثرة وكان اسمه
القديم تموجين فلما توطد امره وعلا قدره سمي جنكزخان

ان م

القبيلة م

نبذة من عقيدته وياسته وقاعدته وسيرته قال الصاحب علاء الدين
عطا ملك الجويني الظاهر من عموم مذاهبهم الادانة بوحدانية الله تعالى وانه
خلق السموات والارض وانه يحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع
وانه على كل شي قدير قال وفي جهان كشاي ان من اولاده من دان بملة
عيسى ومن دان بملة موسى ومنهم من اطرح الجميع وكل من اعتقد من بينه
مذهبا لم يكن له تعصب على غيره ومنهم من تقرب بالاصنام وكان جنكزخان
اذا تهدد احدا من الملوك او كاتبه بالتحذير من صولته قال له ان اطعت كان
لك كذا وكذا من الاعزاز والتقرب وان عصيت فالله اعلم بما يكون حالك
معنا قال ويلمح من هذا القول نوع من التوكل والتفويض ه **وله الياسه**
واحوالها كثيرة فمنها ما يوافق الشريعة المحمدية قال ولنعلم ان هذا الرجل
لم يقف على سير ملوك ولا طالع كتابا وجميع ما ينسب اليه من ذلك صادر عن قوة
ذهنه وحسه واستدراك الاصلح من قبل نفسه فانه استخرج لكل
مهم وقع قاعدة مقررة ولكل ذنب عقوبة مقدرة وعين حدودا لا امهال
له عندهم ولا مغير واوعز ان يتعلم ذلك صغار اهله ويسري امتثاله
عن عقب الرجل منهم ونسله بعد ان اثبتها في كتاب سماه الياسا الكبيرة
وامر ان يوضع في خزانته ويتوارثها اقارب عصبته وذريته ونسخ ما
كان لهم من قديم عوايد مذمومة بتسليكات محمودة مفهومة فمن ذلك
ان من زنى سوا كان محصنا او غير محصن قتل ومن لاط قتل ومن
تعمد الكذب قتل ومن سحر قتل ومن تجسس على قوم قتل ومن دخل

بين اثنين يختصمان فاعان احدهما قتل ومن بال في الماء قتل ومن
اعطي بضاعة وخسر ثم اعطي ثانية وخسر الى الثالثة قتل ومن اطعم
اسير قوم او كساه او سقاه بغير اذنهم قتل ومن وجد هاربا او اسيرا او
عبدا ولا يرده قتل وكانوا يعتمدون في ذبح الحيوان ان تكتف
قوائمه ويشق جوفه ويدخل احدهم يده الى قلبه ويمرسه فركا حتى
يموت او يخرج قلبه ومن ذبح كذبيحة المسلمين ذبح ومن وقع حمله او قوسه
وثقله في كر او فر فمر عليه من يتلوه بعده ولم ينزل لمساعدته
قتل وقيل كانت لهم ياسه قديمة ان من انغمس في الماء قتل وكان
جنكزخان يعظم رؤساء كل امة وملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة الى الله
تعالى قال والمشهور من حالهم اسقاط المؤن والكلف عن العلويين
والفقراء والقراء والفقهاء والاطباء وارباب العلوم على اختلافهم والزهاد
جني عن المودين ومغسلي الموتى ه **ومن** اداهم المستعملة وقوانينهم اشيا
كثيرة منها ان لا ياكل احد من يد احد طعاما حتى ياكل المطعم منه اولا ولو كان
المطعم اميرا والمطعم اسيرا ولا يختص احد بالاكل وحده دون ان يطعم
جميع من وقع نظره على ذلك الطعام ولا يمتاز امير بالشبع من الزاد دون
اصحابه بل يقسمون الزاد بالسوية ولا يرمي احد بالماكول رميا وقذفا
بل يناوله باليد ولا يخطو احد موقد نار ولا طبق زاد ومن اجتاز
بقوم ياكلون فله ان يجلس اليهم وياكل معهم من غير استيذان وان لا يدخل
الانسان يده في الماء بل ياخذ منه فيه ويغسل يديه ووجهه ولا يبول

احد علي الرماد ولا يطا عتبه الحزكاه قال وسمعت انهم كانوا لا يرون
غسل الثياب البته ولا يميزون بين ما يميزه المسلمون في شي من طاهر
ونجس البته قال ومن قوانينهم التي الفت منهم ان لا يتعصبوا لمذهب
من المذاهب علي مذهب وان لا يفخموا الالفاظ والالقاب في كلام بل يتلفظ
باسم السلطان كما يسمي غيره فيقال قد تقدم قاان او خان بكذا وكذا وان
لا يتعرضوا لمال ميت اصلا ولو ترك ملأ الارض ولا يدخلونه خزانه
السلطان **قال** واما ترتيب العساكر والقانون المقرر في ذلك فاعلم
انه لم ينقل في تاريخ قديم ولا حديث ان عسكرا اجتمع لسلطان كثره ما اجتمع
لهم كثره عدد وعدد وقوه وصبرا وطاعه لسلطانهم لا لاجل مشاهره
ولا توقع مال وجاه بل لمجرد الطاعه حسب ثم اذا رجعوا من القتال وكرب
الحرب الي السكون والسلم اخذ السلطان منهم القلان والقبجور والاولاق
والبزراقه من غير ضجر منهم ولا تاسف بل يودونه اليه مختارين
ومتي تجهزوا القتال عرضوا الات الحرب وغيرها علي امرائهم حتى تعتبر
امراؤهم الخيط والابره ويواخذونهم علي تجويد آله او نقص في سلاح
قال واغرب من ذلك ان نساءهم تنهض في حال بعدهم وسفرهم
بجميع ما يتوجه علي رجالهم الغياب من الكلف والسخر السلطانيه ومن
ذلك ان كل بنت حسناء تجمع من كل مكان ويحملن جميعا في راس
كل سنه الي السلطان فيختار منهن ما يصطفيه له وللاولاد ويرد
الباقي ومن احسن الترتيبات وضعهم امراء الالوف والمئات والعشرات

فهو اضبط نظام لما يحاولونه واسرع اتمام لما يطلبونه ومن جمله ياسهم
انه اذا كان امير في غايه القوه والعظمه وبينه وبين السلطان كما بين
المشرق والمغرب حتى اذنب ذنبا يوجب عقوبه بعث اليه ولو من
اخس اصحابه من يوديه بموجب ما يقتضيه ذنبه ولو كان ذنبه ما يوجب
قتله القي نفسه بين يديه ذليلا واخذ بموجب جرمه حقيرا الرسول
كان او جليلا ومنها ان كل امير لا يتردد الى سواه ولا يتغير
عن موضعه فان فعل ذلك عوقب او قتل لا يتردد الى احدهم اولاده
ومنها وضعهم البزيد بكل مكان طلبا لحفظ الاموال وسرعه
ايصال الاخبار ومستجدات الاحوال **وكان** لجنكزخان عاده
مستمره وان كانت الان سارية في الاولاد وهي وفور الرغبه
في الصيد والامربه والركوب اليه في كل وقت يتفرغ فيه من القتال
والمنازله وربما اشتملت حركته على مسيره ثلثه اشهر ويحاوط العسكر
علي ما تحويه تلك الحلقه ويضايقون ما بين الحزالي والبيوت بالحبال
ولم يكن غرض السلطان من ذلك بمجرد الصيد خاصه وانما مراده تمرين
عساكره واستمرار اوامره وادمانهم على استعمال السلاح وسفك الدماء
وتغلب القوه الغضبيه والمقاهره علي الارواح ومن عاداتهم انه متي خرج من
قبل واحد منهم شي من الصيود ادب بحسب ما يتقدم في امره بل ربما
قتلوه ويسوقون تلك الصيود كسوق الغنم وتتواتر الرسل الي
السلطان بصوره حالها وكثرتها وقلتها فاذا ضاقت الحلقه وتراكمت

الصيود مشحونة بغرايب الوحوش والحيوانات السهليه والجبليه ودخل هو واولاده
وخواصه وتنوقوا في القتل والقبض والتفرج وربما استشرف القان من مكان
عال لينظر فروسيه اولاده وقوة مراسهم فاذا لم يتخلف من تلك الصيود بعد ذلك
شي اجتمع ولدانهم وصبيانهم وشفعوا الي السلطان في اطلاق ذلك المتخلف
وحكي ان في بعض صيودهم واجتماع ما اجتمع في بعض تلك الحلق لهم من الوحوش
وضاقت عليها المذاهب وعابت الالف فاستقبلت السلطان بوجهها وجارت
اليه بالصياح العالي علي هيئة المستعطف المستجير فتقدم بفك الحلقه واطلاق
تلك الوحوش

قال الصاحب علا الدين الجويني

كان له عده اولاد ذكور واناث من الخواتين والسراري وكان اعظم نسايه اوبولجين بيكي
وفي رسم المغول تعظيم الولد بنسبه والدته وكان له من هذه المذكوره اربعه
اولاد معدين للامور الخطره وهم تحت ملكه بمنزله اربع قوايم سريره وكان اكبرهم
توشي والد قردوا وباتو وبركه وتركجار فرتب توشي علي الصيد والقنص
لانه امر محبوب اليهم موصوف عندهم ورتب جغتاي الذي هو اصغر
منه لتنفيذ الياسات والارغوا والمقابلات وامثال ذلك ورتب اوكتاي
لما يتعلق بالعقل والراي والتدبير والولايه والعزل واختيار الرجال واختبار
الاعمال وعرض الجيوش وتجهيزها وحكي انه قال لاولاده في حمله وصاياه
اليهم وحثه لهم علي الموافقه واجرا الامور علي انقياد الصغير للكبير وضرب
لهم امثالا منها انه دفع اليهم عده اسهم مفرده وامر بكسر كل واحد منهم فكسر في
اسرع وقت ثم جمع من تلك الاسهم عده كثيره وامر كل واحد منهم بكسرها مجتمعه

نعجزوا قال كذا حالكم في الوهن متفرقين ولما عرضت لهم الممالك وذلت
لهم المسالك عين لكل منهم اقليما بمفرده ومنزلا يختص بحشده وعدده فعين
لاخيه اوتكين نويان حدود بلاد الختا وعين لولده الكبير توشي من حدود
قيالق الي اقصي سقسين وبلغار وعين لجغتاي من حدود الايغور
الي سمرقند وبخارا وجعل لنفسه مقاما في قناش بجوار الماليق وجعل ولده
اوكتاي ولي عهده وكان موضعه في عهده حدود ايميل وقرايا ق فلما جلس
علي تخت السلطنه انتقل الي الموضع الاصلي بين الختا وبلاد الايغور واعطي
ذلك الموضع لولده كيوك وكان ولده تولي متصلا به وبالجمله كان موضعه نقطه
داير ملكه وبنوه حوله كالمحيط الداير وكان اولاده واحفاده ازيد من عشره الاف

هذا ما ذكره الصاحب علا الدين وقد سالت شيخنا فريد الدهر
شمس الدين الاصفهاني عن بني جنكزخان فقال ان جنكزخان اولد اربعه
وهم جوجي وجداي وطولي ولوكداي فقتل جوجي في حياه ابيه وكان
اكبر اولاده واعزهم وخلف اولادا قال ابن الحكيم هم باتو واورده وبركه
وبوول وجمني قال شيخنا شمس الدين المشهور باتو وبركه ابنا جوجي فلما
قتل ابوهم وكان جنكزخان ابوه قد عين له دشت القبجاق وما معه واضاف
اليه اران وتبريز وهمذان ومراغه واوصي جنكزخان بان يكون تخته لولده
لولده الصغير لوكداي وان تكون مملكه ما وراء النهر وما معه لولده الاخر
جداي ولم يجعل لطولي شيا فاستقل اوكداي بتخت ابيه جنكزخان واستقل
بدشت القبجاق وما معه ولم يتمكن جداي مما له من مملكه ما وراء النهر ثم ماف

اوكتاي وارث التخت وملك بعده ولده كيوك وكان رجلا شريرا جبارا مستلطا
قوي النفس فقوي على بني ابيه وحكم عليهم حكما قاهرا وهم بمعانده باتو ونزع
يده وبعث اميرا اسمه الجكداي الى اران وبقية المضافات معها الى باتو
وامره بامساك نواب باتو بها وحملهم اليه وسمع نواب باتو بذلك فكتبوا الى
باتو بالاستيذان على ما يكون اعتمادهم عليه فوصل الجكداي المجهز من جهة
كيوك بن اوكتاي قبل عود جواب باتو على نوابه فامسكهم وقيدهم على انه
يحملهم الى كيوك وفي تلك الساعة بعينها عاد جواب باتو على نوابه بمسك
الجكداي وتقييده وحمله اليه فقامت شيعة اولئك النواب المقيدين
ففكوا قيودهم وامسكوا الجكداي وقيدوه وحملوه الى حضرة باتو فصلقه بالماء
فلما بلغ هذا كيوك مرسله عز عليه وعظم لديه وجمع ستمايه الف فارس
وسار كل واحد منهما ليلتقي الآخر وقتاله فلما تقاربا حتى كان بينهما نحو عشرة ايام مات
كيوك فاضطرب من كان معه ثم اتفق راي الخواتين والامراء على مكاتبة باتو
فكتبوا اليه باعلامه بموت كيوك وانه هو احق بتخته فيفعل ما يراه فقال باتو
لا حاجة لي به وانما ابعث اليه بعض اولاد طولي وعين له منكوقان بن طولي
وجهزه اليه هو واخواه قبليه قان وهولاكو وجهز معهم باتو اخاه بركة في
مايه الف فارس من بهادرية العسكر يجلسه على التخت ثم يعود فاخذه معه
وتوجه به ثم اجلسه وعاد فلما مر ببخارا اجتمع بالشيخ سيف الدين الباخرزي
من اصحاب شيخ الطريقة نجم الدين كبري وحسن موقع كلام الباخرزي
عنده واسلم على يده وتاكدت الصحبة بينه وبين الباخرزي فاشار

عليه الباخرزي بمكاتبة المستعصم الخليفة ومبايعته ومهاداته وكاتب الخليفة
وبعث اليه هدية وترددت بينهما الرسل والمكاتبات والتحف والمهاداة
ثم ان منكوقان لما استقل بالتخت ملك اولاد جغطاي مملكة ما وراء النهر
تنفيذا لما كان جنكزخان اوصى به لابيهم جغطاي ومات دونه وعلت كلمة
منكوقان وجات اليه رسل اهل قزوين وبلاد الجبال يشكون من سوء
مجاورة الملاحدة لهم وضررهم لهم فجهز اخاه هولاكو في جيوش جمة لقتال
الملاحدة واخذ قلاعهم وقطع دابر دولتهم فحسن هولاكو لاخيه منكوقان
اخذ ممالك الخليفة وخرج على هذا فبلغ هذا بركة بن جوجي فصعب عليه لما كان
بينه وبين الخليفة من الصحبة وقال لاخيه باتو انا نحن اقمنا منكوقان
وما جزانا منه انه يكافينا بالسوء في اصحابنا وينقض عهدنا ويخفر ذمتنا
ويتعرض الى ممالك الخليفة وهو صاحبي وبيني وبينه مكاتبات وعقود
مودة وفي هذا ما فيه من القبح وقبح على اخيه باتو فعل هولاكو فبعث باتو الى هولاكو
بانه لا يتعدى مكانه فجاته رسالة باتو وهو وراء نهر جيحون ما عبره فاقام في
موضعه بمن معه سنتين كاملتين حتى مات باتو وتسلطن اخوه بركة
بعده فحينئذ قويت اطماع هولاكو وبعث الى اخيه منكوقان يسأله
في امضاء ما كان امره به من قصد ممالك الخليفة وانتزاعها منه وحسن
له ذلك فاجابه اليه ودخل هولاكو الى البلاد واوقع بالملاحدة واتهم شيعابه
نعم من اكابر همذان وتلك البلاد المضافة الى باتو ثم الى بركة بالميل الى بركة
والمباطنة على هولاكو ومنكوقان وقتلهم عن آخرهم واستبد في البلاد

وقصد دشت القبجاق وعدّى اليه واقام ثلاثة ايام لا يجد مقاتلا فلما كان في اليوم
الرابع دهمتهم الخيل وداستهم بركه بجنوده وعساكره ودارت الدايرة
على هولاكو حتى همّ بالهزيمة فنزل امير كبير كان معه اسمه سنتاي وهو المنسوب
اليه عقبة سنتاي بالعراق وامسك براس فرس هولاكو وقال له اين تروح
ثم استمر القتل في اصحابه فتاخر حتى صار نهر الكر بينه وبين بركه
وجابر له حتى وقف على نهر الكر ولم يجد له سبيلا الى العبور ورجع هولاكو
وعاث في البلاد وعام في تيار الفساد وفعل فعلته وقويت العداوة
بينه وبين بركه قان وخف حاذه من الجيش لمقاومة اعدايه ثم لما جرى على
بغداد ما اجرى العيون دما واسال النفوس اسفا استاثر هولاكو بجلال
الدين ابن الدوادار الخليفتي المستعصمي واتخذه هولاكو موضع رايه ومكان
سره فلما كسر هولاكو وتضعضعت اركان جيشه كما ذكرنا شكا الى جلال الدين
ابن الدوادار ما اصابه من الكسرة وفناء جنوده فقال له جلال الدين عندي
عسكر جيد خير من هاولاء قال من هم قال عسكر الخليفة فان ابن العلقمي
قطعهم والا فهم احياء موجودون وانا اجيبهم الملك فاعجب هولاكو كلامه ووقع
منه موقعا حسنا وكتب له يرليغ مضمونه انا قد جهزنا جلال الدين ابن
الدوادار في شغل مهم لنا ورسمنا له بما يفعل ومرسومنا ان يمتثل جميع الخواتين
والامراء والنواب والعراولات وكافة الناس امر جلال الدين المذكور
وانه مهما شاء فعل يقتل من يريد ويخلي من يريد وان لا نعارض في امر من
الامور ولا يعترض عليه بسبب من الاسباب ومن هذا ومثله فتوجه جلال الدين

وحط يده في كل من بقي بجده من امراء المغل واكابرهم والمقربين عند
هولاكو وفعل فيهم ما اراد وفتك فيهم انواع الفتك حتى وصل الى بغداد
واستعد فيها لما يريد ان يعمله واخذ منها ما اراد ومن اراد ودخل البرية
هاربا من هولاكو على عزم الوصول الى مملكة مصر فادركه اجله قبل
الوصول اليها وبلغ هولاكو ما فعله جلال الدين في المغل من الفتك والقتل
والتنكيل ثم ما اخذه من بعده وخرج به هاربا منه فانفطرت كبده
ومات غبنا منه قال شيخنا شمس الدين الاصفهاني ومات هولاكو
ولم يملك ملكا مستقلا وانما كان نايبا عن اخيه منكوقان ولا ضربت
باسمه سكة درهم ولا دينار وانما كانت تضرب باسم اخيه منكوقان
ثم كان هكذا ابغا ومن بعده الى ان استقل ارغون بن ابغا بالملك واضاف
اسمه في السكة الى اسم صاحب التخت قال الشيخ وكان يكون لصاحب
التخت امير لا يزال مقيما في مملكة ايران مع هولاكو وبنيه له عندهم حرمة
كبيرة ومكانة محفوظة حتى ملك محمود غازان بن ارغون فقلب اسمه بمفرده
على السكة واسقط اسم القان صاحب التخت واهان امر اميره حتى لم يبق
له وضع ولا حرمة واستهن ذلك الجانب واستقل بالملك والسلطنة في بلاده
وقال انا ما اخذت البلاد الا بالسيف وقام الامر على هذا مدة محمود غازان
ومن بعده قال الشيخ ولهذا ينتقص ملوك بني جنكزخان بيت هولاكو
يقولون انهم ما نقلوا الملك عن جنكزخان ولا عن وراث تخت جنكزخان
وانما اخذوه باليد والعدوان ومطاولة الايام ٥

قلت وسأذكر في ترجمة مملكة ايران شبهة اخرى في دعوى
ملوك دشت القبجاق انتزاعه وتوريثهم على ما كان بلغنا من اخبارهم
في كل وقت مما حدثني به الفاضل نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم وسألت
ابن الحكيم والشريف محمد بن حيدر الشيرازي عمن تغلب انه بقي من اولاد هولاكو
فقال كل منهما انه لم يبق احد محقق النسب الا ما قيل عن محمد المنتسب الى عنبرجي
على كثرة اختلاف فيه قلت ثم جاءت الاخبار وصحت بعدم هذا محمد
وقال لي نظام الدين ابن الحكيم ان اهل هذا البيت تفانوا بعضهم على يد بعض
بخوف القائم منهم على ملكه حتى ان كثيرا من ابناء ملوكهم كانوا يتخفون من الملك
القائم حتى ان بعضهم كان يخلد الى الحرف والمهانات لتستسقط همته
فيترك ويجعل هذا سبيله للخلاص وطلبا للسلامة حتى ان بعضهم كان قد
عمل نساجة وبعضهم عمل في الادم وبعضهم باع الشعير علانا ومن هذا
قال ويقال في انساب كل منتسب منهم لكثرة التخليط من الامهات ومخالطة
ابائهم للعوام حتى خفيت انسابهم فجهلت احوالهم   واخبرني
الامير الكبير المقدم نسيب السلطنة طاير بغا انه اول من استقل
من هذا البيت بسلطان جدهم جنكزخان واللفظ الصحيح به جنكص خان
بالصاد ثم اوكديه واللفظ الصحيح به اوكداي ثم كيوك قان
ثم مونككا قان بن طولي بن جنكزخان ثم اري بكا ثم قبلي قان
ثم دمرقان ثم بزباي ثم تزي طيزي ثم قيسان قان
ثم سندمرقان فاما نسبه الى جنكزخان فهو سندمرقان بن

طرما لا بن جمكمر بن قبلي قان بن طولي بن جنكزخان وهذا نسبه   واما ملوك
الترك وهي تركستان وما وراء النهر واولهم جغطاي بن جنكزخان وقد نبهنا
على انه لم يستقل ثم ولده ملتوكان ثم ابنه قرا هولاوو ثم ولده مباركشاه ثم ان القان
بلغه ان قيدو بن قاشي بن كيوك بن اوكداي بن جنكزخان تسلطن بهذه
المملكة مخافة للون كيوك عمه كان وارث التخت عن ابيه اوكداي وابوه
اوكداي كان وارثه عن ابيه جنكزخان فسير براق بن بسنطو بن ملتوكان
بن جغطاي لدفع قيدو فدفعه وقعد مكانه ثم استقل براق ثم دوا ولد
براق ثم اولاد دوا واحدا بعد واحد وهم لبجك ثم اسنبغا ثم كبك ثم الجكداي
ثم دزا تمر ثم ترما شيرين رحمه الله ثم رجل ليس هو ابن دوا اسمه توزون بن
اوباكان بن   وتخلل في خلال هاولاء
من توثب على الملك ولم ينتظم لهم حال ولا علت لهم اعلام دوله وممن زاد الملك وعلت
كلمته ولم يملك سنا وزين ازكتمر بن بغا تمر بن براق وبقي الملك بعد موت ترماشيرين
رحمه الله مختبطا حتى قام هذا جنغصو فاما نسبه الى جنكزخان فهو جنغصو بن
دزا تمر بن طوا بن براق بن سنطوا بن ملتوكان بن جغطاي بن جنكزخان
وقال ابن الحكيم ان هذا المسمى جغطاي بن جنكزخان اسمه جداي وهو
مصحح لما يقول عارف به ٥ واما ملوك دشت القبجاق فاول من ملك منهم
باتو بن جوجي بن جنكزخان ثم اخوه بركه ثم

وجميع ملوك بني جنكزخان يغلب عليهم الكرم وتحويل من قصدهم لا يرضي احد
منهم بالقليل فاما القان الكبير منهم صاحب الخطا فتلك شيمته لا تسمح
الا بالذهب ديمته ليس هذا في واحد بعينه بل كل من تسنم منهم ذروة ذلك
التخت كانت هذه سجاياه اما المحكي في القديم منهم عن منكوقان بن طولي
ابن جنكزخان فيخشى حاكيه ان ينسب الى الخرافة في حديثه والمجازفة في قوله
حكي الشيخ الفاضل شمس الدين ابو العباس احمد بن ابي المحاسن الطيبي
قال حدثني عز الدين ابو البقا الاردبلي قال سمعت بكرم القان منكوتمر فقصدت
حضرته متفرجا بتلك البلاد ومتوصلا اليه ولازمت بابه مدة وما لي
من يوصلني اليه ولا الى احد من ارباب دولته فبينا انا ذات يوم هناك
في جملة الناس طلبت على التخصيص فحملت الى رجل يسري بباب منكوتمر
قان فامر الترجمان ذلك الرجل فسالني عن اسمي وبلدي وحالي ومقصدي
فشرحت له امري فقال اشرف القان فراك فاستغربك فامر بالسوال
عنك ونحن نفعله ثم ذهب الرجل هنيهة ثم طلبني فاحضرت الى بين يدي
منكوتمر قان وهو في خف من الناس وبقي يحدث ذلك الرجل وهو يحدث
الترجمان ويسالني عن اشيا من امور بلادي وطريقي وما رايت ثم

قال القان يقول لك ماجابك من بلادك البعيده الي هنا واي شي معك
من طرف البلاد تقدمه له فقلت له ماجابني الا ما سمعت من كرم القان
وليس معي شي لاني لو كان معي شي ما فارقت اهلي ووطني وجيت فلما اعاد واعلمه
كلامي ضحك ضحكا خفيا ثم اشار اليهم اي انه صدق وامر لي بشي ما فهمته
فلما خرجنا قال لي ذلك الرجل المخاطب لي قد امر لك القان بما يصل اليك ثم
قال لي على اي جهه تعود الى بلادك قلت له في البحر الى الحجاز لاحج ثم اعود الى
بلادي فحملت الى المركب هناك امتعه بعتها بعدن ومله بالف الف درهم
وحكي الفاضل نظام الدين ابو الفضايل يحيى بن الحكيم قال قصد رجل
منكوتمر قان بزجاج من عمل حلب ووصل اليه وقدمه له فشرب في بعض اوانيه
فاعجبه ما شف من جوهر الزجاج عن حمره الشراب فقال هذا من اين فقيل
له من حلب فقال يعطى له حلب فقال له وزراه ان حلب ليست لنا
قال فيوقف هذا الرجل ويصب عليه الذهب حتى يغطيه فقالوا له نوقفه في
خركاه ويصب عليه الذهب فقال انتم غرضكم بهذا انه يموت ولا يكون في فضا
تعملوا اما قاله لي جملا عظيمه يجمعوها وقالوا له قد عملنا ما رسم القان ولكننا
نريد ان يقع نظر القان عليه قبل ان ياخذه فقال هاتوه فلما راه قال
انتم ما قصدتم الا الى الصغير هذا انا استكثره اعطوه هذا ومعه قدره
مرة اخرى فاعطوه وحكي ايضا ان فراشا كان يخدم تولي بن جنكزخان
ابا منكوتمر ثم خدم منكوتمر قان بعده ثم عدم وتطلبه منكوتمر فلم يجده
فبينا هو يوما في الصيد راى الفراش في بعض الجبال وقد ساءت حاله وطال

شعره وظفره فقال له اين كنت وما لك في هذه البريه فقال ما حملك على هذا
قال العشميه قال لا اقول الا الصحيح فقال هو ما اقول للقاان فقال له منكوتمر
لا ما حملك على هذا الا العشق فاطرق فقال له منكوتمر فلمن انت عاشق
فسكت فعلم منكوتمر انه عاشق في احد من جهته فقال له كانك عاشق
فلانه لا الا فلانه لا الا فلانه يعد عليه واحد واحد من خواتينه وابنا عمه
وهو يقول لا الى ان ذكر واحده من اجل حظاياه فسكت الفراش فقال
منكوتمر انت عاشق في هذه بلا شك ثم انه طلبها وقال لها فلان له على اني
حق وعلى وهو عاشق فيك وما لي في هذا ذنب ولا لك هذا شي يتعلق
بقلبه ما له فيه حيله واريد ازوجك به فيك وقالت يا قاان بعدك
اتزوج بهذا فقال سوف تبصرين ما اعمل ثم انه عمل طوى وسال الامرا
ان ينصب للفراش المذكور كرسيا فوق الجميع فقالوا له الامر امر القاان فنصب
له كرسيا فوقهم واجلسه عليه وزوجه بتلك الحظيه وعمل له يرنا عظيما
لا تصلح الا للتوامين الكبار واجراه مجرى واحد منهم **قلت**
ومن تامل هذه الحكايه عرف سعه احسان هذا الرجل وكرمه فانه
اخذ غلاما لا يؤبه اليه جعله ملكا وسمح له بما لا يسمح بمثله من المال والجاه
والمحبوب ه

الفصل الثاني

في مملكة القاان الكبير صاحب التخت وهو صاحب الصين والخطا
قد ذكرنا في صدر الفصل الاول ان القاان الكبير هو القايم مقام جنكزخان

والجالس على تخته وهو متغلغل في الشرق ومقامه بخان بالق من بلاد الخطا
وهو اجل ملوك توران التي هي مملكة الترك من قديم الدهور والاباد
ونها او لمجاورها او قاربها كان اقرا اسباب غير انه قد خرج عن هذا
القاان ما هو لابني عمه الذين تقدم ذكرهم والى هذا القاان اشارة الثلاثة الآن م
ابنا عمه وهو كالخليفه عليهم فاذا تجدد في مملكه احد منهم مهم كبير مثل لقا
عسكر او قتل امير كبير بذنب او صله اليه اليسق اي الحكم او ما يناسب هذا
ارسل اليه واعلمه ولا افتقار الى استيذانه ولكنها عاده مرعيه قال
الفاضل نظام الدين ابن الحكيم الكاتب البوسعيدي ان هذا القاان ما زال يكتب
الى كل من القانات الثلاثه يامرهم بالاتحاد والالفه وانه اذا كتب
اليهم بدا باسمه قبلهم واذا كتبوا اليه بداوا باسمه قبلهم وكلهم مذعنون له بالتقدم
عليهم وحدثني بكثير مما عليه صاحب هذه المملكه وانهم على ما هم عليه من
الجاهليه على السيره الفاضله الشامله لاهل مملكته ومن يرد اليها من الجافهم
بجناح العدل والاحسان ومعاملتهم بقشور من لحا شجر التوت مطبوعا
باسمه فاذا عتق ذلك المتعاطى به حمله الى نواب هذا القاان واخذ عوضه
مع خسارة لطيفه كما يوخذ في دار الضرب على ما يوخذ اليها من الذهب والفضه
ليضرب بها واهل مملكته هم اهل الاعمال اللطيفه والصنايع البديعه
التي سلمت اليهم فيها الامم وقد ملئت الكتب من احوالهم بما اغنانا عن ذكره
ومن عادة المجيدين في الصنايع انهم اذا عملوا عملا بديعا حملوه الى باب
الملك وعلق به ليراه الناس ويبقى سنه كاملة فان سلم من عايب اسدي

الى صانعه صنائع الاحسان وان عيب عليه وتوجه العيب وضع قدر الصانع
وان لم يتوجه العيب قوبل من عاب عيبا غير متوجه قصدا للاذية ومما
حكي في هذا ان صانعا منهم صور في نقوش الثياب الكمخا عصفورا على
سنبلة حتى مثله كانه حقيقة فلما علقه حيث يعلق مثله استحسنه
كل من راه حتى مر به رجل فعابه فسئل اي شي عبته فقال لان العصفور
اذا قعد على السنبلة امالها وهذه مستقيمة ما هي مايلة فاستحسن قوله ووضع
قدر الصانع. هذا ما يحكى عنهم واما ما حكي لي عن المشاهدة والعيان
فحكى لي الصدر بدر الدين حسن الاسعردي التاجر ان بعض
صناعهم عمل ترجا من اخشاب البقم ودهنه وابدع صناعته ثم قدمه
الى القان فعجبه ووقع منه موقع الاستحسان ولم يشك انه متخذ من
خشب مثل بقية الترج فقال لصانعه اما علمتم هذا ما خشبه فقالوا
لا فاوقفهم على انه من اخشاب البقم فاستحسنوا جودة صناعته ولطف
تدقيقه وحكى لي ان بعض صناعهم عمل شيا من الورق وباعه
من التجار على انه من الكمخاوات الخطائية لا يشك فيها احد ثم انه لما جاز هذا
عليهم اطلعهم على حقيقة حالها فعجبوا لهذا قال بدر الدين حسن ولقد
رايت منهم من هذه الاعمال ما تحار فيه العقول وتذهل الافكار واما
ما حدثني به السيد الشريف تاج الدين حسن بن الجلال التبريزي
وهو ممن جال في الارض وجال في الافاق وهو من الثقات وقد دخل الصين
وجاز بلاده وجاب افاقه وحاس خلاله وجال في اقطاره قال لي ان قاعدة

المملكة مدينة خان بالق وهي مدينتان قديمة وجديدة والجديدة بناها
ديدو واحد ملوكها سميت باسمه ديدو وفي وسط مدينة ديدو
المذكورة منزل القان الكبير وهو قصر عظيم يسمى كوك طاق ومعناه
في اللغة المغولية القصر الاخضر لان القصر عندهم طاق والاخضر كوك
وهي خلاف اللغة التركية فان كوك فيها هو الازرق ونزول الامراء
حوله خارج قصره قال واما ترتيب هذه المملكة فان لهذا القان اميرين
كبيرين هما الوزراء ويسمى كل من يكون في هذه الرتبة جنكصان ودونها
اميران اخران يسمى كل من يكون في هذه الرتبة بنجاز ودونها اميران اخران
يسمى كل من يكون في هذه الرتبة زوجين ودونها اميران اخران يسمى كل من
يكون منهما في هذه الرتبة سنجين ودونها اميران اخران يسمى كل من يكون في
هذه الرتبة يوجين وراس الحجاب ويسمى كل من يكون في هذه الرتبة
لنجون وهو بمنزلة كاتب السر ويجلس القان كل يوم في صدر دار تسميه
تسمى شن هي عندهم مثل دار العدل عندنا ويقف حوله الامرا المذكورون
عن اليمين وعن الشمال على مقادير الرتب وراس الكتاب المسمى لنجون
في اخرهم فاذا شكى احد شكوى او سال حاجة اعطى قصته راس الكتاب
المذكور فيقف عليها ثم يوصلها الى احد الاميرين الذين يليانه وهما اصغر الكل
فيقف عليها هو ومن معه في الرتبة ثم يوصلانها الى من يليهما في الرتبة وكذا
الى ان تصل الى القان ويامر فيها بما يراه مع العدل التام والانصاف المفرط
قال ولهذا القان الكبير دون ملك كبير وعسكر مديد قال والذي اعلم من امر

ان له اثني عشر بزدارا يركب الخيل وعساكره من المغل عشرون تومانا
وهي مائتي الف فارس واما من الخطا فلا يحصي قال وبلاد الصين تشتمل
على الف مدينة دون كثيرا منها والطريق الي سمرقند الي خان بالق
على ما يذكر من سمرقند الي نيلي عشرون يوما ونيلي هي اربعة مدن بين
كل مدينة والاخرى فرسخ واحد ولكل واحدة منها اسم يخصها فالواحدة
نيلي والاخرى نيلي بالق والاخرى كنجك والاخرى تلان ومن مدينة
نيلي المذكورة الي المالق عشرون يوما ومن المالق الي قراجوا اجا الي قمجو وهي
اول بلاد الخطا اربعون يوما ومن قمجو الي خان بالق اربعون يوما
ثم من خان بالق الي الخنسا طريقان طريق في البر وطريق في البحر وفي كل منهما
من خان بالق الي الخنسا اربعون يوما وطول الخنسا يوم كامل وعرضها
نصف يوم وفي وسطها سوق واحد ممتد من اولها الي اخرها وكل شوارعها واسواقها
مبلطة بالبلاط وبناؤها خمس طبقات بعضها فوق بعض وهما مبنية
بالاخشاب والمسامير وشرب اهلها من الابار واهلها في قشف عيش وغالب
اكلهم لحوم الجواميس والاوز والدجاج والارز والموز وقصب السكر
والليمون وقليل رمان وهي شبيهة بمزاج مصر في حرها وهواها
واسعارها متوسطة ويجلب اليها الغنم والقمح ولكنه قليل ولا يوجد
بها من الخيل الا ما قل عند الاعيان الاكابر واما الجمال فلا يوجد بها شي
منها البتة فان دخل اليها جمل عجبوا منه قال الشريف جلال الدين
حسن السمرقندي واما مدينة خان بالق فمدينة طيبة

طيبة وافرة الاقوات رخيصة الاسعار ويحمل بها الما في زمان الشتا
ويشيل الي الصيف فيبرد به الماء ويشق احد المدينتين منها وهي
مدينة دين نهر وبها انواع الفواكه الا العنب فانه قليل وليس بها نارنج
ولا ليمون ولا زيتون ويعمل بها السكر والنبات مما يحمل اليها من مدينة الزيتون
واما ما بها من الزروع والدواب الجمال والخيل والابقار والاغنام فما لا يدخل
في الاحصا قال ومن خان بالق ومدينة الزيتون شهر واحد بعد برا
ومدينة الزيتون بندر على البحر المحيط وهي اخر العمارة قال واما مدينة
قراقرم فانها مدينة جليلة فيها غالب عساكر القان الكبير ويعمل
بها القماش المليح الفاخر والصنايع الفائقة وغالب ما يحتاج القان اليه يستدعي
منها لانها دار استعمال واهلها اهل صناعات فائقة واعمال
قال الشريف حسن السمرقندي وبلاد الصين كلها عمارة متصلة
من بلد الي بلد ومن قرية الي قرية ومعاملتهم بورق التوت ومنها كبار
ومنها صغار فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد ومنها ما يقوم
مقام درهمين ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم والي الي ثلثين واربعين
وخمسين ومائة وهو يوجد من لحا شجر التوت اللين ويختم باسم القان ويجري
به المعاملات فاذا عتق واضمحل حمل الي الخزانة واعطي عوضه مع غرم قليل
قال لي الشريف السمرقندي ومن عجائب ما رايت في مملكة هذا القان
الكبير انه رجل كافر وفي رعاياه من المسلمين امم كثيرة وهم عنده مكرمون
محترمون ومتى قتل احد من الكفار مسلما قتل الكافر هو واهل

بيته وينهب اموالهم وان قتل مسلم كافرا لا يقتل وانما يطلب بالدية ودية الكافر
عندهم حمار لا يطلب منه غير ذلك ٥ وسألته عن اهل الصين
وما يحكى عنهم من رزانة العقل واتقان الاعمال فقال هم اكثر مما
يقال ولنا جماعة بحضرة سيدنا وشيخنا فريد الدهر وارث العلم والحكم
شمس الدين ابي الثنا محمود الاصفهاني فقال الشيخ الشريف الشيرازي هذي
انا احكي لكم ما جرى لي كنت اشكو ضرسا في فمي فرآني بعض من
كنت الفت به في بلاد الصين وانا متألم لشدة الضربان فسألني عما بي فشكوت
اليه وجع ضرسي ثم استدعى شخصا خطاييا قصير القامة فقال له ابصر حال
هذا المسكين فنظر الى فمي وبقي يقلب اضراسي سنه هنيهة ثم اخرج
ضرسي الواحد ونصف الاخر ولم اشعر بهما بالم ثم اخرج من خريطة له كانت
معه اضراسا كانت كاملا وانصافا واثلاثا وارباعا معدة عنده لوضعها
في مواضع ما يقلع ثم لم يزل يقيس مواضع ما قلع لي حتى وضع موضعها من تلك
الاضراس ثم ذر عليها ذرورا ودهنها بدهن التامت به لوقتها وامرني ان
لا اشرب عليها الماء يومي ذلك ففعلت فكاني ما قلعت شيئا وارأني اضراسه
وجدناها كاحسن ما يكون خلا ان السعيد بن طاهر عليها انها ليست
من نوع البقية والضرس المشعوب يظهر ان نصف الشعب من غير النصف الاول منه
وحدثني الفاضل نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم ان لاهل البلاد
عقولا راجحة ولعما لا دقة وهم يقولون الفرنج عور وباقي الناس
عمي يعني ان صناعتهم صناعة بصير بعين وباقي الناس صناعتهم صناعة

من هو اعمى ما يبصر ما يعمل وحكى لي من احوال هؤلاء القوم ما ينبئ عن عقول
جمة وترتيب حسن وتحققه في الامور فمما حكى لي عنهم ان
في مدن الخطا مطابخ تطبخ فيها الاطعمة الفائقة والمشروب اللذيذ مما لا
يوصف حسنه مما يصلح ان يقدم منه الى الملوك معدة لمن يشتري منه من
الاكابر حتى ان احدهم اذا اهتم بضيافة كبير يبعث الى صاحب المطبخ من
تلك المطابخ ويقول له عندي ضيف واريد له ضيافة بكذا في وقت كذا
فاذا كان ذلك الوقت حمل اليه ما يناسب ارادته وشرطه من بدائع المأكول
والمشروب كل شيء في وقته وان كان المضيف ما له مكان يصلح للضيافة
اعد له صاحب المطبخ مكانا بكل ما يحتاج اليه من البسط والفرش والاوانات
والغلمان على قدر ما حده له المضيف من القيم يحسب صاحب المطبخ حساب
مكسبه في كل ذلك من اجرة المطبخ والدار والفرش وكلفة الطعام
والشراب واتمام كل شيء بحسابه بقانون متقن لا يزيد ولا ينقص من غير
ان يحصل على المضيف تفريط ولا خسائر في شيء مما قل وجل ٥
قلت ـــــــ وحدثني الشريف الفاضل ابو الحسن علي الكربلائي
التاجر رحمه الله وكان قد اجتمع بقان هذه البلاد وكثير من ملوك
الارض مع ما شاهده من عظمة سلطان هذا السلطان وطاعة رعاياه له
واسهم في دولته وقال لي ان لهذا القان اربع وزراء يصدرون
الامر في مملكته كلها ولا يراجع القان الا في القليل النادر ووصف لي
انه اذا اراد الركوب انه لا يركب الا في محفة لا يظهر للناس الا في يوم

واحد وهو مثل يوم مولده من كل سنة فانه يركب فرسًا ويخرج الى الصحرا ويعمل
بها من الاطعمة والسماطات ما يغمر الناس ويكون مثل يوم العيد عندهم
وحدثني الصدر بدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادي التاجر انه وصل الى
الخنسا ووصف عظمة بناتها وسعة رقعة مدينتها مع تسخط الاقوات بها ووفور
المكاسب فيها وحصول الرفق الجيد فيها وفي كل تلك البلاد قال واهلها ساحرون
بكثرة الجواري السراري حتى انه لا يوجد لاحد التجار واحاد الناس الدون سريه
فما زاد على ذلك ۵ قلت وكلما ذكرناه في هذا هو على سبيل الاستطراد
والا فالشرط المقصود ان هذا القان هو اكبر الملوك الجنكزخانية الاربعة ۵

الفصل الثالث في التورانيين وهم فرقتان

الفرقة الاولى فيما ورا النهر الفرقة الثانية في خوارزم والقبجاق

الفرقة الاولى فيما ورا النهر وما بعدها ومعها من ممالك تركستان

هي من اجل الممالك واشهرها والنهر المشهور بها هو جيحون وهو النهر الذي
ينبع من وخ حتى يصب في بحيرة خوارزم وهي ممالك طايرة السمعة طايله
النفع اسرة ملوك وافق علما ودار اكابر ومعقل الويه وبنود ومجرى سوابق
وجنود كانت بها سلطنة الخاقانيه وال سامان وبني سبكتكين والغورية
ومن انفعها ابن غنت شمس ال سلجوق وامتدت في الاشراق والشروق وغير هذه
الدول من سماطين سبول هذه الممالك على قربها فاما قبل انتقالها
الى الاسلام فكانت في ملوك الترك لا يرامي ولا يرام ولا يشق لها سهام

ختم بها الاسلام وحازت ملكها هذه الامة برقت بالايمان اسرتها وتطرزت
بالجوامع والمساجد قراها ثم رشيت بها المدارس والخوانق والربط
والزوايا واجري الوقف عليها وكثر من العلما اهلها وسادت لهم التصانيف
المشهورة في الفقه والحديث والاصول والخلاف وكان منهم الروسا والاعيان
والاعلام والكبرا اهل البحث والنظر ولبخارا في هذه المزايا الفاضلة
اوفر الاقسام ولم يعد علم الفقه هذه الافاق مشرقا ولم يعد علم الفقه
هذه الارض محققا وما يقال في مملكة من بلادها بخارا وسمرقند وترمذ وخجند
والمالق وغزنه واخوات هذه الامهات واخبارها مشهوره وآثارها
مشهوده ومن نظر في كتب التواريخ راى مثل عين المتوسم من احوال
هذه البلاد ومن فيها وهي واقعة في الرابع ونادر منه في الثالث او مايل
الى الخامس لا يكاد يبلغ في اوسط المعمور واوسع الارض اذا قيل
انها اخصب بلاد الله واكثرها ما ومرعى لم يعد الف بل الحق في اوصافها
ذات الانهار السارحة والمروج الممتدة كانما نشرت الحلل على اقوامها
او كسرت الحلي على حصبائها وهذه المملكة طولها من ما السند الى ما
ايلا المسمى قراخوجا وهو يلي بر الخطا وعرضها من وخ وهو منبع ما جيحون
الى حدود كركانج قاعدة خوارزم وحدها من الجنوب جبال البتم
وما السند الفاصل بينها وبين السند ومن المشرق اوايل بلاد الخطا على
خيلام وكلسكان وما هو على سمت ذلك ومن الشمال مراعي باران
وبخند وبعض خراسان الى بحيرة خوارزم ومن الغرب بعض خراسان الى

خوارزم الي بحري النهر اخذاً الي الختل ومن بلاد هذه المملكة فرغانة
والشاش واسبيجاب واسروشنة وبلاد الختل وفيها طرف من السند
من غزنة الي جنوبها واقاليم هذه المملكة واقعة فيها على ما نذكر وبلاد
الختل اخذة على جانب جبال البتم معرّباً بالشمال ويليها الصغد ابا
في الشمال ثم ترتيب الي ما بين خوارزم وبلاد فرغانة اخذة على جانب
جبال البتم شرقاً بالشمال ويليها بلاد السابون في الشمال ثم الشاش
واعمالها الي حائط عبد الله بن حميد المعروف بحائط القلاص وفي خارجه
بلاد اسبيجاب في الشمال بشرق وبلاد الغزية ممتدة في نهاية الشمال
من اطراف بحيرة خوارزم في الغرب الي بلاد اسبيجاب في الشرق ومراعي
باران وخجندة داخل بلاد الغزية بينها وبين حائط القلاص
وبلاد اسروشنة في الوسط على نهاية الانهار النازلة من جبال البتم
من جهة المشرق واما اكابر مدنها المشهورة وهي القواعد العظام
والامهات الكبار فاقليم غزنة واقليم ما وراء النهر وهو بخارا
وسمرقند وخجندة وترمذ واقليم الشاش وهو الشاش ومغالاق
واقليم فرغانة وهو بد عينان ورباط سرهنك وابكان واوش
واقليم تركستان شهركند وجند وتارجند واطراز وسبرم
وشكل وجاص كن وبرساكن واعزدابان وبلي وكنجك
وطراز وهو المسمى بلاس وسكي كن وسبكول والمالق وبيش مالق
وحول وقوشي وختن وكاشغر وبدخشان ودرا ودران

ودرة وبلاد اصفاغان بكل واحدة ذات مدن واعمال ورساتيق وقرى
وضياع ماوي الاتراك وعيال اسودهم وجوعقبانهم وقرشي
قاعدة الملك بها الآن وهي على نهر نرا خوجا في نهاية الحد
من بخارا واسم سمرقند ثم غزنة وان كانت بخارا مما لا تسير اليها
ركابهم ولا تنشى عليها خيامهم ولكن لعظمة مكانها وسالف
سلطانها وسياتي ذكر هذه القواعد في مواضعها ولم يسلم ملوك
هذه المملكة الا من عهد قريب فيما بعد خمس وعشرين وسبعمائة
اول من اسلم منهم ترماشيرين رحمه الله واخلص لله وابدى الاسلام
وقام به اشد القيام وامر به امراءه وعساكره فمنهم من كان قد سبق
اسلامه ومنهم من اجاب داعيه واسلم وفشا فيهم الاسلام وعلا عليهم لواؤه
حتى لم تمض عشرة اعوام حتى اشتمل فيها بملابسه الخاص والعام واعان
على هذا ما في تلك الممالك من الائمة العلماء والمشايخ الاتقيا فعنوا
من الترك فرصة الاذعان فعاجلوهم بدعوة الايمان وهم الآن على ما
اشتهر عندنا واستفاض احرص الناس على دين واوقفهم عن الشبهات
بين الحلال والحرام وعساكرهم هم اهل النجدة والباس لا تجد هذا من طوائف
الترك جاحد ولا يخالف فيه مخالف ٥ حدثني خواجا مجد الدين
اسماعيل السلامي قال اذا قيل في بيت هولاكو ان العساكر قد تحركت
من باب الحديد يعني من بلاد خوارزم والقبجاق لا يحمل احد منهم لهم هما
فاذا قيل ان العساكر تحركت من خراسان يعني من جهة هولاء اسقط

لان هولاء اقوى ناصرا واولئك اكثر عددا الا انه تغالب ان واحدا من هولاء
بمائة من اولئك قال ولهذا خراسان عندهم ثغر عظيم لا يهمل سداده
ولا يزال فيه من يستحق سرير التخت او من يقوم مقامه لما وقر لهولاء في صدورهم
من مهابة لا تتعلعل طودها فانهم طال ما بلوهم في الحروب وابتلوا بهم
فيها وحدثني الفاضل نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم ما معناه
ان بلاد هولاء متصلة بخراسان متزاحلة بعضها ببعض لا يفصل بينهما
بحر ولا نهر ولا جبل ولا مفازة ولا شي مما يمنع اهل هذه البلاد عن قصد
خراسان منها وبين خراسان انهار جاريه ومراع متصلة فاذا ارادوا
خراسان تنقلوا في المرعى واستدرجوا استدراجا لا يشعر ولا يظهر
انه لقصد بلاد بل للتوسع في المرعى فلا يشعر بهم الا وهم بخراسان حتى
اذا صاروا فيها جاسوا فيها خلال الديار وعاثوا فيها عيث الذئاب
وهم مع سيرهم المجد من بلادهم الى خراسان لا مشقة عليهم ولا على
دوابهم لانهم من ما الى ما ومن مرعى الى مرعى قال ابن الحكيم
ولهذا تخاف ملوكنا عادية هولاء لانهم ما يعلم بهم الا وهم معهم
قلت ومن هذه البلاد نجم سلطان الدولة السلجوقية في عهد
السلطان مسعود السبكتكيني واول ما بزغ كوكبهم ثم استعلى
نيرهم ونبع معينهم ثم فاضت لججهم وكان الاحتجاج بالنقل في
المرعى هو السبب لجر الملك اليهم حتى اشتهرت اعلامهم وانتشرت
ايامهم على ما هو مشهور في صدور السير وصفحات التواريخ

ولم يزل لاهل هذه المملكة ببلاد الهند وقايع اطفات نار الكفار وملات الصحاصح
والبحار والاحن بين المملكتين قديمة وكان سكان الهند لا يلزمون
مقاومتهم ولا يثبتون الا بصدور الافيال لا الاقبال مصادمتهم حتى
علت ولله الحمد بالهند دولة الاسلام وزادت اليوم بسلطانها القايم
علوا وتناهت علوا فنامت عيون اهل هذه البلاد لهيبة ذلك
السلطان لعدم هجوده وسكنت تغالبهم المخاتلة بزئير اسوده
ولقد كان اهل هذه المملكة لا تزال تجوس اطراف الهند خيولهم
وتجحف به الاموال والاولاد سيولهم حتى نشا بالهند سلطانه
الان وشمر للحروب ذيله وجاهد الاعدا في كل قطر واختلفت
كلمة اهل هذه البلاد على ملوكها فانكفوا لبس ذلك السلطان
واختلاف ذات البين وكان ملوك هذه المملكة من اولاد جنكزخان
واتباعهم من المحافظ على ياسة جنكزخان والتعبدات المعهوده
في اهل هذا البيت من تعظيم الشمس والميل الى ارا البخشية ما تعين
لما حذوا عليه اباهم يعضون عليه بالنواجذ مثل تمسك القان
الكبير ومن في مملكته بها بخلاف الفخذين الاخرين بلاد
خوارزم والقبجاق واهل مملكة ايران وان كان الملوك الاربعة من اولاد
جنكزخان ومن نبعته نبعوا ومن افقه طلعوا الا ان بهذه المملكة والحظ
الاشد بسياسته تمسكا ولطريقته اتباعا وهما مع هذا اعدل بني ابيهما
حكما وانشرهما للعدل في بلادهما ورعاياهما وقد قدمنا التنبيه

على ان رعايا هذه المملكة وقرارية اهلها من قدماء الاسلام السابقين اليه
وكانوا مع كفر ملوكهم في جانب الاعزاز لا تتطرق اليهم اذية
في دين ولا حال ولا مال فلما آل الملك الى ترماشيرين كما ذكرنا دان
بالاسلام واظهره في بلاده ونشره في جانبي ملكه واتبع الاحكام الشرعية وابدى
بها واكرم التجار الواردين عليه من كل صوب وكانت قبله الطرقات لا
تفتح لتجار مصر والشام اليها ولا لهم مضطرب في الارض منهم بالمرور عليها
فلما ملك ترماشيرين كثر قصد التجار له وعادوا شاكرين منها منه
حتى صارت بلاده لهم طريقا قاصدا ومنهجا مسلوكا حدثني الصدر
بدر الدين حسن الاسعردي التاجر بما كان ترماشيرين يعامل
به التجار والواردين عليه من الاكرام ومزيد الاحسان واخذ
قلوبهم بكل امكان قال صاحب كتاب صور اشكال الارض
ومقدارها ما وراء النهر من اخصب الاقاليم منزلة وانزهها واكثرها
خيرا واهلها يرجعون الى رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم اليه مع قلة
غايلة وسلامة ناحية وسماحة بما ملكت ايديهم مع شدة شوكة
ومنعة وباس ونجدة وعدة وعدة وآلة وكراع وسلاح وعلم وصلاح
فاما الخصب فليس من اقليم الا يقحط اهله مرارا قبل ان يقحط ما وراء
النهر مرة وان احلت سنوات احسوا ببرد او جراد او آفة تاتي على زروعهم
وغلاتهم ففي فضل ما يسلم في عروض بلادهم ما يقوم باودهم حتى يستغنوا
به عن شيء ينقل اليهم من غير بلدهم وليس بما وراء النهر مكان

يخلو من مدن او قرى او مراع لسوائمهم وليس شيء لا بد للناس الا وعندهم
منه ما يقوم به اودهم ويفضل عنهم لغيرهم فاما طعامهم ففي السعة والكثرة
على ما ذكرناه واما مياههم فانها اعذب المياه وابردها واخفها
قد عمت جبالها ونواحيها ومدنها الى التمكن من الجمد في جميع
اقطارها والثلوج من جميع نواحيها واما الدواب ففيها من النتاج
ما فيه كفايتهم ولهم من نتاج الغنم الكثير والسائمة المفرطة ولذلك
الملبوس فان لهم من الصوف والقز وطرايف البز وبلادهم من المعادن
خصوصا الزيبق الذي لا يقاربه في الغزارة والكثرة معدن
واما فواكههم فانك اذا استبطنت الصغد واشروسنة وفرغانة
والشاش رايت من فواكهها ما يزيد على ساير الآفاق حتى ترعاها دوابهم
ويجلب اليها من محاسن الاشياء وطرف البلاد ما ليس في الملوك فيه
واما سماحتهم فان الناس في ما وراء النهر كانهم في دار واحدة ما ينزل
احد باحد الا كانه رجل دخل دار نفسه لا يجد المضيف من طارق
يطرقه كراهية بل يستفرغ جهده في اقامة اوده من غير معرفة تقدمت
ولا توقع لمكافاة بل اعتقادا للسماحة بما هو اهله وهم كل امرئ على
قدره فيما ملكت يده وحسبك انك لا ترى صاحب ضيعة يستقل بموته
الا كانت همته اقتناء قصر فسيح ومنزل للاضياف فتراه نهاره في
اعداد ما يصلح لمن يطرقه وهو مشوق الى وارد عليه يكرمه فاذا
حل باهلها جنبة طارق تنافسوا فيه وهم في ما بينهم يتبارون في مثل

في مثل هذا الشأن حتى يجحف باموالهم كما يتبارى سائر الناس في التجمع
والتكاثر بالمال قال ولقد شهدت آثار منزل بالصغد
قد ضربت الاوتاد على باب داره لحمول الضيفان وصح عندي ان بابها
مكث لا يغلق ما يزيد على مائة سنة لا يمنع من نزولها طارق وربما نزل
بها ليلا على غفلة المائة والمائتان والاكثر من الناس بدوابهم وحشمهم فيجدون
من طعامهم ودثارهم وعلف دوابهم ما يكفيهم من غير ان يتكلف
صاحب المنزل امرا بذلك او يحتشم عما له مع البشاشة باضافتهم
لعلمه بسروره بهم كل من شهده قال وترى الغالب على اهل
المال والثروة صرف اموالهم على خاصة انفسهم في الملاهي وما لا
يرضي الله تعالى والمنافسات فيما بينهم والغالب على اهل الثروة
والمال في ما وراء النهر صرف اموالهم في عمل المدارس وبناء الرباطات
وعمارة الطرق والاوقاف على سبيل الجهاد ووجوه الخير وعقد
القناطر الا القليل من ذوي البطالة وليس من بلد ولا سبيل مطروق
ولا قرية اهلة الا وفيها من الرباطات ما يفضل عمن ينزل بها
قال وبلغني ان بما وراء النهر زيادة على عشرة الاف رباط
وفي كثير منها اذا نزل النازل اطعم وعلق على دابته قال وقل ما
رأيت خانا او طرف سكة او محلة او مجمع ناس بسمرقند في المدينة
وظاهرها الا وبه ماء مسبل بجمد قال وحدثني من لو حسبوا
ان بسمرقند وظواهرها ما يزيد على الفي مكان يسقى فيها ماء الجمد

مسبل عليه الموقوف من بين سقاية مبنية وحباب نحاس منصوبة وقلال
خزف مثبتة في الحيطان واما باسهم فمشهور مستفيض وفي بعض
الاخبار ان المعتصم سال عبد الله بن طاهر او كتب اليه يسأله عمن يمكنه
حشده من خراسان وما وراء النهر فنفذ الى نوح بن اسد بن سامان
فكتب اليه ان ثم ثلثمائة الف قرية اذا اخرج من كل قرية فارس وراجل
لم يبن على اهلها فقدهم ولقد حدثني الصدر مجد
الملك يوسف بن زاذان البخاري انه يوجد عند احاد العامة من عشرين
دابة الى خمسمائة دابة لا كلفة عليه في اقتنائها لكثرة الماء والمرعى
قال وهم اهل طاعة لسلاطينهم وانقياد لامرائهم حتى ان المتولي
لامورهم يتصرف في اموالهم وامورهم وسائر احوالهم تصرف المالك في
ملكه والمستحق في حقه منبسطا في ذلك ما دام لا يمر يحسن ولا
صاحب المال والحال يتشكى كلاهما طيب القلب قرير العين راض
بصاحبه وحدثني الشريف السمرقندي ان اهل تلك البلاد في الغالب
لهم بواعث هممهم على طلب العلم والمظاهرة على الخير والمضاهاة في الخلال
الحميدة الا من قل وقليل ما هم وقد ذكر علي بن يسرق في كتاب الفقه
باسم الملك الرحيم بدر الدين لولو صاحب الموصل ذكر فيه ما وراء النهر
فقال وهي في الدنيا انموذج الجنة في الاخرة لا يحمل المسافر فيها ماء ولا
زادا ولا يحتاج رفيقا ولا يستشكل طريقا مكان فاتك ذباسك ورد اليها
ينقل تجار بنات منهم واحد لمصانع حيلة واموال ذريه ولم يكن ثم له وارث

فاحتاط نواب الديوان على ماله وبلغ هذا سلطان الناحية فانكر غاية الانكار
وقال ما للناس ولاموال التجار ومعه رفاق هم اعلم بحاله فان كان له
ورثة يلحقهم اماناتهم من ميراثهم والا فهم احق برفقتهم واولى بماله ثم طلب
التجار وامرهم بتسليمه فامتنعوا وقالوا هذا رجل لا وارث له منا ولا في بلده
ولا نعرف له وارثا بالجملة ولا نعلم يرثه الا بيت المال وتجارته تقارب ثمانماية
الف درهم وقد مات منا وانتم احق به فغضب وقال لا والله لا يحل ما اخذ الا
ميراث من مات من اهل بلادنا ولا وارث له واما هذا فمملكة بلاده احق بميراثه
خذوا المال واحملوه اليه قال فاخذوه معهم الى توريز واعطوه لصاحبها
لان الرجل كان منها ورايت في كتاب اخر سماه مؤلفه تفضيل الرحلة
العز لبدر الدين لولو ايضا ولم يسم مؤلفه نفسه قال وعبرنا في طريقنا الى
خان بالق ببلاد كثيرة اجلها ما وراء النهر وهي مما تقصد للعبادة دونها ما
ستيت من حسن وحسان وحور وولدان وفاكهة صنوان وغير صنوان
وما كان عن برد احسان ملك كبير وخير كثير واقوام بهم يلذ العيش
ويليق عندنا بهم الطيش قوم كرام لا يخف لهم الهواد احلام وفي بلادهم
معادن استرتها الجبال ومنها اللعل الاحمر واللازورد الازرق وما هو
من هذه الامثال قلت وقد بالغ في وصفها وهي كذلك واما ما اشار
اليه من المعادن فيها فهو في بذخشان وهي مع مملكة ما وراء النهر وليست
حقيقة منه ولا من تركستان بل هو اقليم قايم بذاته معدود للمجاور مع
اخواته تحتوي كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته قلت

٤٥

وبلغني ممن اثق به مشهورات من بسيط ملوكهم انه اذا راح من عساكرهم
الف فارس الى مكان وقتل منهم تسعماية وتسعة وتسعون فارسا
وسلم ذلك الفارس الواحد قتل ذلك الواحد لكونه لم يقتل مع الفئة
اللهم الا ان حصل النصر لمن سلم وملوك هذه المملكة من بني جنكز خان
وقد قدمنا القول ان احوال بني جنكز خان متقاربة في ممالكهم لمشيهم
على ياسة جنكز خان ولا تكاد تمتاز اهل مملكة من ممالكهم عن الاخرى
الا فيما قل ومعاملة ممالك قسمي ايران هولاء واهل خوارزم والقبجاق
ومعظم ايران بالدينار الرايج وهو ستة دراهم وفي بعض هذه بالخراساني
وهو اربعة دراهم ودراهم اهل هذه المملكة خالص من غش خالص غير
مغشوشة وهي وان قل وزنها عن الدرهم معاملة مصر والشام فانها تجوز مثل
جوازها لخلوص هذه الدراهم وغش تلك ثم ان الدراهم نوعان درهم
بثمانية فلوس ودرهم باربعة فلوس ويوجد بهذه المملكة من الحبوب القمح والشعير
والحمص والارز والدخن وساير الحبوب خلا الفول واسعارها جميعها رخية
فاذا غلت فيها الاسعار اعلا الغلو كانت مثل ارخص الرخص بمصر
والشام وبها من الفواكه المنوعة الثمار العنب والتين والرمان
والتفاح والكمثرى والسفرجل والخوخ والعين والمشمش والتوت والبطيخ
الاصفر والاخضر والسطيح الاصفر بهذه البلاد سهابه والبخاري والسمرقندي
احسن انواعه وان كان الخوارزمي يزيد عليه في الحسن واللذاذة على ما ذكر
في مكانه وبها الخيار والقثا واللفت والجزر والكرنب والباذنجان

والقرع وسائر انواع البقول وانواع الرياحين من الورد والنرجس والاس
والنيلوفر والحبق والبنفسج وان قل ولا يوجد بها الاترج والنارنج
والليمون والليم ولا الموز ولا قصب السكر ولا القلقاس ولا الملوخيا فانها
من ذلك عادمة الحدائق خالية الدوح الاماني من الحمضات اليها
يحلو بها   فاما الدواب الخيل والبغال والحمير والابل البخت والبقر والغنم
واقلها البغال والحمر واكثرها الاغنام فانها في هذه البلاد كثيرة
اعوزتها الزرايب وبالمالوف وما يليها يملأ الفضا ويسد عين الشمس
وهي بلاد قريبة من الاعتدال لا تفرط في حر ولا برد ذات عيون دافقة
وانهار سارحة ومراع متسعة مونقة وخصب مفرط بركوجبوا نها
وفنا بها ومعادنها قال لي الشيخان صدر الدين محمد ومحمد المحدبان
الصوفيان بالخانقاه القوصونية انه لولا موانا ان يقع في جبل الماس لو
واغنانها في بعض السنوات لما انقطعت ولا يوجد من يستر بها الاثر سنها
دبركات ناحيها فلا ومدينة برخشان بها معدن اللعل البدخشاني
وهو المسمى في البلاد بالبلخش ومعدن اللازورد العاري وهما في جبل
بها يحفر عليهما في معادنهما فيوجد اللازورد بسهولة ولا يوجد اللعل
الا بتعب كثير وانفاق زايد وقد لا يوجد بعد التعب الشديد والانفاق
الكبير ولهذا عز وجوده وغلت قيمته فكثر طالبه والتفت الاعناق
الى التحلي به قلت ــــــــــ والنفس قطعة وصلت الي بلادنا
من البلخش قطعة وصلت مع تاجر في الايام العادلية الزينية واحضرت

الى العادل كتبغا وهو بدمشق اذ ذاك قال لي احمد بن طر الصايغ
احضرني الصاحب شهاب الدين احمد الحنفي ومن يعرف الجوهر جماعة
من الامراء بن منهم نجم الدين الجوهري واراها تلك القطعة فرايناها
قطعة جليلة مثلثة على هيئة المشط العنبري زنتها خمسون درهما
وهي نهاية في الحسن وغاية في الجودة كاد يضي البها المكان وسالنا
عن قيمتها كم تسوي فسكتنا كلنا الى نجم الدين الجوهري لانه لم يملكنا
ان نتكلم بشي قبله فقال له كم قيمة هذه القطعة يا نجم الدين فقال
ما نعرف قيمة هذه القطعة الا من راى مثلها وانا وانت والسلطان وجميع
من حضر ما راى مثلها ولا قوشا منها فكيف نعرف قيمتها فاستحسن هو وكل من
حضر قوله وصالحوا صاحبها ٥ وسنذكر جملة مما هي عليه قواعد
هذه البلاد واول ما نبدا بكرسي قاعدة الملك بها وان لم يكن شيئا
مذكورا ولا لها على اختلاف حالات الزمان شهرة تذكر ولا لمن استملكها
به في دولة ملوكها الان من نطاق السعادة لنسبتها الى ابها سكن لهم وان كانوا
لبسطوا سكان جدار ولا مستديرين في دار ولكن الاسم وسمعت
به وسمعته ٥   واما بخارا فاما انها البهو وسمرقند فاسيم
وقد كانت للدولة السامانية قطب نجومهم الثواقب ومركز افلاكهم الدايرة
وكانت تلك الممالك كلها تبعا له وكان آل سامان بها
وان لم يتسموا بالسلطنة ولا وسموا بغير الامرة كالخلفا لا يباشروا
الامور الا نوابهم ولا يخرج الى الحروب الا قوادهم وسنقف قواعد

دولتهم واذعنت لهم ملوك الاقطار ولم تكن ملوك بني بويه
على عظمة سلطانهم الا كالاتباع لهم يحملون اليهم الحمول واللطائف
المطرزة باسمائهم واسماء ارباب دولتهم كالوزير والحاجب وقد حكى
ابو نصر العتبي

وكتب نوح بن   الى   ابن بويه كتابا يهدده فيه
فكتب جوابه يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين ثم لم يرسل هذا الجواب خوفا لما وقر في صدورهم
من مهابة آل سامان الى ان قضى الله فيهم بامره وولى زمانهم وجاء
زمان بني سبكتكين على ابن قال العتبي
وحمدت تلك السعلة قال صاحب كتاب اشكال الارض ومقدارها لم
ار ولم اسمع بظاهر بلد احسن من بخارا لانك اذا علوت لم تقع نظرك
من جميع النواحي الا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء فكان
السماء مكبة زرقاء على بساط اخضر تلوح القصور فيما بين ذلك
كالتراس التبتية او الحجف اللمطية او كالكواكب العلوية بياضا
ونوراً بين اراض وضياع مقسومة بالاستواء مهندمة كوجه المرآة بعنايه

٤٧

الهندسه وليس بما وراء النهر ولا غيرها من البلاد احسن قياما بالعماره
للضياع منهم مع كثرة متنزهات في سعة المسافه وفسحة الساحه
متصله بصغد سمرقند قال ويحيط ببخارا وقراها ومزارعها
سور قطره اثنا عشر فرسخا في مثلها كلها عامرة ناضرة زاهره
ولبخارا سبعة ابواب حديد وهي باب المدينه وباب نون وباب حفره
وباب الحديد وباب قهندز وباب بني اسد وباب بني سعد
وللقهندز هنا بابان احدهما يعرف الريكستان والاخرى
باب الجامع يشرع الى المسجد الجامع وعلى الربض دروب فمنها
درب يخرج الى خراسان يعرف بدرب الميدان ودرب يلي المشرق
ويعرف بدرب ابراهيم ويليه درب يعرف بالريعه ويليه درب
المردكشان ويليه درب كلاباذ ويليه درب النوبهار
ويليه درب سمرقند ويليه درب بغاشلور ويليه درب الرامينيم
ويليه درب حدشرون ويليه درب غشنج وليس في مدينه بخارا
ولا بمهندرها ماء جار لارتفاعها ومياههم من النهر الاعظم
الجاري من سمرقند وتتشعب من هذا النهر الاعظم في مدينه بخارا نهر
يعرف بنهر فشيزديز فيأخذ من نهر بخارا ويجري في درب المردكشان
على درب ابراهيم حتى ينتهي الى باب البلغمي ويقع في نهر
بركله وعلى هذا النهر نحو الفي بستان وقصور واراض كثيره
تسقى منه ومن فم هذا النهر الى مغيضه نحو فرسخ ونهر يعرف

لجوبار بيكار باخذ من المذكور انفا في وسط المدينه بموضع يعرف بمسجد
احمد ويفيض بنوكند وعلى هذا النهر شرب بعض الربض ونحو الف
بستان ونهر يعرف بجوبار القواريريين ياخذ من النهر المذكور بموضع
يعرف بمسجد العارض فيسقي بعض الربض وهو اغزر واعمر للاراضي
من نهر بيكار ونهر بوكند ياخذ من النهر المذكور من المدينه عند
راس سكة خنج فيسقي بعض الربض ويفيض في المغاك ونهر يعرف بنهر الطاحونه
ياخذ من النهر المذكور في المدينه بموضع يعرف بالنوبهار وعليه بيوت
اهل الربض ويدير ارحيه كثيره حتى ينتهي الى نيكند ومنه شرب اهل بيكند
ونهر يعرف بنهر كشنه ياخذ من النهر في المدينه عند النوبهار
عليه شرب اهل النوبهار فيفضي الى حصون وضياع وبساتين حتى
يجاوز كشنه ونهر يعرف بنهر رباح ياخذ من النهر المعروف بالريكستان
ويسقي بعض الربض وينتهي الى قصر رباح فيسقي نحو الف بستان
وقصور هناك والاراضي كثيره دون البساتين ونهر الريكستان
ياخذ من النهر المذكور بقرب الى الريكستان ومنه يشرب الريكستان
واهل القهندز ودار الامارة حتى ينتهي الى قصور جلال ديزه ونهر
ياخذ من النهر المذكور بقرب قنطرة حمدونه تحت الارض الى حياض
بباب بني اسد ويقع فضله في فارقين القهندز وهذه الانهار طايفه
ببخارا جميعها ولها رساتيق كثيره ونواح نفيسه واعمال جليله
وضياع ليس مثلها لاهل بلد وان كان لاهل ناحيه او اقليم ما يضاهيها فهي

لبعضها فليس يرى على وفورها وكثرتها وجميع ابنية بخارا على اشتباك البنا
والتقدير في المساكن وارتفاع اراضي الابنيه فهي محصنه بالقهندز ذات
والعيش في داخل هذا الحايط بجبل ولا معادن ولا ارض عامره واقرب
الجبال اليها جبل ورركر ومنه حجارة ابنيتهم وفرش ارضهم ومنه طين
الاواني والكلس والجص ولهم خارج المدينه ملاحات ومحتطبهم من
بساتينهم وما يحمل اليهم من المفاوز من الغضا والطرفا واراضي بخارا كلها
قريبه من الما لانها منخفضه ما السعد ولذلك لا تنبت الاشجار العاليه بها
مثل المركب والجوز وما اشبهها واذا كان من هذا الشجر شي فهو قصير غير
تام ومن عمارة بخارا ان الرجل ربما اقام على الجريب الواحد من الارض
فيكون فيه معاشه وكفافه هو وجماعة اهله ولبخارا مدن في داخل حايطها
وخارجه فاما داخله فالطواويس وبخلسب ومغكلن وزنبه
وخجاده وهي كلها من داخل الحايط وكلها ذوات منابر ومن خارجه
بيكند وفربر وكرمينيه وجدسكون وخرغانكث ومدياخكث وجميع
المدن التي داخل الحايط متقاربه في القدر والعماره ولجميعها قهندزات
عامره واسواق جاده وبساتين كثيره سيما ما كان بيكند وان
بها من الرباطات ما ليس ببلدان ما وراء النهر كرباط هذا وما يقاربه
ويقال انه كان بها الف رباط ولها سور عظيم حصين ولها مسجد جامع قد تنوق
فيه وفي بنايه وزخرف محرابه وليس مما وراء النهر احسن زخرفه منه وفربر
مدينه قريبه من جيحون ولها قرى عامره وهي من نفسها حصينه مقصوده .

في اخر المطاعم والماكل الطيبة اللذيذة وهي مدينة تفقه الحفاظ
قدوة اهل المشرق والمغرب ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري وكفاها
به فخرا باقيا وذكرا دائما واهل بخارا يرجعون الى ادب وعلم
وفقه وديانة وامانة وحسن سيرة وجميل معاملة وافاضة خير
وبذل معروف وسلامة نية ونقا طوية ويتحدث اهل بخارا على قديم
الايام بطرايف من احاديثهم وهو انهم نقيا وصونهم من غير خلاف ان
من بركة فلعتهم وقهندزهم انه ما خرج منها جارية وال قط
ولا عقد فيه لوا ولا راية خرجت منه وكان اول من اتخذها
دارا وجعلها قرارا من ال سامان ابو ابرهيم اسماعيل بن احمد فانه
كانت ولاية خراسان وهو مقيم بها فنزل بساحتها واتخذها فاعد
لم ثم توالي عليها بنو الي اخرايامهم وامضا احكامهم على ما قدمنا ٥
واما سمرقند فهي مدينة من تعم ولها قهندز وربض يشرف
الناظر بها على شجر الخضر وقصور تزهر وانهار تطرد وعمارة تنفد
لا يقع الطرف منها على مكان الا ملاه ولا على بستان الا استحسنه كان
صاحب كتاب اشكال الارض وقد قصصت اشجار السرو فشبهت
بطوابيف الحيوان من الافيلة والابل والبقر والوحوش المقبل بعضها على
بعض كالمناجية هذا الى انهار تطرد وبرك تسجر وطريقة المعالي
وقصور ومستشرفات قال مسلم بن قتيبة لما اشرف على سمرقند
شبهوها فلم ياتوا بشي فقال كانها السما في الخضرة وكان قصورها النجوم

الزاهرة وكان بحذائها انهار المجرة فاستحسنوا هذا التشبيه وسمرقند
حصن ولها اربعة ابواب باب مما يلي المشرق يعرف بباب الصين مرتفع
عن وجه الارض ينزل اليه بدرج كثيرة مطل على وادي السغد وباب مما يلي
المغرب يعرف بباب النوبهار وهو على نشز من الارض وباب مما يلي الشمال
يعرف بباب بخارا وباب مما يلي الجنوب يعرف بباب كش وفي سمرقند
ما في المدن العظام من الاسواق الحسان والحمامات والخانات والمساكن
ولها مياه جارية تدخل اليها في نهر وقد بني عليه مسناه عالية من الارض
وفي بعض المواضع بل في وسط المشرق من حجارة يجري عليها الما من موضع
يعرف بالصفارين الى ان يدخل باب المدينة خندق عظيم مستفل فاحتيج
الى مسناه في هذا الخندق حتى يجري الما الى المدينة وهو نهر قديم جاهلي
في وسط اسواقها بموضع يعرف براس الطاق من اعظم موضع بسمرقند
ولهذا النهر على حاشيته مستغلات موقوفة على مرماته ومصالحه وعليه
الحفظة صيفا وشتا ولبعض لسور الربض بها ابواب تغلق ٥ وقد زعم
بعض الناس ان تبعا الذي اسعد ابا كرب ابتني مدينة سمرقند وان
ذا القرنين اتم بعض بنائها قال صاحب كتاب اشكال الارض والعرفي
ابو بكر الدمشقي قال رايت على بابها الكبير صفيحة حديد وعليها
كتابة زعم اهلها انها بالحميرية وانهم يتوارثون ذلك انها من صنعة تبع
وبعض الكتابة ان من صنعا الى سمرقند الف فرسخ قال ثم وقعت الفتنة
بسمرقند واحرق الباب الذي كانت عليه هذه الصفيحة واعادوا

المطهر محمد بن لقمان بن نصر بن احمد بن اسد حديثا كما كان من حديثه
ويعرف بالصفيحة قال بعض الاطباء وتربة سمرقند صحيحة
بالنسبة ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية في سككهم ودورهم وكثرة
اشجار الخلاف عندهم لاضرتهم وطيبتها وبناؤها من طين وخشب
وكان اهلها في اظهار المروات اكثر ممن سواهم والبلد كله
طرقه وسككه واسواقه وارقته مفروشة بالحجارة ومياههم من وادي
السغد وهذا الوادي من بلاد البتم على ظهر الصاغانيات ولم يجمع
ما يعرف بمجرى سيل حجر حوالي البها العربي ومن مبدا هذا الوادي
الى ان ينتهي الى سمرقند ازيد من عشرين فرسخا فاذا جاوز سمرقند
بنحو مرحلتين انشعب منه نهر يعرف بفي وليس بالصغد نهر اوفر عمارة
منه ولا اعظم قصورا وقرى وماشية ونهر في هو نهر السغد وينشعب
من هذا النهر المسمى في انهار كثيرة وينتهي زيادة على مرحلتين ينشعب
من وادي السغد انهار كثيرة الى حد بخارا حيث تاخذ منه انهار بخارا
المذكورة سنة مشتبكة القرى والبساتين والانهار ولو اطلع مطلع
من الجبل على وادي السغد لرأى خضرة متصلة لا يرى في اضعافها غير
قهندز ابيض او قصر سامق مشتبك فاما فرجة منقطعة عن الخضرة
او ارض بائرة او غامرة فقل ما يرى قال صاحب كتاب اشكال
الارض ومن حد بخارا الى وادي السغد كثيرا وسمالا ضياعا تتصل الى
جبال البتم لا ينقطع خضرتها ومقدارها في المسافة ثمانية ايام مشتبكة

البساتين والخضرة والرياض محفوفة بالانهار الجارية والاحواض في صدور
رياضها وما بينها بخضرة الاشجار والزروع ممتدة على جانبي واديها من
وراء الخضرة ومن وراء الخضرة عن جانبي النهر مزارعها وقصورها والقهندزات
من كل مدينة ومدينة تستتر في اضعاف خضرتها كانها ثوب ديباج اخضر
قد شقه مجاري مياهها وزينت بتربيع قصورها في ازكى بلاد الله واحسنها
اشجارا واطيبها ثمارا وعامة مساكن سمرقند بالبساتين والحياض
والمياه الجارية فما تخلو سكة ولا محلة ولا ناحية ولا سوق ولا دار ولا قصبة
من نهر جار او بركة ولعقه وليس ابرما وراء النهر من الانهار المتخرقة
والرياض المتصلة والاشجار الملتفة والثمار الكثيرة ما لا يوجد مثله في سائر الامصار
لا دمشق ولا غيرها ولكن قيل ان منتزهات الدنيا اربعة غوطة دمشق
احدها وقال بعضهم انها افضلها ولكن سغد سمرقند اطول واعرض
واوسع واكثر نماء والمتنزه يحول العين في فضائه حدثني السيد
الشريف جلال الدين حسن بن ابي المجاهد الحسني السمرقندي عن طول مدى السغد
فقال يقدر عشرة ايام بالسير المعتاد قلت وقد ذكر صاحب اشكال
الارض انه يكون ثمانية ايام فقال لا لا يكاد ينقص عن عشرة ايام وابن غوطة
دمشق عن هذا وكلها من منبع الماء من واديها الى نهايته لا يبلغ نصف
يوم مع كون السغد مسكونا لتساوق العين من اوله الى اخره في فرد مدى بسطه
وما غوطة دمشق هكذا الا كثنا والحلتين لواديها ولا ان انهار السغد واضخم
في خلل ضمائرها ممتدة في بسيط الخضرة لا يحجب ولا يخفى عن العين ولنبت

الأنهار بدمشق مكشوفة إلا في مجرى الوادي بها فإذا أشرف المستشرف
عليها فإنه لا يرى إلا ما يليه ولا تقع عينه إلا على ما يحاذيه. ولقد سمي متنزه
سمرقند بسعة الأبصار على ما ترى بها من المواكب واعترت أنهارها من الشوائب
وبليت به أغصانها مما تشيب له الذوائب أيام جنكزخان وأبنائه وما رميت
به من حوادث الحدثان في تلك المدة وإذا حصل الإنصاف فيلزم أن غوطة دمشق
قطعة من صغد سمرقند ه وأما البتم فهو جبال شاهقة
سامقة منيعة والغالب عليها النزهة والخضرة والبقلة المعروفة
بالطرخون وهي قرى آهلة بالناس وبالبتم حصون منيعة جداً
وفيها معادن ذهب وفضة وزاج ونوشادر وفي كل جبل من جبال
البتم كالغار وقد بني عليه واستوثق من أبوابه وكواه ه
وفيها عين يرتفع منها بخار يشبه الدخان بالنهار والنار
بالليل فإذا انعقد هذا الدخان في حائط ذلك البيت وسقفه
قلع منه النوشادر وداخل هذا البيت من شدة الحر ما لا يمكن لأحد
أن يدخله إلا احترق إلا أن يلبس اللبود المبلولة ويدخل كالمختلس
ويأخذ ما يقدر عليه من ذلك قال وهذا البخار ينتقل من
مكان إلى مكان فيحفر عليه حتى يظهر فإذا انقطع في
مكان حفر عليه في آخر إلى أن يوجد وإذا لم يكن عليه مبنياً
يمنع البخار من التفرق لم يضر من قاربه حتى إذا احتبس في بيت
احترق من يدخله لشدة الحرارة ه
وأما غزنة فكانت

مستقر سبكتكين والد السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود
قبل انقراض الدولة السامانية بانتهاء أيامه وتبدلت ملاهي حد
حسامه وكانت غزنة دارهم ومثواهم استمروا بها ونقلوا
عن بخارا قاعدة الملك إليها ثم تناوب بنوه الجلوس على سريرها ثم
استقرت الملوك الغورية قاعدة سلطانهم ومنبع أعوانهم وغزنة
مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء والأعراض بها قليلة وأرضها
لا تولد الحيات والعقارب والحشرات المؤذية ومنها خرج الرجال
الأنجاد وما زال سوق ملوكها في غزو الهند والترك وذبهم عن بيضة
الإسلام والملك وما انبعثت نار الغورية رحمهم الله على قصور عددهم
وقصر مددهم لقد حملوا ما بدأ به السلطان محمود بن سبكتكين
في غزوات الهند وشنوا بها الفتوح حتى دخل الإسلام تلك الممالك
العظمى وعلى الحقيقة ما فتحوا الهند بل فتحوا الدنيا وبذلك على هذا
ما تقدم ذكره وأما غزنة فهي مدينة مصاقبة للسند وقيل
إنها منها وقال صاحب كتاب صفة الأرض إن غزنة من بلاد
السند وهي واقعة في الثالث قال أبو سعيد منصور زعيم
جرجان ولم أر بلداً في الصيف أطيب وفي الربيع أشبه وفي الخريف
ألطف من غزنة وهي قليلة الأشجار والمناصح هواؤها وسلم من
مرورها على البقايع الوخمة وأصول الشجر المعفنة ه
وأما تركستان فهم ملكوا الغزنوية لأنه ملكاً كبيراً وسلطنة

حليلة زهرة الدنيا وطراز الارض بلاد الترك حقيقة من كناسها نعت عن لابها ومن غابها اصحرت ليوثهم وهي اقليم فسيح المدى فكريم الذكر منشا حماة ومنشب كماة وهي المراد بقولهم بلاد الاتراك ولم تزل الملوك تلحظها لاتقاء بوادرها والتقاء زواخرها فلشد ما نكرت الايام معالمها وغيرت الغير احوالها ولقد صادفت حدة التتار في اول الثار فجاءت فداهم في سورة غضبهم ولفحة نارهم فاما لت السيوف حصائد اجالهم ولم تبق الامن قتل عدلهم حكى لي من جال في رسابيقها وجاز في قراها انه لم يبق من معالمها الا رسوم داثرة والطلال بالية تنبئ على العهد القديمة مستنبلة البنا محضرة الاكناف فيانس لعلم بحدبها انيسا ساكنا فاذا جاءها وجدها عالية البنيان خالية من الاهل والسكان الا اهل العمد واصحاب السائمة ليست بذات حرث ولا زرع وانما خضرتها مروج اطلقها باريها وبها من النباتات البرية لا بذرها باذر ولا زرعها زارع ويوجد بها خلف من بقايا العلماء ويجزي التيمم بالترب لعدم الماء ٥ واما الشاش فمقدار عرضها مسيرة يومين في مسيرة ايام وليس بخراسان ولا ما وراء النهر اقليم صغير على قدرها في صغر المساحة اكثر منها منابر وقرى عامرة وقوة شوكة وهي في ارض سهلة ليس بها جبل ولا ارض مرتفعة حزونة هي اكثر نفر واستيهم من طين وعامة دورهم

تجري فيها المياه وكلها مستتر بالخضرة ولها مدن كثيرة تتدانى وتتقارب مسافتها ٥ واما اسبيجاب فمدينة لها قهندز وربض اما القهندز فخراب والمدينة والربض عامران وعلى المدينة سور يحيط بها مقدار فرسخ وفي ربضها مياه وبساتين وبناؤها بطين وهي في مستوى من الارض ولها اربعة ابواب وهي مدينة ذات خصب وسعة ولا خراج عليها ومن مدنها الطراز ونوجكث ونخشب ٥ واما باراب فهو اسم الناحية ومقدارها في الطول والعرض اقل من يوم وبها سبخة وباس وهي في سبخ ولها غياض ومزارع وقصبتها تسمى كدر ومنها فيلسوف الاسلام ابو نصر الفارابي مفسر كتب القدماء المتقدم في العلوم العقلية على كل متاخر ومتقدم والناس يقولون الفارابي والصحيح الباراني بالباء الموحدة لان هذه تسمية تركية وليس في اللغة التركية فاء ٥ واما خجندة فانها متاخمة لفرغانة وهي في جملتها وهي منفردة باعمال خاصة وهي على نهر الشاش في غربيه وطولها اكثر من عرضها ولبساتينها ودورها متفرقة ولها قرى يسيرة وهي مدينة نزهة وفواكهها حسنة ولكنها تضيق بها من زرعانها فتجلب الغلات من فرغانة واسروشنة اليها ويحدر النهر بها السفن من نهر الشاش وهو نهر عظيم ويعظم بانهار تجتمع اليه في حدود الترك وعموده نهر يخرج من بلاد الترك في حدود دوانكث ثم تجتمع اليه انهار فيغزر

ويمتدّ على خجندة ثم يمرّ على ساكت فيجري الى باراب واذا جاوز حدّ صبران
جرى في برّيّة لتكون في حاشية بلد الاتراك الغزية فيمتدّ حتى
يقع في بحيرة خوارزم قال صاحب كتاب اشكال الارض وهو نهر اذا امتدّ
يكون نحو ثلثي نهر جيحون ٥ واما فرغانة فهي اسم الاقليم وهو
عمل عريض موضوع على سعة مدنها وقراها وقاعدتها مدينة اخشيكث
وهي على شطّ نهر الشاش على ارض مستوية ولها قهندز وربض ومقدارها
نحو ثلث فرسخ وبناؤها من طين وعلى ربضها سور وعليه ابواب من
المدينة وفي الربض مياه جارية وحياض كثيرة وكلّ باب من ابواب ربضها
يفضي الى بساتين ملتفّة وانهارها لا تنقطع مقدار فرسخين ويحاذيها
اذا عبر نهر الشاش مروج ومزارع كثيرة رمال مقدار مرحلة ويليها
مدينة قبا وهي من فرغانة من اكبر مدنها لها قهندز وربض والقهندز
خراب والجامع في القهندز واسواقها في ربضها ودار الامارة في
الربض وعليه سور يحيط به ولها بساتين كثيرة ومياه غزيرة
ويليها في الكبر اوش من فرغانة ملاصقة للجبل وهي مدينة عامرة
ذات قهندز عامر ولها ربض وعليه سور ولها ثلثة ابواب واوزكند
وهي اخر وهي اخر مدن فرغانة لها قهندز وربض واسواقها في
الربض مطوّقة بالبساتين والمياه الجارية قال صاحب كتاب اشكال
الارض وليس بما وراء النهر اكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حدّ القرية مرحلة
لكثرة اهلها وانتشار مواشيهم في المراعي وسألت عن هذا العمل ابا المكارم

حمد بن محمد الفرغاني فقال هي اكبر مما قال والبلاد باقية على
هذه الحال في الاتساع ولكن قد قلّ ناسها ٥ واما اسروشنة
فهو اسم الاقليم كالسغد وقاعدتها مدينة بونجكث وبها من المدن
ارسبانيكث وغرق وفنكث وساباط وزامين ٥ قال
صاحب الروض المعطار في اخبار الاقطار اسروشنة ارض
يحيط بها من اقليم ما وراء النهر من شرقيها بعض فرغانة ومن
غربيها بلاد الصغد والصغانيان وشمالها بلاد الشاش ولاسروشنة
مدن كثيرة ومملكتها واسعة جليلة ويقال ان فيها اربعمائة
حصن ولها واد عظيم ياتي من نهر سمرقند ويوجد في ذلك الوادي
سبائك الذهب ٥ وقال صاحب كتاب اشكال الارض
اما مدينة بونجكث فهي مسكن الولاة يحزر رجالها نحو عشرة
آلاف رجل وبناؤها بطين وخشب وعليها سور ولها ربض وعلى
ربضها سور ولها سور ثالث من وراء ذلك وللمدينة الداخلة
بابان وداخل المدينة المسجد الجامع والقهندز ودار الامارة في الربض
في مربعة الامير ويجري بالمدينة الداخلة نهر كبير عليه رحا واسواقها
في المدينة الداخلة ولها بساتين وكروم وزروع وذلك كله دون
السغد ولها اربعة ابواب ولها ستة انهار جميعها من عين واحدة
ومنبع واحد مقدارها بها مزيد على عشرة ارحية ومن المدينة الى منبع
الماء مقدار نصف فرسخ ويليها في الكبر مدينة زامين وهي على

طريق ترغان الى السغد وباقي بلادها متقاربة في الكبر والنزهة والبساتين والمياه

الفرقة الثانية

في خوارزم والقبجاق

حدثني الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلي ان هذه المملكة متسعة الجوانب طولا وعرضا كثيرة الصحرا قليلة المدن وبها عالم كثير لا تدخل تحت حد وليس لهم كبير نفع لقلة السلاح ورداة الخيل وارضهم سهلة قليلة الحجر لا تطيق خيل ربيت فيها الاوعار ولهذا يقل غنا اهل هذه المملكة في الحروب وليس لملوكهم عظيم عناية بالاوضاع وترتيب سلطان هذه البلاد في امور جيوشه وسلطانه ترتيب مملكة العراق والعجم في عدة الامرا والحكام والخدم ولكن ليس لاحد مير الالوس والوزير بها تصرف امير الالوس والوزير بتلك المملكة ولا لسلطان هذه المملكة نظير ما لذلك السلطان من الدخل والمجابي وعدد المدن والقرى ولا مشي اهل هذه المملكة على قواعد الخلفا مثل اولئك وللخواتين هولاء مشاركة في الحكم معهم واصدار الامور عنهم مثل اولئك واكثر الا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان امرات ابي سعيد بهادر بن خدابنده فانا ما راينا في زماننا ولا سمعنا عمن قارب زماننا ان امراة تحكمت تحكمها وقد وقفت على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بركة وما بعده وفيها واتفقت ارا الخواتين والامرا على كذا او ما جرى هذا المجرى ٥

وقاعدة الملك بها السراي وهي مدينة صغيرة بين رمل ونهر وقد بنى بها سلطانها القايم بها الان ازبك خان مدرسة للعلم وهو معظم لجانب العلم واهله ٥ وحدثني الصدر زين الدين عمر بن مسافر ان هذا السلطان ازبك غير ملتفت من امور مملكته الا الى جمليات الامور دون تفصيل الاحوال يقنع بما يحمل اليه ولا يفحص عن وجوهه في القبض والصرف وان لكل امراة من خواتينه جانبا من الحمل وهو يركب كل يوم الى امراة منهن يقيم ذلك اليوم عندها ياكل في بيتها ويشرب وتلبسه بدلة قماش كاملة ويخلع التي كانت عليه على من يتفق ممن حوله وقماشه ليس يفارق الحبش ولا عالي اليمن وهو مسلم حسن الاسلام متظاهر بالديانة والتمسك بالشريعة محافظ على اقامة الصلوة ومداومة الصيام مع قربه من الرعايا والقاصدين له ولست يده بمبسوطة بالعطا ولو اراد هذا ما وفي لذلك دخل بلاده وغالب رعاياه اصحاب عمد في الصحرا اقواتهم من مواشيهم من الخيل والبقر والغنم والزرع عندهم قليل واقله القمح والشعير واما الفول فلا يكاد يوجد والاكثر الموجود عندهم من الزروع الدخن منه اكلهم وعليه فيما تخرج الارض كلهم والاسعار في جميع هذه المملكة رخيصة الى غاية الا كركانج ام اقليم خوارزم وهي المعبر عنها بخوارزم فانها فيما سكه في اسعار الغلات قد لا ترخص بل هي اما مغلية او متوسطة لا تعرف

الوحص ابدا ۞ واما اللحوم فانها رخيصة وكثيرا اما نزيح الخيل بهذه البلاد
واما سكان البر منهم فانه لا يباع ولا يشترى بينهم اللحم وغالب اكلهم
من لحوم الصيد واللبن والسمن والدهن فان تلفت لاحد منهم دابة مثل فرس
او بقرة او شاة ذبحها واكل هو واهله منها واهدى الى جيرانه فاذا
تلفت لهم ايضا شاة او بقرة او فرس ذبحها واهدى الى من اهدى اليه
فلا تكاد تخلو بيوتهم من اللحم بهذا السبب لان هذا معروف بينهم
كان هدية اللحم بينهم فرض يوفى ۞ وفي سلطان هذه المملكة طوايف
الجركس والروس والاص وهم اهل مدن عامرة اهلة وجبال مشجرة
مثمرة ينبت عندهم الزرع ويدر الضرع وتجرى الانهار وتجنى الثمار
والطاقة لهم لسلطان هذه البلاد وهم معه وان كانت لهم ملوك
كالرعايا فان داروه بالطاعة والتحف والطرف كف عنهم
والا شن عليهم الغارات وضايقهم بالحصار وكم من قتل رجالهم وسبى
نساهم وذراريهم وجلب رقيقهم الى اقطار الارض ۞ ومما
ينضم الى جناح هذا السلطان قوم من الترك في نهاية الشمال من
حدوده وهم في جهد من قشف العيش لانهم ليسوا اهل حاضرة
لهم زرع وشدة البرد تهلك مواشيهم وهم همج رعاع لا لهم مسكة بدين
ولا رزانة في عقل وهم لشدة ما بهم من سوء الحال اذا وجد احدهم
لحما سلقه ولم ينضجه وشرب مرقه وترك اللحم لياكله مرة اخرى ثم
يجمع العظام ويعاود سلقها مرة اخرى ويشرب مرقها ويمش على

هذا بقية عيشهم ۞ واخبرني الصدر جمال الدين عبد الله الحصني
التاجر ان لبس كثير من اهل بادية هذه المملكة الجلود سوا كانت مذكاة
او ميتة مدبوغة او غير مدبوغة من الحيوان الطاهر او غير الحيوان الطاهر ولا
يعرفون في المأكل ما يعاف مما لا يعاف ولا التحريم من التحليل وانهم
في الازمات يبيعون اولادهم ليتقوتوا باثمانهم اذا ضاقت بهم الاحوال في بعض
السنين ويقولون عمن يبيعونه من اولادهم يعيش نحن وهو خير مما نموت
نحن وهو ۞ وجاريت الصدر زين الدين عمر بن مسافر في حديث هذه
البلاد فقال وسالته عما قاله عبد الله الحصني فقال لي كلما اخبرك به
صحيح قلت وترك هذه البلاد هم من خيار الترك اجناسا لوفائهم
وشجاعتهم وتجنبهم الغدر مع تمام قاماتهم وحسن صورهم وظرافة شمايلهم
ومنهم معظم جيش مصر لان سلاطينها وامراها منهم منذ رغب الملك الصالح
نجم الدين ايوب بن الكامل في مشترى المماليك القفجاق ثم انتقل الملك
اليهم مالت ملوكهم الى الجنسية ورغبت في الاستكثار منهم حتى اصبحت مصر
بهم اهلة المعالم محمية الجوانب منهم اقمار مواكبها وصدور مجالسها ورعماء
جيوشها وعظماء ارضها وحمد الاسلام مواقفهم في حماية الدين وجهادهم
اعاديهم واهل جنسهم في الله لا يميل بهم حنو ولا تاخذهم في الله لومة لائم
وكفى بالنصرة الاولى يوم عين جالوت لما خرج الملك المظفر قطز
صاحب مصر اذ ذاك في سنة ثمان وخمسين وستمائة وكسر عساكر
هولاكو على عين جالوت ورحيل هولاكو عن حلب غالبا ونهض

الجيش المصري بما عجزت عنه ملوك اقطار الارض مع اجتهاد السلطان جلال
الدين محمد بن خوارزم شاه رحمه الله حتى قتل ولم يكن الجيش المصري بالنسبة
الى الجيوش الجلالية الا كالنقطة من الدائرة والنغبة من البحر والله يؤيد بنصره
من يشاء وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وهذا من المعجزات النبوية وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال
طائفة من امتي ظاهرين على من عاداهم الى يوم القيامة لا يضرهم من خذلهم
حتى ياتي امر الله وهم على ذلك الا وهم الجند الغربي ٥ وقوله
الا وهم الجند الغربي زيادة في بعض الروايات وهذه الرواية ان لم تصح روايتها
صحت بالمعنى لان هذه الطائفة هي كانت الطائفة الظاهرة التي ارادها
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وعناهم بها لانه لم يظهر على التتار سواهم
وبهذه النصرة دامت النصرة على التتار وكانت بهم لا بغيرهم مع
كثرة من كان من ملوك الاسلام واجتهادهم في الجهاد فيما تمسك بهذه
المرة رمق الاسلام وبقيت بقية الدين ولولاها لانصدع شعب الامة
ووهى عمود الملة ووصلت خيل عبدة الشمس الى اقصى المغارب وذلك
جميع رعان الارض ٥ وهذه جملة معترضة ساقها الاستطراد
بذكر اهل تلك البلاد ولنعد الان الى ذكر ما كنا فيه من ذكر بلادهم
واحوالهم فيها ٥ هذه البلاد من اكثر الارض ماء ومرعى واخصبها
زرعا اذا زرع بها ولكنهم اهل حل وترحال اصحاب ماشية ليس
لهم مبالاة بالمزرع والغراس ولقد كانت قبل استيلاء التتار

عليها معمورة الجوانب وهي الان في بقايا ملك العمارة وفيها الاشجار
المختلفة الانواع من الفواكه العنب والرمان والسفرجل والتفاح
والكمثرى والمشمش والخوخ والجوز وبها فاكهة تسمى بلغة القبجاق بانبك
سنبه بالتين والفواكه الموجودة عندهم الان من بقايا ما باد
من غراس من كان قبل هولاء ممن كان لهم عناية بالزرع
والنصب وهي كثيرة الوجود في جبالهم وما يجلب الى المدن مع كثرة
ما باد واما البطيخ فسحت عندهم سحابه وسحت على عرفها خاصة
الاصفر فانه يبقى عندهم طول السنة ويتقدد منه وهو في غاية صدق الحلاوة
وطيب الطعم مع ما يحكى من كثرة وجوده ورخصه ومنهم من يستخرج
ماءه ويعقد منه الحلوى ٥ ويصيد بهم كثير من الحيوانات كالفنك
والخزر والارنب وغير ذلك فاما في مدن الجركس والروس والاص
فانه كثير عندهم جدا وبها العسل الكثير الابيض اللون اللذيذ الطعم
الخالي من اكلة وقد فشا الان فيهم الاسلام واشرق على اقطارهم
نور الايمان وكان اول من دان بالدين الحنيف من ملوكهم بركة بن جوجي
ابن جنكز خان ومنه لمعت في افاقهم الشوارق الى ان صدع الان الصبح
وتقلصت في جمهورهم المعظم جلابيب الدجى الا في النادر القليل وهم
مع استعلائهم على جيوش الجركس والروس والماجار والاص يختلس
تلك الطوائف اولادهم ويبيعونهم من التجار ومع ظهور الاسلام في
هذه الطائفة واقرارهم بالسنتها دين فيهم من يخالفون لاحكامها في كثير من

الامور واول هذه الطايفة واخرها لا يتفقون مع ياسة جنكز خان وتوقف
غيرهم مع مواخذة بعضهم لبعض اشد المواخذة في الكذب والزنى ونبذ
المواثيق والعهود ومن شان ملوكهم اذا غضبوا على احد من ابا عهم اخذوا
ماله وباعوا اولاده وكذلك اذا سرق سرقة استحق المسروق له مال
السارق واولاده وباعهم ومن خطب الى احد بنته واعطاه القليل زوجه
لها ثم لا يعود يسال عنها كما ذكرنا في مملكة ما وراء النهر ٥
وقال لي المولى الفاضل نظام الدين ابو الفضايل يحيى بن الحكيم ان
لسلطان هذه المملكة على جميعهم خراج يتادى منهم وربما طولبوا
بالخراج في سنة مجدبة لوقوع الموتان في دوابهم او سقوط الثلج وجماد الجمد
فباعوا اولادهم لادا ما عليهم ٥ وحدثني الشريف شمس الدين
محمد الحسيني الكربلائي التاجر في شهر رجب الفرد سنة ثمان وثلثين وسبع مايه
حال عوده من هذه البلاد وكان قد تحول منها في سفن وغرب فيها
ووصل الى افجا كرمان نحو بلاد البلغار وقال لي انه اشترى في سفرته
هذه مماليك وجواري من اباء بهم وامهاتهم لاحتياجهم الحروج بسبق ملكهم
اليهم بالركوب الى بلاد ايران واحتاجوا الى بيع اولادهم وجلب منهم رقيقا
غاليا عاليا ٥ وهذه المملكة قديما هي بلاد القبجاق فلما تغلبت عليها
التتار صارت القبجاق لهم رعايا ثم خالطوهم وناسبوهم وغلبت
الارض على الجبلة والاصل فصار الكل كانهم قبجاق وكانهم جنس واحد
لسكنى المغل ارض القبجاق ومصاهرتهم لهم وبلادهم في ارضهم

وهذا كذا طول المكث في كل بلد وارض يحول الجباير اليها ويحول الغرايز
الى طبا عها كما قدمنا ذكره وقد ينقل اختلاف الالوان او يزيد بسبب
اخر غير السلالة ملك ولقد كان في الدرب والبلغار
من قديم دار اسلام ومستقر ايمان ذكر هذا المسعودي في مروج
الذهب وغيره فاما الان فقد تبدلت بايمانها كفرا وتداولتها طايفة
من عباد الصليب ووصلت منهم رسل الى حضرة مصر سنة احدى وثلثين وسبعمايه
الى سلطانها من صاحب الدرب والبلغار يعرض نفسه على مودته ويسال
منه سيفا يتقلده وسنجقا يقهر اعداه به فاكرم رسوله واعد له وجهز
له معه خلعة كاملة طردوحش مقصب بسنجاب مقندس على مقترح
اسكندري وكلوته زركش وشاش بطرفين رقم ومنطقة ذهب
وكلاليب ذهب وسيف محلى وسنجق سلطاني اصفر مذهب وهم يدارون
سلطان القبجاق لعظمة سلطانه عليهم واخذ بخاطرهم لقربهم منه
ملك والقسطنطينية مجاورة لاطراف ملك القبجاق
وملك الروم معه في طلب دايم وامتراحات متعددة في كل وقت وملك
الروم على تيقن قد جمرته وكثرة حماته وانصاره يخاف عادية شره ويتقرب
اليه بالمداراة ويدافع معه الايام من وقت الى وقت وما زالت تلك حالهم مع
ملوك هذه البلاد من ابا جنكز خان منذ ثبتوا هذه الارض وما تخلو
سنة من تجديد عهود وصلة الى مدد تحمل اليهم واشيا تحمل من
جهة ملك الروم الى القان بمملكة القبجاق ٥ ذكر

العز حسن الاربلي ان بدر الدين حسن الرومي التاجر السفار حدثه
ان حدود هذه المملكة من جهة جيحون خوارزم وصغناق وسوداق
وباركند وجند وسراي ومدينة ماجر واران وانجاكرمان
وكفا وسوداق وسقسين ولاكل وبلغار واعمال سبر
وابر وباشقرد وجولمان ثم من بعد جولمان يتصل حدود اعمال
سبر وابر حدود بلاد الخطا قال ومدينة باكو هي احدى مدن
اقليم شروان وعندها الباب الحديد الذي يسميه الترك دمرقبو
ومن الباب الحديد الذي هو عبارة عن مدينة باكو الى حدود بلاد
الخطا من جهة سبر وابر يكون مسير العقل مسيرة خمسة اشهر
هذا هو طول هذه المملكة ومن نهر جيحون الى نهر طرنا وهذا هو
عرض هذه المملكة وفي هذه المملكة من الانهار الكبيرة المشهورة سيحون
وجيحون وطرنا واتل وياين وتن وطرنو فمن سيحون الى طرنا
مسيرة اربعة اشهر ومن سيحون وجيحون خمسة عشر يوما ومن جيحون
الى ياين خمسة عشر يوما ومن ياين الى اتل عشرة ايام ومن اتل
الى تن شهر واحد ومن تن الى طرلو عشرة ايام ومن طرلو الى طرنا شهر
واحد وينقلب جيحون واتل الى بحر القلزم وسيحون ينتهي الى مقصبه ورمل
تحت مدينة جند ثلاثة ايام ينقلب هناك وباقي الانهر المذكورة تنقلب
الى بحر عمان ٥ وهذه السبعة انهر في هذه المملكة ويتصل منها
الى اقاليم ما وراء النهر سيحون وجيحون ٥ قلت

الذي يصح ان جيحون ينقلب في بحيرة ملح نحو ماية فرسخ ويقع بها نهر الشاش
ايضا واما من زعم ان جيحون يرمي في القلزم فغلط منه وانما اشتبه
عليه ذلك لعظم هذه البحيرة ومن مرمى جيحون ونهر الشاش نحو من
عشرة ايام وتعرف هذه بحيرة خوارزم وعلى وسطها جبل يسمى جعز
يجمد عنده الما حتى يبقى الى الصيف ٥ قال الاربلي ومن
مشاهير مدنها بلغار واقصر ليلها اربع ساعات ونصف قال حسن
الرومي ثم سالت مسعود الموقت بالبلغار عن هذا فقال حررناها بالارصاد
الرصدية فوجدناه اربع ساعات ونصف تحريرا وهو غاية نقصان الليل بها
واما قضية ان تكون حررناها فوجدنا اقصر ليلها ثلث ساعات ونصف
اقصر من ليل البلغار بساعة واحدة قال ومن بلغار وافتكون مسافة عشرين
يوما بالسير المعتاد والقصبة في مصطلح العجم المدينة الصغيرة قال وبعد
افتكون بلاد سبر وابر ثم بعدها بلاد جولمان ٥ واذا سافر المسافر من
جولمان على شرقيها يصل الى مدينة قراقرم ثم الى بلاد الخطا وبها القان
الكبير وهي من بلاد الصين قال وان سافر المسافر على غربيها وصل
الى بلاد الروس ثم الى بلاد الفرنج وسكان البحر الغربي قلت
اما الان فمقر القان خان بالق قال وبلاد السبر وجولمان مضافة
الى باشقرد وفي بلاد باشقرد قاضي مسلم معتبر وبلاد السبر وجولمان شديدة
البرد لا يفارقهم الثلج ستة اشهر لا يزال يسقط على جبالهم وبيوتهم وبلادهم
ولهذا يقل المواشي عندهم وهم سكان قلب الشمال والواصل اليهم

من الناس قليل والاقوات عندهم قليله ويحكى عنهم ان الانسان منهم
يجمع عظام اي حيوان كان ثم انه يغلى عليها بقدر الكفاية ثم يتركها
ويعيد سبع مرات لا يبقى فيها شي من الدهن قال وهم مع ضيق العيش
لبس في اجناس الرفيع اعم من احسابهم ولا احسن من ساضهم صورهم تامه
الخلقة في حسن وبياض ولعومة عجيبه زرق العيون ه
قال العز حسن الاربلي حسن الروى سافر في هذه البلاد وذكر
اكثرها و. قال الشيخ علا الدين بن النعمان الخوارزمي
ان طول هذه المملكة من بحر اصطنبول الى نهر ارتس ستة اشهر وعرضها
من بلغار الى باب الحديد اربعة اشهر تقريبا ه واما الشبهه
في دعوى ملوك القبجاق ان توريز ومراغا لهم على ما اخبرني به المولى
نظام الدين ابو الفضايل يحيى الطيارى ان القان الكبير لما جرد
هولاكو لقتال الاسماعيلية ومن كان يتعصى بالجبال سأله هولاكو
في تكثير الجيوش معه تجرد معه من عسكر كل واحد من ملوك بني جنكزخان
عسكرا فلما فتح بهم ما فتح من البلاد بقيت تلك العساكر معه ورتب لكل
فرقة منهم علوفة على قطر من الاقطار فكان نما رتب للعسكر المجرد
معه من جهة صاحب بلاد القبجاق وخوارزم على توريز ومراغا
فبقوا يأخذون علوفتهم منها ثم لما مات هولاكو وملك ولده
ابغا جاءوا يطالبون ان سلطانهم بركة يريد ان يبني جامعا
بتوريز فمكنهم منه فبنوه وكتبوا عليه اسم السلطان بركة ثم

سالوا ان يعملوا لهم كرخاناه لاستعمال القماش لهم بها فمكنهم منها
وبقوا يستعملون بها القماش للسلطان بركة ودام الحال على هذا
الى ان وقع بينهما وتلاقيا وكسر بركة لابغا فحنق ابغا وابطل الكرخاناه
ثم لما نشبت تلك الوقعة الكاينه وهدى ما بين ملكي المملكتين اعيدت
الكرخاناه على عهدهم يحضرون من بلادهم ابو الا لاستعمال ما شاءوا
فيها فلما تمادت المدد جعلوا الجامع والكرخاناه المبنيين
باسم السلطان بركة سببا لهذه الدعوى ولقد جاءت رسلهم الى
محمود غازان يطلب توريز ومراغا وقالوا له هذي جيوش ابينا فتحها
سيوفهم وهي لنا وحقنا بالارث عنهم فاعطنا حقنا فقال لهم قازان
انا انما اخذت الملك الا بالسيف لا بالميراث ومما اخذته وحزته بسيفي
توريز ومراغا وبيني وبينكم السيف فيها ثم لم يزل السلطان ازبك
القايم الان بمملكة القبجاق يتعلق بحبال هذه الشبهه ويطالب بدعوى
هذه الوراثه ه وسئل الشيخ علا الدين بن النعمان عن جيوشه
فقال كثيره تفوت الحصر فقيل كم هم بالتقريب فقال لا اعلم لكن
خرج مرة عليه وعلى القان الكبير استبغا سلطان ماورا النهر وتغلب
وقطع الطريق وقال انا احق بالملك منهما ونهب السابله واخرج
بداعي طلعة القان فكتب القان الى تقتقا بان يقاتله تجرد
الذين كل عشرة واحدا فبلغ عدة المجردين مايتين وخمسين الفا ه
قال النعمان وهذا الذي دخل تحت العدد والاحصا سوى المجتمعه

والطاعة قال والزم كل فارس بغلامين وثلثين راسا من الغنم وخمسة
ارؤس من الخيل وقد ابن بخاسا وعجله برسم حمل السلاح وغزا
اسبيخا وكسن وانتصر عليه نصرا ظاهرا ثم عاد موبدا
منصورا ٥ قال النعمان مبدا عرض هذه المملكة من دمر
قبو وهي مدينة من بنا الاسكندر كان عليها باب من الحديد
وليس هو الان الى بلاد بوغن وطولها من ما المرلس وهو اعظم
من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخطا الى اصطنبول ويجاوز
هذا الطول قليلا الى بلاد تسمى بنج قاب وبلاد بنج مشتركة
بين بلاد الروس والفرنج قال النعمان والتجار لا يتعدون مدينة
بلغار يسافرون الى بلاد جولمان وتجار جولمان يسافرون
الى بلاد بوغره لانها في اقصى الشمال وليس بعدها عمارة غير
برج عظيم من بناء الاسكندر على هيئة المنارة العالية
وليس وراه مذهب الا الظلمات فسئل اي شي عندك الظلمات
قال صحار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد ولا تطلع عليها
الشمس ولا ينبت فيها نبات ولا يعيش فيها حيوان اصلا
يتصل ببحر اسود لا يزال المطر والغيم منعقد عليها و لا
تطلع عليه الشمس اصلا ابدا قال النعمان وقيل ان الاسكندر
مر باطراف اوايل جبال الظلمات الغربية من العمارة فراى
فيها اناسا من جنس الاتراك اشبه الناس بالوحوش لا يعرف احد

ملبسهم واذا امسك بهم احد فروا من يديه يأكلون من نبات الجبال
المجاورة لهم فاذا اخطوا الاكل بعضهم بعضا فمن بهم ولم يعش صنفهم
قال النعمان وقد ذكر صاحب مملكة القبجاق والخزرية
هذا الملك سكان عرض الشمال وهم امم لا يحصون والكرهم
روس ثم من بعدهم اتراك دشت القبجاق وهم قبائل كثيرة فمنهم
مسلمون ومنهم كفار ويبيعون اولادهم وقت الغلاء والقحط واما
في الرخص فيسمحون ببيع البنات دون البنين ولا يبيعون الولد الذكر
الا عن غلبة ٥ وحدثني الفاضل شجاع الدين عبد الرحمن
الخوارزمي الترجمان ان مدينة السراي بناها بركة قان على شط
نهر توران وهي في ارض سبخة بغير سور ودار الملك بها قصر
عظيم على عليائه هلال ذهب قنطاران بالمصري ويحيط
بالقصر سور وبه ابراج مساكن لامرائه وبهذا القصر مشاتيهم ٥
قال وهذا النهر يكون قدر النيل ثلث مرات او اكثر
وتجري به السفن الكبار تسافر الى الروس والصقلب واصل
هذا النهر ايضا من بلاد الصقلب ٥ قال وهي يعني السراي
مدينة كبيرة ذات اسواق وحمامات ووجوه بر مقصوده بالاجلاب
في وسطها بركة ماؤها من هذا النهر يستعمل ماؤها للاستعمال
واما شربهم فمن النهر يستقى لهم في جرار فخار وتصف على العجلات
وتجر الى المدينة وتباع بها وبعدها عن خوارزم نحو شهر ونصف

وبينها وبين السراي مدينة وحق ومدينة قطلوكنت ودينارهم رائج
عنه ستة دراهم قال والاسعار في خوارزم والسراي لا يكاد
يتباين ما بينهما والرطل الخوارزمي وزنه ثلثمائة وثلثون درهما واقواتها
بما ذكر من القمح والشعير والدخن ويسمى عندهم الازرن
والماش والجاورس وهو شبيه بحب البرسيم واللبس يباع عندهم هذه
الحبوب الا بالرطل يقال لكل حمل حمار بكذا وحمل الحمار عندهم
مائة رطل بهذا الرطل والسعر المتوسط القمح بدينارين ونصف
وكذلك الماش والشعير بدينارين وكذلك الدخن
وكذلك الجاورس او ازيد والغالب ان يكون سعر قياس سعر القمح
وسعر الشعير واللحم الضاني على السعر المتوسط في كل ثلثة
ارطال بدرهم وبها من جميع انواع الفواكه الا النخل والزيتون
وقصب السكر والموز والاترج والليمون والنارنج وفيها من
انواع الطير والوحش وبها الغزلان كبار احدا بلون الغزال
قدر بقر الوحش وبها معدن يخرج منه احجار يعمل منها قدور
تقيم القدر نحو سبعين سنة لا تتغير وبها جبل يقال له جبل الخير
من خوارزم فيه عين تعرف به يقصدها ذوو الامراض المزمنة
ويقيمون عندها سبعة ايام في كل يوم يغتسلون بمائها بكرة
وعشية ويشربون عقيب كل اغتسال الى ان ينقطعوا فيحصل لهم
البرء وبجيحون سمكة لا يوجد بها عظم الا الميل الذي في

سلسلة الظهر يشعب والا فكلها لحم وراسها غضروف ٥ وخوارزم
على جيحون بين شعبتين منه مثل السراويل وبخوارزم ما به بيت
يهود وما به بيت نصارى لا غير ولا يسمح لهم في الزيادة على ذلك
ويلي خوارزم ارض مدورة وتسمى هذه الارض الملقد منقسلاغ طولها
خمسة اشهر وعرضها كذلك وكلها صحرا وسكانها امم كثيرة
من البرجان ويفصل بين هذه الارض وبين جيحون جبل اسمه
اق بلقان شمالي خراسان وخوارزم اقليم منقطع عن خراسان
وعما وراء النهر ويحيط بها المفاوز من كل جانب وحد متصل
حد الغزية مما يلي الشمال والغرب وجنوبيه وشرقيه خراسان
وهو على جانبي جيحون وقصبته في الجانب الشمالي منه ويسمى كاث
باللغة الخوارزمية وفي الجانب الجنوبي الجرجانية وفي هذا الاقليم
عدة مدن واول حد خوارزم بلد يسمى الطاهرية مما يلي امل ويمتد العمار
في جانبي جيحون معا ٥ وملوك هذه المملكة مشتاهم السراي
كما ذكرنا ومصيفهم بها وجميع ملوك توران وسارها جبل
اسمه ارق طاغ طوله من اقصى الصين الى اقصى الغرب ينقطع بالبحر
المحيط عند منتهى سببه ويقع البحر الرومي وكلما انشق منه وساير
بلاد توران في جنوبه ٥ وحدود مجموع مملكة ازبك طولا من درغان
خوارزم من الشرق الى باشغرد وعرضا من خوارزم الى اقصى
بلاد دسبرا التي تجلب منها السمور والسنجاب وهي من بلاد

الصقالبة قال وليس يغيب عندهم في الصيف شيء قال وقد
حدثني فيما من بعض اهلها كيف تكون صلوة اهل بلد لا
يغيب عندهم الشفق حتى يطلع الصبح لسرعة انقضاء الليل
قال فلما صارت هذه المملكة بعد ملوك الخوارزمية الى بني
جنكزخان استمروا بعساكرهم الدائم على حالهم على اقطاعاتهم
وكل من كان بيد ابائه شيء هو الان بيد ابنائه قال والامرا
لهم بلاد مشهورين يعمل بلاده في السنة مائتي الف دينار رائجا وما
دون ذلك الى مائة الف دينار رائج ولهم الجند وليس لاحد مشهور
الا نقود يؤخذ من على القطع وكلهم سوا الكل واحد منهم في
السنة مائتا دينار رائج وقد كان زيهم زي عسكر مصر والشام
في الدولة الاسلامية وما يناسب ذلك فاما الان فزيهم زي
التتار الا انهم بعمايم صغار مدورة ٥

الفصل الرابع في مملكة الايرانيين

وهي العراق والعجم وخراسان هذه المملكة طولا من نهر
جيحون المحيط باخر حد خراسان الى الفرات القاطع بينها
وبين الشام وعرضا من كرمان المتصل بالبحر الفارسي المنقسم
من البحر الهندي الى نهاية ما كان بيد نوابها والملوك
السلجوقية بالروم على نهاية حدود العلايا وانطاليه من البحر
الرومي ويفصل في الجانب الشمالي بين هذه المملكة وبين بلاد

القبجاق النهر المجاور لباب الحديد وهو المسمى باللغة التركية دمر
قانو بحر طبرستان وهو المسمى بحر الخزر وبالقلزم ٥
اخبرني الفاضل نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم الطيارى
ان هذه المملكة تكاد تكون مربعة فيكون طولها بالسير المعتاد
اربعة اشهر وعرضها اربعة اشهر وهذه هي المملكة الصائرة
الى بيت هولاكو بن طولي بن جنكزخان وتداولها السلاطين
من ابنائها الى الان وهي متوسطة في المعمور من اجل ممالك الارض
واوسطها في الطول والعرض وبها تخت الاكاسرة الى ان تسلمه الاسلام
ثم استقرت بها قاعدة الخلافة العباسية الى اخر الايام ذات
اقاليم كثيرة ومدن كبيرة مشتملة على رساتيق واعمال وخطط
وجهات وقاعدة الملك بها الان توريز ثم السلطانية وبنت هولاكو
يرون ان الملك لمن يقعد على التخت بها وجبال اوجان في ظواهر
توريز وفيها من الممالك العظيمة العراقان عراق العرب وعراق
العجم وخراسان وكرمان وفارس واذربيجان واران والري
والجبال وديار بكر وربيعة والجزيرة وارمينية وكردستان
والروم واذا انصفت هذه المملكة كانت قلب الدنيا على الحقيقة
ولهذه المملكة تتدرج في مطاويها عدة ملوك كلهم عبيد سلطانها
كصاحب هري واصل اسمها حقيقة هراة وصاحب كرمان
وصاحب كيلان وصاحب سمنان وصاحب مالاين وصاحب

ارزن ٥ ونحن نتكلم على قواعد الملك بها اما توريز فواقعة
في اذربيجان وهي مدينة قديمة اعرقت في السعادة انسابها
ونبتت في النعمة قواعدها واما السلطانية فواقعة في عراق
العجم بناها السلطان محمد خدابنده اولجايتو بن ارغون بن ابغا
ابن هولاكو رفع بناها ووسع فناها واتقنت قسمتها في
الخطط والاسواق وجلب اليها الناس من اقطار مملكته واستجلبهم
اليها بما بسط لهم كانها من العدل والاحسان وهي الان
عامرة اهلة كانما مرت عليها مئين سنين لكثرة من استوطنها
من اهل بها واولد من الولد فيها وقد مضت عليها مدة بلغ بنوها
مبالغ الرجال وشبهم من جاز الى رتبة الاكتهال ٥
واما اوجان فهي بظاهر توريز ذات مروج ممتدة ومآجم وبها
قصور للخدم او لحرم ملوكهم صار بعد المنزل السلطاني وبنى اكابر
الامرا قصور المنازلهم حوله فاما عامة الخواتين والامرا والكبرا
فانهم يتخذون زروبا من القصب كالحظائر ينزلون فيها ايام
نزولهم باوجان في مشتاهم ويضيفون مع حظائرهم الخركاوات
والخيم ومد الاسواق ويبقى مدة مشتاهم بها مدينة متسعة الجوانب
فسيحة المذاهب حتى اذا كان خرجوا الى مصيفهم راحلين عنها
احرقوا تلك الحظائر لكثرة ما يتولد فيها لا تحرق من الافاعي والحيات
اخبرني الفاضل نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم ابن الحكيم على

تلك الحظائر خزائن اموال ثم يحرقونها لا يبالون بها ٥ وملوك هذه
المملكة مشتاهم باوجان وفي بعض السنين ببغداد واما مصيفهم
ببقراباغ وقراباغ باللغة التركية معناه البستان الاسود
وتربته سوداء وبه قرى ممتدة وهو صحيح الهوا والما كثير المرعى
واذا نزل به الاردو والاردو هو محلة السلطان واخذت الامرا
به والخواتين منازلهم ينصب به مساجد جامعة واسواق متنوعة
يوجد بها من كل ما في امهات المدن الكبار حتى يكون للخاطيات
اسواق ومحلات ولا منكر على احد بل كل امرئ وما استحسن وانما
الموجودات على كثرتها من الملابس والماكل والمشارب والماعون
واجر الصنائع غالية حد الكلفة لمحل ومؤنة الاسفار حتى يبلغ الشي
ثمن مثله مرتين واكثر ٥ واما الكلام في توريز فانها
مدينة غير كبيرة المقدار والما مساق مجلوب اليها وبها انواع
الفواكه ولكنها ليست بغاية في الكثرة واما اهلها فمن اظهر الناس
همة واكثرهم تظاهرا بنعمة ولهم الاموال المديدة والنعم الوافرة
والنفوس الابية للدنايا ولهم التجمل في زيهم جميعه من الماكول والمشروب
والملبوس والمركوب وما منهم الا من يانف ان يذكر الدرهم في معاملته
بل لا معاملة بينهم الا بالدينار وهو مسمى عندهم بالرايج عن ستة
دراهم هو معاملة تلك المملكة الا بغداد وبلادها وخراسان
فاما معاملات بغداد فستاتي في مكانها واما خراسان

ودينارها اربعة دراهم كما تقدم ذكره في مملكة ما وراء النهر وفي بعضها
هذا الرائج ولنرجع الى ما كنا في ذكره من امر توريز وقد ذكرنا
انها مدينة ليست تجاريه في الكبر ولا لها حواضر في خارجها وهي اليوم
ام ايران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة اليها وبها محط رحال
التجار والسفار وبها دور اكثر الامراء الكبراء المصاحبين لسلطانها لقربها
من اوجان وهي مستقر اكثر اوقاتهم ويشتد البرد بتوريز كثيرا
وتتوالى الثلوج بها حتى انه ليتخذ سروات اهلها في دورهم ادرا مستويه
لا انفراج في سقوفها ولا في دوايرها ولا ضوء لها الا ما يؤديه طاقات حيطانها
من وراء الزجاج المركب عليها ۵ واما السلطانية فاوسع بقعة
وفضاء واكثر فاكهة وماء وهي مع كون بعض سلاطين هذا
البيت انشاها الا انهم بها اقل من توريز وبها قلعة مبنية من حجر على
بسيطها فاما الموجود بتوريز وبالسلطانية من الفواكه فمن انواعها
خلا ما لا يطلع في البلاد المفرطة البرد كالاترج والنارنج والليم والليمو
والرطب والقصب والموز وما يجري هذا المجرى فانه لا يحمل اليها الا محمولا
من العراق وهي بلاد ما للزيتون بها نبات فاما ما عدا هذا من الثمار والرياحين
وغالب الخضراوات فانها لا تعدم انواعها من كثير ومتوسط وقليل على
اختلاف الشجر والنبات والقمح والشعير والحمص والعدس والفول موسط
الوجود بها ولو توفرت الدواعي على الفلاحة والزرع لكثرت غلاتها
وعظمت جباياتها لكن ملوكها لا التفات لهم الى ذلك ۵

فاما الاسعار بتوريز والسلطانية فمتى نزل السلطان على جهة غلت
اسعارها لكثرة اتباعه والنازلين معه مع قلة الزروع في الاصل
واما ما لا ينزل عليه السلطان فاسعاره رخيصة ولا الى غاية ولا يباع بتوريز
والسلطانية وبلادهم يعني اهل هذه المملكة غالبا في الغالب قمح ولا
شعير ولا شيء مما سوى هذا الا بالميزان وليس لهم الا المن وهو
بتوريز رطلان بالبغدادي فيكون زنته مايتين وستين درهما وبالسلطانية
المن زنته ستمائة درهم واما معاملتهم فكما تقدم بالدينار الرائج
سالت الفاضل نظام الدين ابا الفضائل يحيى بن الحكيم عن السعر المتوسط
في توريز والسلطانية فقال اما مع نزول السلطان فغلا حتى كان
واما مع عدم نزوله فلا يكاد يتفاوت يباع الخبز كل منين بسدس دينار
وهو درهم واحد وهكذا الشعير اذا رخص قليلا واما في السلطانية
فعلى نسبة هذا السعر واما ما يباع بالاردو فغلا لتكلف حمولته
واما اللحم فمن الكل فكثير جدا ۵ ومما لا بد من ذكره في هذه
المملكة مدينة بغداد دار السلام ومدار الاسلام لانه مما لا يجوز اهمال
ذكرها واخلاء هذا الكتاب من شيء من حالها فانها وان لم تكن
اليوم كرسي ملك فانها كرسي ملك الوجود وقد تقدم القول ان المنصور
ابا جعفر بناها وهي جانبان على ضفتي دجلة شرقي وغربي
كل منهما مدينة كبيرة عظيمة غنية بنفسها عن الاخرى احدهما بناء
المنصور والاخرى بناء المهدي موضع معسكره وبينهما جسران منصوبان

احدهما يعرف بالعتيق والثاني بالجديد وهما منصوبان على دجلة شرقا
وغربا على سفن وزواريق اوقفت في الماء ومدت بينها السلاسل الحديد
المكعبة بالكعاب الثقال وفوقها الخشب الممدد وعليها التراب مغلوف
بالقير يمر عليها اهل كل جانب الى الاخر بالجمال والخيل والحمول
وعلى صفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والابنية العلية بالشبابيك
والطاقات المطلة على دجلة وبناؤها بالاجر وهو المسمى بمصر الطوب
ومن بيوتها ما هو مفروش بالطوب وما هو مفروش بالقير ولهم الصنائع
العجيبة في التزويق بالطوب وبها بساتين في دجلة والفرات وبها البساتين
المونقة والحدائق المحدقة واما النخيل فلثمراتها فضل على ما سواها من
انواع متنوعة من التمر والرطب وبها انواع الرياحين والخضراوات
والغلال وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يرخص وبها ديناران
احدهما يسمى العوال عنه اثنا عشر درهما الدرهم بقيراط وحبتين
وذلك الدينار عشرون قيراطا كل قيراط ثلاث حبات كل حبة اربع فلوس
تفترق عن كل فلس فلسان احمران والثاني الدينار المرسل وبه اكثر
مبايعاتهم ومعاملات تجارهم عنه عشرة دراهم واما الرطل البغدادي
فوزنه مائة وثلثون درهما والمن بها مثله من توريز وهو رطلان بالتوراني
واما كيل الغلال بها فاكثرها الكر وهو ثلثون كارة كل كارة
قفيزان فيكون الكر ستون قفيزا والقفيز مكوكان كل مكوك
خمس عشر اواق ويختلف الكار في الغلال والقمح والهرطمان وهو

كان كل منها مائتان واربعون رطلا وكان الارز ثلثمائة رطل
وكان كل من الشعير والحمص والعدس والهرطمان مائتا رطل
وكان الحبة السوداء المسماة بالشونيز مائة رطل قال الفاضل
نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم ان القانون ببغداد ان كر
القمح تسعة وثلثون دينارا ونصف دينار والشعير خمسة عشر دينارا
كلاهما من العوال قال ولعل هذا هو السعر المتوسط لا يكاد
يميل فيه القانون عن معدله واما اذا كان المشتى ببغداد دونا هيك بقلة
الاقوات والغلاء الزايد واذا شتى السلطان ببغداد دونا هيك بقلة
الاقوات نزلت بدار تعرف بالجاثليق من دور الخلافة فهي الان باقية البناء
تامة البهجة صالحة لمنازل الملوك ۞ قال قاضي القضاة ابو محمد الحسن
الغوري انها ليست من دور الخلفاء بل هي دار الدوادار الكبير وكان
قد نزلها الجاثليق في زمان هولاكو وكان معظما عنده لمكانه من طقز خاتون
زوجة هولاكو ۞ ولقد كنت سالت الصدر مجد الدين بن الدوري
عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها وقبول ارضها
للنبات فقال لهذا سببان قلة الزرع لما استهلكه القتل زمان هولاكو
ومن العراق لما جاوره من البلاد وببغداد خاصة وهذه المملكة عامة
الاثار الجميلة والاثار الباقية من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق
والربط والبيمارستانات والصدقات الجارية ووجوه البر المتعددة
ومن يوفي صفات محاسن العراق وقد كانت قبلة ملوك الافاق

وربما بالعهد من قدم ومنها قلائد الاعناق وتزاينها لمي القتيل وامثال
الاحداق ٥ وسألت الفاضل نظام الدين ابا الفضائل يحيى بن
الحكيم ان كانت الاوقاف باقية في نواحي هذه المملكة عليها الان ام نالتها
ايدي العدوان فاخبرني بانها جميعها جارية في مجاريها لم يتعرض اليها
متعرض لا في دولة هولاكو ولا فيما بعدها بل كل وقف بيد متوليه
ومن له الولاية عليه وكل ما نقل من نقص احوال الاوقاف بالايران
جميعا هو من سوء ولاة امورها الان سواهم ٥ وحدثني هذا الفاضل
نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم الطيارى بكثير من احوال هذه
المملكة وقواعد ملوكها وترتيب جنودها وجيوشها فمما حدثني
ان السلاطين بها لا التفات لهم الى امر ولا نهي في البلاد ولا في محصلات
الدخل والخرج فيها بل الوزير هو حامل هذه الاعباء وله التصرف المطلق
في الولاية والعزل والعطاء والمنع لا يشاور السلطان الا على ما جل
من المهمات وفي ما قل من الامور بل هو السلطان حقيقة وصاحب البلاد
معنى واليه ترجع الامور كلها وبيده عقدها وحلها فاما الجيوش
والعساكر فالى كبير امرا الالوس وهو المسمى بكلاري بك
اي امير الامرا كما كان قطلوشاه مع السلطانين محمود غازان
واخيه محمد خربندا وجوبان مع محمد خربندا ثم بعده مع ولده
السلطان بو سعيد بهادر خان وهذا القائم الان الشيخ حسن
ابن حسين بن اقبغا مع قانه السلطان محمد بن طشتمر بن اسنتمر

ابن عمر حي وامرا الالوس اربعة بكلاري بك وثلثة اخر ويسمى
هولا الاربعة امرا الالوس ويشترط ان يكون هولاء هم الذين
تكتب اسماؤهم في اليراليغ والفرمانات بعد اسم السلطان ثم
اسم الوزير بعدهم ولا يتوقف في كتابة اسم من هو غائب منهم عن
الاردو بل تكتب اسماؤهم كلهم حضر منهم من حضر وغاب من غاب
وكل ذي سيف لا يخرج امره عن الفه بهذه الوظيفة التي هي امرة امرا
الالوس وكل ذي قلم ومنصب شرعي لا يخرج عن الوزير وطبقات
الامرا اعلاها النوين وهو امير عشرة الاف ثم امير الف ثم امير مايه
ثم امير عشرة هذه طبقاتهم لا نقص فيها ولا مزيد عليها
وعامة العسكر لا يزال اسماؤهم وهم في دواوينهم على الوزراء بل كل
طائفة عليهم في الديوان فارس معين اذا رسم له بالركوب ركبوا
منهم العدة المطلوبة ٥ وسألت الفاضل ابا الفضائل يحيى بن
الحكيم عن مقدار عدة الجيش فقال اما المنزل في دواوينهم فما يبلغ
عشرين تومانا واما اذا ارادوا ركبوا ثلاثين تومانا وما يزيد عليها
وهم اليوم على ايتات شمل وشتات اراء لا يلتئم لهم جمع ولا
يضمهم وفاق قلت له فكم مقدار ما لهولاء من الارزاق فقال
اما ما هو مستقر لهم في دواوينهم من زمان هولاكو فلا يرضي احاد
كبارهم به ولا باضعافه مرات واما الصغار فما يتجاوز احد
منهم المستقر له قلت له فكم هو المستقر في الديوان وبكم يقنع كبارهم

الآن فقال المقرر من قديم لكل نوين امير تومان تومان وهو عشرة
آلاف دينار رايج عنها ستون الف درهم واما اليوم فما يقنع النوين منهم
الا بخمسين تومان وهي خمس مائة الف دينار رايج عنها ثلثة آلاف الف درهم
ومن خمسين تومان الى اربعين تومان واما كبيرهم بكلاري بك
فالذي استقر لجوبان لما تمكن بعده ثلثمائة تومان وهي ثلثة آلاف الف دينار
رايج عنها ثمانية عشر الف الف درهم مع ما يحصل لكل من امرا الالوس
الاربعة من الخدم الكثيرة في البلاد جميعها عند تعويزات الضمان
لما على ضمانها على ما ننبه عليه في موضعه قال واما امير الالف
ومن دونه فلا يتجاوز احد منهم مقرره القديم في الديوان لامير الالف الف
دينار رايج عنها ستة آلاف درهم واما امير المائة وامير العشرة وكل واحد
من العسكرية اي الجند فمائة دينار رايج عنها ستمائة درهم لا تفاوت بينهم
هذا هو المقرر الجاري من قديم والاما يعني سرية امير المائة او العشرة
انه ياخذ لنفسه شيئا مما هو للعسكرية ولكل طائفة ارض ليروهم
تواريثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاكو هذه البلاد فيها منازلهم
ولهم فيها مزدرع لاقواتهم لكنهم لا يعيشون بالحرث والزرع هذه
جملة ما هو لعساكر ايران مما ازداد وما هو مستقر في الديوان
واما الخواتين فالذي لهن الآن منه ما يبلغ للخاتون الواحدة مائتا تومان
وهو الفا الف دينار وعنها اثنا عشر الف الف درهم وما دون ذلك
الى عشرين تومانا وهو مائتا الف دينار عنها الفا الف ومائتا الف درهم

وقال لي الفاضل ابو الفضائل يحيى بن عبد الحكيم وهذا قد يزيد وينقص
واما الوزير فله مائة وخمسون تومانا وهو الف الف وخمس مائة الف دينار
رايج عنها تسعة آلاف الف درهم قال ولا يقنع بعشرة اضعاف
هذا في تقادير البلاد واما الخواجكية من ارباب الاقلام فمنهم من
يبلغ في السنة ثلثين تومانا وهي ثلث مائة الف دينار عنها الفا الف وثمان
مائة الف درهم قال وبهذه المملكة ما لا يحصى من الادرارات والمعيشات
والمرسومات حتى ان بعض الروايات تبلغ عشرين الف دينار واما الادرارات
من المبلغ او القرى فانها تبقى لصاحبها كالملك يتصرف فيه كيف شاء من بيع
وهبة ووقف لمن اراد والمعايش لمدة الحياة لا غير والمرسومات
والانعامات قال وهي ما لا يحصى قال ومن هؤلاء من المستوفين من له
الضبط على اتساع اقطار الممالك قال واما وظيفة القضاء فعادة
هذه المملكة ان يكون بها في صحبة السلطان قاضي قضاة الممالك
وهو يولي في جميع المملكة على تنائي اقطارها الا العراق فان لبغداد
قاضي قضاة مستقل بها يولي فيها وفي بلادها جميع عراق العرب
وقال لي قاضي القضاة ابو محمد الحسن الغوري ان اخر ما استقر لست
تري وتومان عن عشرة آلاف دينار في السنة ه قال الفاضل
نظام الدين ابو الفضائل يحيى بن الحكيم ان ملوك هذه المملكة وامراها لهم
ميل كلي الى الشراب فملوكها اشتغالهم كله بلذاتهم وامور دولتهم
منقسمة بين امير الالوس والوزير على ما تقدم ولا اشتغال لسلاطينهم

بالمدات والعكا فهم على مبنى نفوسهم ومنتهى شهواتهم اعرضوا عن تدبير البلاد
واحوالها ولم يفكروا في مآلها ان كثر او قل ومملكتهم كيش وعمان
وهما مغاص اللؤلؤ وبالدامغان في جبلها معدن ذهب قال لي
شيخنا الامام العلامة فريد الدهر شمس الدين ابو الثنا محمود الاصفهاني
ان هذا المعدن قليل المتحصل لكثرة ما يحتاج من الكلف حتى يستخرج
ولشمس كاره شر في العجم الباذزهر الحيواني يوجد بمعالق الايايل
وهو الذي لا يباريه شيء في مقاومة السموم قال لي ابن البيطار واجوده
الاصفر ثم الاغبر وخاصيته النفع من السموم الحيوانية والنباتية ومن
عض الهوام ولدغها واذا شرب منه مسحوقا او محكوكا وزن اثني عشرة
شعيرة خلص من الموت واذا امتص بادر للسم يقعه وان نثر على
موضع لسع الهوام حين يلسع اجتذب السم وبها الاثمد على مسافة يوم
من اصبهان في حفر بالارض وهو الذي لا يقوم شيء مقامه وانما قل النوع
الجيد الاصفهاني الآن ه سألت شيخنا شمس الدين محمود
الاصفهاني عن سبب قلته فقال لانقطاع عرقه فما بقي منه يوجد
الامائري منه ه وبهذه المملكة مستعملات القماش الفاخر من النخ
والمخمل والكمخا والعتابي والصافي والصوف الابيض الماردين
وهو النهاية في بابه ويعمل البسط الفاخرة في مواضع بها مثل شيراز
واقصرا وتوريز ه وحدثني شيخنا فريد الدهر شمس الدين ابو الثنا
محمود الاصفهاني ان بمدينة قشمير مسيرة ثلاثة ايام عن اصفهان عين

ما سار حج ثوره يسمى ماؤها ماء الجراد له خاصية ان يحمل من مائها في
اناء الى الارض التي اتاها الجراد فيعلق ذلك الاناء في تلك الارض
فيقصدها ما لا يحصى من طير يقال له سار فيأكل ما فيها من الجراد
حتى يفني قال لي شيخنا شمس الدين وتعليق هذا الاناء شرط في
خاصيته بحيث لا يمس الارض في طريقه ولا في مكان تعليقه ه
وحكى لي الامير السيد النجيب في كاتبه محمد بن حيدر الشيرازي انه بين
الدامغان واستراباد من خراسان عينا طاهرة اذا القي فيها نجاسة
فارما وها وزبدت وتكدر رجوها قلت وهذا كما يحكى عن نهر
بالهند وقد تقدم ذكره وحدثني شيخنا فريد الدهر شمس الدين الاصبهاني
ان بمازندران وهي المسماة طبرستان عين ما من حمل من مائها تبعته
دودة طول انملة الانسان فلو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر
لم يحمل الماء تبع كل واحد ممن حمل دودة ولم يتبع العاشر الذي لم يحمل شيئا
فان قتل واحد منهم تلك الدودة استحال الماء من الوقت واستحال ماء
كل من هو وراه مرا واما من هو على جانبيه فلا يستحيل ماؤه ه
ومن عادة هذا السلطان ان يصحبه في الاردو في كل حل ومرتحل
اصحاب من العلماء والمدرسين برواتب جاريات على السلطان ومع
كل منهم فقهاء وطلبة وهؤلاء هم المسمون بمدرسي السيارة ومعهم
اصحاب الحواصل الرؤسا وطوائف الدواوين والكتاب ومن جميع ارباب
الصنائع والمهن حتى يكون الاردو كالمدينة العظيمة يرحل وينزل معه

واخبرني الصدر مجد الدين اسماعيل السلامي انه يوجد بالاردو خيم وجركاوات
مضروبة تكترى للناس لمن يصحب الاردو وسائر ماوى او من يجي
غريبا اليه يكتريها وينزل فيها وفيها الكبار والمتوسطات
والصغار دواسرافهم وهي المسماه بالبازار مشتملة على ما يكون في المدن
العظام من الملبوس والمطعوم والمشروب وغير ذلك مما لا احاجة بنا الى ذكره
وليس يعترض ناسكهم على فاتكهم ولا فاتكهم من ناسكهم ومن قاعدة هذا
السلطان انه اذا نزل منزلا وهو المسمى عندهم اليرت نصبت بالبعد منه
علامات لا يتجاوزهم راكبه وامراوه يلتزم معه اعظم الاداب فما منهم
احد اذا قارب جركاة القان على نحو عشرين غلوة نشاب او ازيد الا
ينزل عن فرسه ويمشي ه قال لي الصدر مجد الدين اسماعيل انه راى جوبان
على ما كان يبلغ من العظمة ديوسعيد معه اسم بلا معنى وهو يمشي وقعت
عينه على الاردو نزل ومشى فيتعب لبعد المسافة فيقعد على كرسي صندلي
ليستريح ثم يمشي ثم يقعد ليستريح مرات حتى يصل الى باب الكرياس
وهو باب الخان قال ولكل من الخواتين وكل من الامرا الاكابر يرتي
بذاته ينزل فيه وكل يرت من هذه كامل الاسواق وكلما يحتاج اليه
ومن عادة هذا السلطان ان لا يعمل مواكب ولا يجلس لخدمة ولا لقراءة
قصص عليه ولا لرفع مظالم اليه بل لمن اتباع الامرا خاص له يقابل
لهم الايلخانية هولاء هم حوله لا يكاد يصلهم من يقارفه فاما الامرا
فانهم يركبون في غالب الايام الى باب الكرياس وينصب لهم هناك

كراسي صندلية يجلس كل امير على كرسي بحسب مراتبهم الاعلى ثم الادنى
ويدخل الوزير في بكرة كل يوم على القان ويبقى الامرا على باب الكرياس
اما يخرج القان او يأذن لهم او لا هذا ولا هذا فاذا حضر طعام القان بعث
الى كل امير منهم شيئا للاكل بمفرده يأكله هو ومن انضم معه ثم يتفرقون
كل واحد الى يرته من اتفق حضوره من الامرا احضر ومن لم يحضر لم
يطلب لحضور الا ان دعت الحاجة الى طلب احد منهم طلب ولهولاء شغل
شاغل بالركوب الى الصيد في غالب ايامهم فهم يجتمعون بعضهم ببعض ولهذا
ما لهم يوم مخصوص بموكب ولا لاحد منهم فاما من له ظلامة فشكواه ان كانت متعلقة
بالعسكرية الى امير الالوس وان كانت متعلقة بالبلاد والاموال او الرعايا
فشكواه الى الوزير وفي الغالب ما يكون امير الالوس بالاردو لانفراده
في المصيف او في المشتى او الصيد او قصد لغزو من الثغور وغالب الشكاوى
على الظلامة مردودة الى الوزير وليست في هذه البلاد قاعدة محفوظة
تمشي على نظامها بل كل من انضوى الى جانب من الخواتين او امير من الامرا
او كبير من الخواجكية قام بامره اما في قضا حاجة يطلبها او ان له ظلامة يشكوها
حتى من الخواتين والامرا من يقتل ويوسطه بغير امر القان ولا امير الالوس
واما المبالغ والاحكام الصادرة عنهم فالمتعلق بالاموال تسمى
الطرطمغا وهذه صادرة عن راي الوزارة وامره والمتعلق بالايلجه وهو
البريد تسمى وهي ايضا صادرة عن البريك الوزير فداقام
لها الا تساندا منهم ومرجوعهم اليه والمتعلق بالعسكر تسمى

وهو صادر عن امير الالوس وليس لاحد على الجميع خط الا الوزير وانما
العادة ان يامر الوزير بكتابة ما يرى ثم يوخذ خطوط المتحدثين
في ذلك الذي يكتب ثم تحرر مسودة وتعرض على الوزير فيامر بتبييضها
فاذا بيضت كتبت كما نبهنا عليه فيما قبل اسم السلطان ثم تحته اسم
الامرا الاربعة ويخلى تحته مكان هو موضع خط الوزير ثم يكمل البرليغ
او الحكم ويختم بالتاريخ ثم يحضر بعد ذلك غير من يكتب ثم ياتي
الوزير ويكتب في المكان الخالي فلان سوزي اي هذا كلام
فلان يسمي نفسه ثم ان كان متعلقا بالمال اثبت حيث يثبت مثله
والاملا واما المتعلق بالعسكر فمنشا الامر فيه عن امير الالوس
يامر به ثم على بقية الترتيب ولا خط لامير الالوس فيه وقاعدة
اصحاب الولايات من الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا تعلم
صاحب علامة حتى يرى خط نايبه عليه او لا ليعلم انه قد تركه
عنده ٥ واخبرني الفاضل ابو الفضايل يحيى بن الحكيم ان
الذي للامرا والعسكرية لا يكتب به مرسوم لان كل طايفة ورثت ما لها
من ذلك عن ابايها وهم على الجهات التي قررها لهم هولاكو لا
تتغير بزيادة ولا نقص الا اكابر الامرا الذين حصلت لهم الزيادات
فان في ذلك الوقت كتب لهم بها بامر القان اصدرتها الوزرا
عنه قال ومن الخواتين والامرا من اخذ بماله او بعض بلادا فهي له
من ماله وكثير من اخذ بلادا عن مبلغ متحصل ذلك الملك اضعافه

واهل هذه المملكة قد داخلهم العجم وراقبوهم وتزوجوا منهم وخالطوهم
بالتفريس في الامور ولهذا انفصمت قواعدهم وجرت على عوايد الخلفاء
والملوك في غالب الامور في ايمتهم ولقد كان هولاكو من اول ما اخذ
بغداد على سنة اجرا الامور في مجاريها وابقا الاحوال على ما كانت
ولكنه ما تهيا له لشك من كان معه على المغلوبة وافراط تخوف
الناس منهم ما بهم لكثرة خوفهم منه تجنبوا العفاة فزالت عنهم رسومهم
وتغيرت عليهم احوالهم ولقد كان يقنع منهم بالطاعة والانقياد
والمداراة بالمال عن استيصال البلاد ولكن المقادير لا ترد سهامها
ولا تصد لحكامها وفي هذه المملكة عدة ملوك مثل صاحب هري
وهي هراة من خراسان في اخريات البلاد مجاورة لكرمان وبها ملك
من بقايا ملوك السبكتكينية يتوارثون ملكها ذات بلاد واعمال
وجباية واموال ولسلطانها عسكر يقال انها عشرون الفا وهم لا يبلغون
ذلك وكان قد آل ملكها الى غياث الدين محمد السبكتكيني واليه
لجا جوبان بن تلو امير الوس ايران في واقعته مع السلطان بو سعيد لان
لصحبة كانت بينهما وكان مع جوبان ولده جلوخان وهو ابن بنت
السلطان محمد اولجايتو خدابنده وهي اخت السلطان ابو سعيد فلقاهما
وانزلهما في القلعة عنده ثم خنقهما تقربا الى السلطان بو سعيد
وبعث بابهام جوبان وكان بها اصبع زايدة الى حضرة بو سعيد
اعلاما بتحقيق قتله وكان بو سعيد قد تزوج بغداد خاتون

بنت جوبان بعد تحيله منه فامر باقامة العزا عليها ثم نقل جثتها الى
حضرة وجدد العزا عليها ثم حملا الى مكة المعظمة وطيف بها
ثم حملا الى المدينة الشريفة النبوية فدفنا بالبقيع منها ومات
غياث الدين المذكور وانتقل الملك بعده الى ولده وهذه هرى مدينة
جليلة من اجل مدن خراسان مشهورة موصوفة بالحسن والمنعة وبها
الما السارح والشجر الكثير رخيصة الاسعار حكمها حكم ما سواها
من خراسان الا انها مملكة تداولها ملوك وكلهم في طاعة صاحب
ايران وتخت ابوء وعسكر هرى من الغوس وفيهم البهلوين ذوو الباس
والقوة ه واخبرني شيخنا فريد الدهر شمس الدين ابو الثنا محمود
الاصفهاني ان بالقرب من هرى شيخ موجود اسمه شهاب الدين احمد
الجامي جليل القدر واسع الحرمة والمال له خمسة الاف مملوك يصرفهم
في ارزاقه ومكاسبهم كثيرة ومستغلات املاكه وزروعه وتربية دواب
الغنم واستخراج الحرير له وعمله بما يجي منه الحمل الكبيرة التي لا تكاد
تحصى ه قال وهذا الجامي مرعي الجانب عند سلطان ايران
كان يفرش سجادته الى جانب السلطان حذا ابنه فقيل لحذا ابنه كيف
بلغ هذا منك هذه الرتبة قال كنت مجردا في زمان اخي محمود
غازان بستين الف فارس فضاق بنا الوقت لقلة ما كل نحن ودوابنا
فقام بنا جميعنا هذا الشيخ اربعة اشهر من ماله وحكي لي من اثق
به انه راه على منى وهو حاج ومعه الف جمل او اثقل عليها اثو اله

والقالة ه قال ورايت غياث الدين صاحب هرى واقفا في خدمة الجامي
والجامي قاعد لا يكترث بوقوف صاحب هرى بين يديه ه ولهذه
المملكة ابلة البصرة وشعب بوان وهما تعد من متنزهات الدنيا الاربعة
ذات المحاسن المتنوعة فاما الابلة فمدينة قديمة دثرت الان وبقي
متنزهها على ما كان والابلة نهر مشتق من دجلة مرفوع الى البصرة
لسقي بساتينها والبصرة اشهر من ان توصف حدايقها الملتفة وجداولها
المختلفة وما تفتر به رياضها من بدايع الزهرات وتفردت به حدايقها من
يانع الثمرات قال الجاحظ ونهر الابلة ستة ابراد مقابلة نهر
معقل وبينهما البساتين والقصور العالية والمباني البديعة يتسلسل
بحراه وتتهلل بكره وعشاياه وتظلل الشجر وتغني به زمر الطير
وهي من الحسن بحيث تشهد العيان وتظهر فنون الافنان والابلة
هي المدينة القديمة وانما اختطت البصرة عوضها وفيه يقول
القاضي التنوخي ه

احن الى نهر معقل الذي فيه التسلي عن هموم معقل
عذب اذا ما عام فيه ناهل فكانه في ريق حب ينهل
متسلسل وكانه لصفايه دمع بخدي كاعب يتسلسل
وكانه بالقوت او اعين زرق تلاحم بينها وتفصل
عذب فما ندري اما ماؤها عند المذاقة ام رحيق سلسل
ولديه ممتد بعد جسر ذاهب حبشان يدبر دا وهذا يقبل

واذا نظرت الى الابلة خلتها من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل في نهرها الى السرور بانه في عنبرها لا ينزل
وكانما تلك القصور عرائس والروض حلى وهي فيه ترفل
غنت قيان الطير في ارجائها هزجا يقل له الثقيل الاول
وتعانقت تلك الغصون فاذكرت يوم الوداع وعبرهم مترحل
ربع الربيع بها فحاكت كفه حللا بها عقد الهموم تحلل
فمدبج وموشح ومدنر ومعمد ومحبر ومهلل
فيخال ذا عتبا وذا اخذا او ذا ثغر الغضيض مرة ويقبل
وتحيط بالابلة نهرها المشتق لها ونهر معقل فلهذا صارت بين
سلكيها في ابهى منظر واحرز معقل وبها النخيل الماسات العدود
المايلات في خضر البرود لا تعرف سوى رطبها الجنية وثمراتها الهنية كانها
السكر المذاب بل شفاه لعس معسولة الرضاب واما شعب بوان
فهو بظاهر همدان ليشرف عليها من جبل يقال له بالفارسية
الوند والشعب في سفحه يضاحك في الافق ثغر صبحه والانهار
تنحط عليه من اعلا الجبل وتناجيه صبها بروقة الغزل يميل على
اديمها مقبلا ويترامى على شفاهها الحو مقبلا فلذلك كسرت
على ربها فاوهمت العوالي في حلاها نقلت عوارضها المخضرة
كالعذار والتفت حدائقها اليها كانها اعتذار وهو من
ابدع بقاع الارض منظرا واندى دوحا نضيرا ه

قال المبرد اشرفت على شعب بوان فنظرت فاذا انما منحدر كانه
سلاسل فضة وتربة كالكافور وروضة كالثوب الموشى واشجار
متهادلة واطيار متجاوبة ه ولقد حدثني من راها وطيب مفارقة
من اهلها انها تذهب بالالباب وتذهب بها عصر الشباب لا تكاد
الشمس تسقط من اردانها ولا الكواكب تغيب من فرجات اغصانها ه
وقد مر ابو الطيب المتنبي بشعب بوان لما توجه الى عضد الدولة
ابن بويه واستطابه واستطال نزوله واستطار اعجابا بما هز فيه
من الحمام من طربه فلما سمع لغة اهله العجم وقاس الى فصاحته
فرسه البكم استغرب بينهم نفسه فقال

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن من الحران
غدونا تنفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عني وجئن من الضيا بما كفاني
والقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منه باشربة وقفن بلا اواني
وامواه تصل بها حصاها صليل الحلي في ايدي الغواني
يقول بشعب بوان حصاني اعن هذا يسار الى الطعان

وقد ذكرنا ما اشتملت عليه هذه المملكة الجليلة من الاقاليم وجمل
من محاسن هذه المملكة وترتيبها ونذكر الان ما لابد منه فمن ذلك
بلاد الجبال وهي تشتمل على المياه التي تجري على البصرة والكوفة وحدها
الشرقي مفازة خراسان وفارس واصبهان والغربي اذربيجان والشمالي
الديلم والري وقزوين والجنوبي العراق وخوزستان وتشتمل على مدن
مشهورة ذكرناها فيما تقدم من الكتاب وبلاد الديلم وهي سهل وجبل
فاما السهل فهو بلاد الجيل وما معها وهي الآن بمجموعها تسمى كيلان
والجبل يمتد عليها من الجنوب الى الشمال وطبرستان هي كيلان
او في حكمها وكذلك مازندران ٥ وكيلان وان كانت من هذه
المملكة فانها مفردة لملوك سيأتي ذكرهم ٥ وسجستان ومنها من
بلاد تحيط بها مما يلي الشرق مفازة بين ارض مكران وارض السند
وبين سجستان وفارس ومن ناحية الغرب خراسان وشيء من ارض الهند
ومما يلي الشمال ارض الهند ومما يلي الجنوب المفازة التي بين سجستان
وفارس وكرمان وخراسان وتشتمل على كور ويحيط بها من شرقيه
نواحي سجستان وبلاد الهند وجبال الغور وغربيه مفازة الغزية
وناحية جرجان وشماليه ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك وجنوبيه
مفازة فارس وبعضه وفي الغرب من حد قومس الى المغرب وفيها من
حد جرجان وبحر الخزر الى خوارزم تقع لبسا على العمال ومن الناس
من يعد هراة من خراسان ومنهم من يعدها بذاتها واقدم مدنها نسا

مرو الشاهجان يقال انها من بناء ذي القرنين وهي في ارض مستوية بعيدة
عن الجبال لا يرى منها جبل وهي كثيرة الرمال ومنها ظهرت دولة
بني العباس في دار آل ابي النجم المعيطي واحصن مدنها مدينة نسا
وهي في غاية الحصانة كثيرة المياه والبساتين ومن خراسان قوهستان
واهلها كلهم شيعة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وارمينية
واران واذربيجان يحدها مما يلي الشرق الجبال وبلاد الديلم وشرقي
بحر الخزر ومما يلي الغرب حدود بلاد الارمن ومن جهة الشمال اللان وجبال
القبق ومن الجنوب العراق وبعض الجزيرة واجل هذه النواحي اذربيجان
واجل مدنها قديما اردبيل قال الزواوي تكون اعمالها ثلثين فرسخا
وبها كانت دار الامارة في صدر الاسلام ثم كانت تليها مراغة وكانت
قديما معسكر الجند وتليها ارمينية وبينها وبين مراغا بحيرة كبوذان وهي
مالحة وليس بها سمك ولا دابة ويختلف فيها المراكب بين ارمينية ومراغا
وطولها نحو عشرين فرسخا فاما مدينة تبريز لم تبق بذكر معها سواها
وفي اران باب الابواب وهي مدينة على بحر الخزر وهي مينا ذلك البحر
واليها مرسى السفن وكرجستان هي داخلة في حدود ما ذكرنا مع ارمينية
ومدينتها تفليس على نهر الكر وقد تقدم ذكر الحال مفصلا فيما تقدم
والجزيرة وديار بكر وربيعة ومضر وهي مضافة لبلاد العراق وجزيرة
العرب والجزيرة بين الفرات ودجلة وقد كانت هذه بمجموعها مملكة
جليلة قائمة بذاتها في الدولة الاتابكية وخوزستان وشرقيها حد

فارس واصبهان وغربيها رستاق واسط وشماليها حد الصيمرة والكرج
كرج ابي دلف وهو مقصور معرقة والكرخ حتى يتصل على غربي الجبال
الى اصبهان والجنوبي يسمى بعضه الى بحر فارس وبعضه الى رستاق
واسط والبحر داير عليها من اخر المشرق الى اول الغرب وجبال القفص والبلوص
في حدها الجنوبي مما يلي الجنوب قريبة من البحر وقريب منها جبال القفص
قريب مدينة جيرفت من كرمان وكلها جبال عامرة واما البلوص
ففي سفح جبال القفص ولا يخاف اهل القفص من احد الا منهم وهم بادية
يسكنون بيوت الشعر ولا يوذون احدا وجبال بارز حصينة منيعة ذات
اشجار وكان اهلها مجوسا زمان بني امية ثم اسلموا في اوايل الدولة العباسية
منيعوا في منعتهم حتى ولي يعقوب وعمرو ابنا الصفار فملكوا جبالهم وكرمان
ومدينتهم السيرجان ثم جيرفت وهي بلد متجر خراسان والاختان
التومان وقد خص فيهما الجمع بين الاحسن والعزيز بان التيمان
ولا يوصف بالتيم الا الواحد لا اذا كانتا ابنتين السمع والبصر والبحر والمطر
وافضل ما جهز له ابو بكر الجيوش وفتحه عمر الفرقدان المعتقان والنيران
المتالقان مركز الاعلام والاعلام والسيوف والاقلام قطبا تلك الدايرة
وافقا نجومها الزاهرة عراق العرب وعراق العجم وعراق العرب والاهواز
اكبر والثاني اشهر لمكان الخلفاء منها وكور عراق العجم عظيمة
جليلة ذكرت فيما تقدم عند ذكر الاقاليم ما ينبي عليه واما
عراق العرب فهو دونه وان كان غاية في الفخامة ونهاية في الضخامة

وكان ملوك الفرس دل ايران شهر ومعناه ه
وهو اثنتا عشرة كورة وقال لي الفاضل ابو الفضايل يحيى بن
الحكيم الطياري البوسعيدي ان كل كورة منها استان وطساسيج
ستون طسوجا وترجمة استان وترجمة الطسوج ناحية فالكورة
الاولى كورة شاذ فيروز وهي خمسة طساسيج طسوج
فيروز قباذ وطسوج الجبل وطسوج تامرا وطسوج اربل
وطسوج خانقين ومن الجانب الشرقي سقي تامرا ه
والكورة الثانية كورة شارشاذ مهر وهي
ثمانية طساسيج طسوج جنشابور وطسوج نهر بوق
وطسوج كلواذا وبها كلواذا وهي مدينة قديمة وبها تسمى الكلدانيون
الطايفة المشهورة المعدود منها كيومرث وطهمورث وجمشيد
والضحاك وطسوج نهر بين وطسوج جازر وطسوج المدينة العتيقة
وطسوج زاذان الاعلى وطسوج زاذان الاسفل ه
والكورة الثالثة كورة شاذ شاه قباذ وهي ثمانية
طساسيج طسوج رستقباذ وطسوج مهرروذ وطسوج سلسل
وطسوج جلولا وطسوج الدسن وطسوج البندنيجين وطسوج
براز الروز وطسوج الدسكرة والرستاقين ه
والكورة الرابعة كورة باركان خسرو وهي خمسة طساسيج
طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج

السهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا ٥
والكورة الخامسه كورة ستارشاه شابور وهي خمسة طساسيج
طسوج دجله والفرات وطسوج الزندورد وطسوج الثنور
وطسوج الاستان وطسوج الجوازن ٥
والكورة السادسه كورة ستارشاه بهمن وهو اربعة طساسيج
طسوج بهمن اردشير وطسوج ميسان وطسوج دستميسان
وهو الابله وطسوج ابرباد ٥ والكورة السابعه كورة ستان
العليا وهي اربعة طساسيج طسوج فيروز شابور وهو الانبار
وطسوج مسكن وهو دجيل وطسوج قطربل وطسوج بادوريا
والكورة الثامنه وهي كورة ستان سيرابيكان وهي
خمسة طساسيج طسوج بهرسير وطسوج الروميان وطسوج
كوثى وطسوج نهر درقيط وطسوج نهر جوبر ٥
والكورة التاسعه وهي كورة بدروبرستان وهي السروابي
وهي ثلثة طساسيج طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط
وطسوج الزاب الاسفل ٥ والكورة العاشرة وهي كورة
ستان بهقباذ الاعلى وهي ستة طساسيج طسوج بابل وطسوج
خطرنيه وطسوج الفلوجة العليا وطسوج الفلوجة السفلى
وطسوج النهرين وطسوج عين التمر ٥
والكورة الحادية عشرة وهي كورة ستان بهقباذ

الاوسط وهي اربعة طساسيج طسوج الجبه والبداه وطسوج
سورا وباروسما وطسوج بار وسما وطسوج نهر الملك
والكورة الثانية عشرة وهي تمام الكور وهي كورة ستان
بهقباذ الاسفل وهي خمسة طساسيج طسوج فرات بادقلى
وطسوج السالحين وطسوج تستر وطسوج روستقباد
وطسوج هرمزدجرد قلت ولم اذكر مدن هذه المملكه
هنا لكثرتها ولانه قد تقدم عند ذكر الاقاليم ما لا احتاج معه الى اعادة
ولا فيه نقص يفتقر الى زيادة والذي ذكرناه الان من كور العراق
هو عمل بغداد الداخل حسابه فيما يخص بها من السواد دون
ما هو مفرد لبقية ما معها من المدن والبلاد والذي اخذنا ذكره هنا
مما تقدم ذكره انما هو للاعلام بمقدار هذه المملكه وما جمعت
اطرافها من الاقاليم والامصار والممالك العظيمه والمدن الكبار
مما اجتمعت في جمعه الاكاسرة ودابت الدوله العباسيه في تحصيله
وقد صارت كلها بيد ملوك بيت هولاكو وهي واسطة الارض
وجالسة المعمور وسرة الدنيا واسرة العليا فسبحان الله
العظيم الوهاب الكريم يرزق بغير حساب ويعطي بلا احتساب
لا راد لما قضى ولا مانع لما اعطى يؤتي الملك من يشاء وينزع
الملك ممن يشاء ٥ على ان هذا البيت في وقتنا هذا
قد وهى نطقه ووهى نجمه وهان على الناس امره وخمد تحت الرماد

حصون منذ مات بو سعيد بهادرخان آخر ملوكهم المجمع على طاعته
شرهم يعمل في دهيا مظلمة وعمياء معتمة لا تقضي لسكنهم الى صباح
ولا حملتهم الفرقة الى اجتماع ولا انسدادات بينهم الى صلاح في كل
ناحية طائفة يدعي سمه وطائفة اخرى اجابنا الى فتنه وكل طائفة
تغلب وتغشم فاما بنو سلجوق من ابناء الخان وتنسبه الى فلان بن فلان
شر يضمحل امرهم عن قريب ولا يلحق دعوته تبلغ حتى يدعا فلا يجيب
وما ذلك من الدهر بعجيب وملوك هذا البيت وان كانوا اعدا
ملوكنا من قديم الزمان وبينهم ما يكون بين الملوك من الشنآن
وكان منا الفهم على ما وجدوا عليه اباهم لا ينتمون للاسلام ولا يتركون
اباهم فانهم اهل همم تدك لها الجبال وكرم تهلك به الاموال
فاما نجدتهم وباسهم فادل دليل على هلعهم منه ما ملكوه
يسبونهم من المشرق الى الشام والى الان ما تقادمت الايام
واما كرمهم فقد ذكرنا منه ما يدل عليه حدثني شيخنا
فريد الدهر ابو الثنا محمود بن ابي القاسم الاصفهاني اطال الله
بقاه ان خواجا رشيد الدولة الف كتابا سماه
وقدمه للسلطان خدابنده وقال له ان ارسطو عمل كتابه المسمى
وقدمه للاسكندر فاجازه عليه الف الف دينار
وما انت بمن يرضى ان يكون دون الاسكندر فقبل خدابنده الكتاب
وامر له بنظير ما امر به الاسكندر لارسطو فاخذ به خواجا رشيد

املاكا وعقارا اقيمتها قدر المبلغ بثلث مرات قال والاملاك الى الان في
يد اولاده وذريته قلت واخبرني السلطان المذكور على ما بلغنا امراة مغنية
من بغداد فاطلق لها ما لا يحصى ولا يدخل في حساب حدثني من اثق به
ان ابغا بن هولاكو كان يانس برجل فاتفق ان صحبه في سفره الى
جبه ملا وكانت يومئذ ذاك خزانة اموالهم فامر به ان يدخل اليها
ويأخذ ما اراد منها فلما دخل اليها لم يأخذ سوى دينار واحد عمله
في فيه فلما حضر بين يديه ساله عما اخذ فالقى الدينار من فيه وقال
يا قان شبعت وامتلأت حتى خرج من فمي فضحك واعجبه منه ما قاله
وامر له بعشرة تومانين عنها مائة الف رايج بستمائة الف درهم فاخذها
وحدثني قاضي القضاة ابو محمد الحسن الغوري ان فقيرا وقف للبخشو
في ايام سلطنته وشكا اليه ضرره فامر له بثلاثة تومانين وهي
ثلاثون الف رايج بمائة وثمانين الف درهم فاستكثر هذا
طاجار نويين وما اجا سران شاوره فسكبها على نطع في
طريق البخشو ليبصرها فيستكثر المبلغ فلما عبر عليها البخشو
وراها سال عنها فقيل له هذا الذي رسمت به لذلك الفقير
فقال هذا هو ليس قالوا نعم قال والله مسكين انا كنت اعتقد
انا اعطيناه شيا وهذا ما هو شي اعطوه مثله مرة اخرى فاعطوه

الباب الثالث في مملكة الجيل وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في بومن — الفصل الثاني في تولیم

الفصل الثالث في كشكر — الفصل الرابع في رسفت

ونحن نذكر في هذا الباب في رسفت من مملكة الجيل ما تشتيو لنا ذكره
جملة حدثني الشريف محمد بن احمد بن محمد بن عبد الواحد الجيلي
ان بلاد كيلان في وطاة يحيط بها اربع حدود من الشرق اقليم مازندران
ومن الغرب موقان ومن الجنوب عراق العجم يفصل بينهما جبل يعرف
باشاده في سفحه الجنوبي قرى ممتدة تسمى بلاد النارم داخله في مملكة
كيلان وبايدي ملوكها وهو جبل عال لا يزال في الامن طلوع الشمس
الى العصر وهو جبل مشجر فيها عيون كثيرة وبه سكان من الاكراد
ومن الشمال بحر القلزم ياخذ على تورين فيه وكيلان مشتمل على اربعة
مدن كبار لكل مدينة منها في الغالب ملك ينفرد بها منها وباعماله
المضافة اليه وهي بومن قريبة من الجبل الى وسط وتولیم يليها الى البحر
للشرق وكشكر يليها الى جهة موقان مضايقة للبحر وطول مجموع كيلان
مما في ايدي هولاء الملوك الاربعة وهو شرق لغرب نحو عشرة ايام وعرضها
وهو جنوب لشمال نحو ثلثة ايام تزيد وتنقص وجميع اهلها حنابلة قال وهي
شديدة الامطار والانهار كثيرة الفواكه خلا النخل والموز وقصب السكر
والمشمش وتجلب اليها المحمضات من مازندران ومدن كيلان غير مسورة
والملوكهم قصور عالية وجميع مباني كيلان بالطوب المشوي مفرشة بالطوب

مثل بغداد مسقفة بالخشب وبعضها معقودة اقباء وعليها فنس مظفور
وفي غالب ديارها الماء جارية المستغني بجودها عن ابار او ملية اواقل
والانهار تحكم على كل مدينة وغالب اقوات كيلان الارز يعمل منه
خبز مليح ورقاق مع تيسر القمح والشعير والغنم والبقر كثيرة عندهم
واسعارهم متوسطة الى الرخص وبها المساجد الجليلة ومدارس تسمى
عندهم الخوانق وزوايا وحمامات لطاف يجري اليها الماء من الانهار
وبها الحرير الكثير ولها حصون في نواحي مازندران وجزاير في القلزم
بها رمان وبلوط وفواكه ولا يجري بها ماء وبها تحصنهم عند مغالبة
العدو لهم ولملوكهم زي جميل على قدر دخل بلادهم فانه ليس بالكثير
لضيق بلادهم ولا بها الا مكس بها ولا يؤدي فيها لهم امرا الطبلخانات
ويركب الملك بالرقبة السلطانية والجاب والسلاح دارية والجمدارية
والجنائب المجرورة ويركب الامير ووراه صاحب رقعة وخمسة واكثر
ولباسهم اقبية اسلامية ضيقة الاكمام وتخافيف صغار ويشدون المناطق
والبنود وخيلهم براذين جياد مشكورة وسروج منها المحلى بالفضة وزيهم
كلهم قريب من الزي العسكر الخوارزمي ويتخذ بظواهر قصورهم
ملوكهم ميادين خضر الجمال في اوساطها قصورا صغارا من الخشب
فيها جلوسهم للخدم والمظالم وجميع جنود هولاء الملوك الاربعة نحو
عشرين الف فارس ما بين مديونة ومطوعة ممن يضمهم الجموع والحشود
من الفارس والراجل وهولاء الملوك الاربعة لا يزال بينهم الخلف

حتى اذا قصدهم عدو خارجي عنهم نالفت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وصاروا
حزبا واحدا على عدوهم ولقد قصدوا ايام هولاكو فما قدر عليهم
ثم قطلوشاه في سبعين الف فارس وانتصر على صاحب تومن وكسكر
وامتنع صاحب تولىم وضرب معه مصافا بالفارس والراجل وحمل بنفسه
على قطلوشاه على انه مفقفز اليه فلما قاربه احس قطلوشاه بالغدر منه
فولي منهزما فطعنه فالقاه عن فرسه قتيلا فنزل اليه وقطع اذنيه بالحلقتين
اللتين فيهما ثم ركب وساق الى التتار وقطع عليهم المياه وسد عليهم
الطرق بالاخشاب العظيمة فافناهم الا الشريد فراحوا كلهم بين قتيل
وغريق متوحل في الطين وضال بالجبال وهم يحصنهم بلادهم البحر
من جانب ونوعير المسالك اليهم لا يدينون لملوك ايران ولا يطمع
احد في ملكهم وطبرستان ومازندران والجيل كما قال الله تعالى وفي
الارض قطع متجاورات ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود **قلت** ومما ذكر من شدة باس اهلها ذكرت
قول صاحب شاهنامه في تاريخ الفرس وقد ذكر مازندران وعصيان
اهلها قال وهم من مردة الجن قال الشريف وبلاد الجيل
مقسومة بين ثماني ملوك ملك بالاهجان وملك سجام وملك
برشت وملك بسفت وملك تومن وملك تولىم وملك
كسكر وملك بيفس منهم اربعة كبار وهم ملك تومن
وملك تولىم وملك كسكر وملك برشت والملوك الاربعة الاخرون

دون هوانٍ ومع هذا فلا استبداد بهم لملك الملك ولا يذعن واحد لاحد ٥
قال وجملة بلاد الجيل بلاد خصبة ورخاء ولحوم وحب وفواكه واقطارها
سخية واسعارها رخيصة ولا يخطب بها للتتار وانما تضرب السكة باسم
ملوك التتار ولانه لو ضرب واحد من ملوك الجيل السكة باسمه لم يخرج دراهمه
في بلد جاره الاخر لشدة ما بينهم من الاحن والحقود قال ولا بد اهل
بلاد الجيل ملوك ولا جبابرة بل كل اهلها احرار ولا يتعدى واحد منهم
شأن ابيه وما كان عليه حتى ان الفلاح منهم ليقتني العدد الكثير من الخيل
ليبيعها ويربح باثمانها ومع هذا لا يجسر على ركوبها ولو ركبها قتل وبالجبل
ربط وخوانق وغالب ما يجري بها احكام مذهب الامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه ٥ ونحن لا نذكر من ملوكها الا الاربعة المشاهير الذين جرى لهم في
هذا الكتاب على ما ذكرناه ٥

الفصل الاول

في بومن

صاحب بومن شافعي المذهب دون من معه من بلاد الجيل من مذهب
نشأ عليه ملوكها وعسكره يزيد على الالف فارس وهو وصاحب
اللاهجان بلادهم قليلة وانما غالب دخلهما من التجار والحرير بهما كثير
ولهذا بينهما وبين التتار مكاتبة ومهاداة لدخول التجار الى بلادهما لجلب
الحرير منهما واحتياجهما الى ما عندهما من الحرير على من يدخل
اليهما وبقية بلاد الجيل يحتاج ايضا الى بومن واللاهجان لاجل هذا

وحاجتها الى بومن اكثر لما يوجد بها من القماش والمعمول الذي بها فيما
يحاذيها من الجيل معدن حديد قال وصاحب بومن يدعي النسبة
الى بيت الشرف ولذا عنايته باهل العلم والفضل وملابس الملوك والجند بها
نوع من ملابس التتار ولباس علمائها قريب من زي التجار ولهم عذبات
كالصوفية الى قدامهم وعامة اهلها كالعامة من جاورهم ٥

الفصل الثاني

في تولم

صاحبها امير قريب من صاحب بومن ولكن لا حرير في بلاده وهو حنبلي المذهب
وعدة عسكره نحو الف فارس وهم افرس اخوانهم ولصاحبها في وقتنا هذا
على ملوك الجيل سيما استظهار لان عسكر تولم كان لهم في واقعة
قطلوشاه اليد الطولى والبطش الغالب فثبت لهم في قلوب جيرانهم ما هو
ظاهر عليهم الى الان وزيها كزي اخواتها ٥

الفصل الثالث

في كسكر

وصاحبها الرجل الثاني في ملوك تولم وجيشه اكثر عددا من بقية ملوك الجيل وبلاده
اوسع وارضه اخصب واكثر حبا وفواكه واغناما وابقارا مما حولها ولها
رفق زائد بمن يجاورها من الاكراد وما تجلبه اليها من الاجلاب واسعارها
ارخى وارخص مما سواها وزيها كزي اخواتها ٥

الفصل الرابع

في رشفت
وهو اسيل الى الجبل وابعد عن البحر وانما رشفت ادنى الى الجبل منها
وهي مناسبة لاخواتها في غالب احوالها في كثرة السمك والطير ومنها
الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه ونور ضريحه
وهو القليل مثلا العديم مثالا الواحد علما وعملا وستاتي ان شاء
الله ترجمته في مكانها ٥

الباب الرابع

في مملكة الجبال
وهو اربعة فصول

الفصل الاول في الاكراد وفيه فصل جامع لاحوال سكان الجبال
الفصل الثاني في اللر
الفصل الثالث في الشول
الفصل الرابع في شنكاره

وبلادهم جميعا بلاد خصب زائد ومزارع وموارد وزروع وفواكه وثمر متشابه وغير متشابه
وكلهم اهل غناء ودفاع وحصانة وامتناع ٥

الفصل الاول في الاكراد

الذي نقول والله التوفيق ان الاكراد وان دخل في نوعهم كل جنس
ياتي ذكره في هذه الفصول فانهم جنس خاص من نوع عام
وهم ما قارب العراق وديار العرب دون من توغل في بلاد العجم ومنهم

طوايف بالشام واليمن ومنهم فرق متفرقة في الاقطار وحول العراق
وديار العرب جمهورهم وغلب في زماننا بما يقارب ماردين منهم ابرهيم
ابن علي المسمى بالعرس بالو واستفحل امره وقويت شوكته واجتمعت
عليه جموع وعرفت لرياسته دروع ولقب باسمه الداعي وتعبدت
دون عنا ابنه المسامي قسمات وقام ابنه بعده ولا انسى ما حكي الوالد
الولد ولا سد الشبل موضع الاسد ٥ واما الفصل الجامع لاحوال
سكان الجبال هولاء وغيرهم ٥ فانا نقول وبالله التوفيق
ان المراد بالجبال على المصطلح هي الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار
العجم وابتداوها جبال همدان وشهرزور وانتهاوها صياصي الكفرة
من بلاد التكفور وهي مملكة سيس وما هو مضاف اليها بايدي
بني لاون ولم اذكر من عشايرهم الا من كنت به خبيرا ولم اسم فيها منهم
الا بيت ملك او امارة ونبدا بجبال همذان وشهرزور واربل
وننتهي الى دجلة الجزيرة من كوار الى الموصل ونترك ما وراء دجلة
الى نهر الفرات لقلة الاحتفال به على ان الذي ذكرته هو خلاصة المقصود
اذ لم يبق الا الاكراد الجزيرة وقرى ماردين وهم لكل من جاورهم من الاعدا
المارقين مع ان اماكنهم ليست منيعة ومسالكهم للعصيان غير مستطيعة
فمنهم طايفة بجبال همذان وشهرزور يقال لهم الكورانية
منهم جند ورعية وكلهم اولو شوكة وجمعه مقيمون بموضع
يقال له ...ما وسنت الامير محمد ومكانه ثان يقال له دزتنك ابن الهيم

كورانيه

الامير محمد وعدة القوم تزيد على خمسة الاف لا بل بينهم ولا خلاف
ومن بعدهم الكلالية وهم قوم لهم مقدار وكمية تعرف بجماعة سيف
الدين صنبور ومقامهم داسترك وبها وند الى قرب شهرزور وعدتهم
الف رجل مقاتل قوية واميرهم تحكم على من جاوره وهم من العصابة
الكردية حكم الملك على جنده وبعدد على جميع عدد اصناف عشيرته
لانهم واثقون بصدق كلمته وحسن سيرته ومن الكلالية سوى هولا طائفتان
احداهما مقيمة بنواحي دقوق وعددهم الف او دونها والاخرى باشنه
من نواحي اذربيجان عدة رجالها مايتان وكانوا اكثر من ذلك عددا واوفر
مددا لما كان الملك شرف الدين بن سلار صاحب اربل من جهة التتر
قتله رجل من الكفار بعصا فومه على الكفار وهاجر بعضهم الى مصر والشام
وبقي ولده الامير محمد حاكما على من باشنه من قبيلته وولده الامير عثمان
امير المرن اقام بوطنه من عشيرته فلما توفي ولده تولاهم سواهم ويلي
الكلالية بجبال همدان قوم يقال لهم زنكلية اصحاب شجاعة وحيلة
وعدتهم الفان يقال لهم جماعة جمال الدين بالان يحكم على بلاد كنكور
وما جاورها من البقاع والكور واما بلاد شهرزور فكان يسكنها طوايف
من الاكراد قبل خراب البلاد اكثرهم رجالا واوفرهم اموالا طائفتان
احداهما يقال لها اللوسه والاخرى تعرف بالبابيرية رجال حرب واقيال
طعن وضرب نزحوا عنها بعد واقعة بغداد في عدد كثير من اهل السواد بالنساء
والاولاد واخلوا ديارهم ووفدوا الى مصر والشام وتفرقت منهم الاحزاب

واصابتهم الاوصاب وعظم فيهم المصاب ولكل اجل كتاب وقد بقي في
اماكنهم وسكن في مساكنهم قوم يقال لهم الحونسه ليسوا من صميم
الاكراد وبلاد شهرزور قوم اخر بينها وبين اشنه يبلغ عددهم الفي نفر يقال
لهم السيوليه ذوو شجاعة وحمية لهم وهم قسمان قسم يورك بن عز الدين محمود
والاخر قسم يعرف بالامير داود ويعرف بداود بدران ثم يليهم القرابلية وهم يسكنون
بعض بلاد دستا رود وبعدهم من بلاد اربل اماكن اخر يزيد عددهم على
اربعة الاف نفر كان اميرهم ابو بكر يلقب بسيف الدين وتولاهم بعده
ولده شهاب الدين ثم يليهم قبيلة يقال لهم الحسنانية ذوو انفس قوية
ينقسمون على ملكه بطون وهم نحو الالف اكبر بطونهم طايفة عيسى ابن
شهاب الدين كرامي ولهم الحصن لقلعة بري والحامي وثاني بطونهم نفران
نفر يقال لهم البليه والاخر يعرف بالجاكيه وكان الامير
عبد الله بن شهاب الدين زنكي امير النفرين وثالث بطونهم كان لمختار
الدين امير فيهم والان اخوه اختيار الدين عمر بن ابي بكر وتختص
الحسنانية ببلاد الكركار وتشاركهم القرابلية في اخر الخفادة
الماخوذة بدارسد فترابلي مشاركة الاخرين ثم يليهم بلاد الكرخين
ودقوق الطائفة عدتهم تزيد على سبعمائة وكان اميرهم شجاع
الدين ابو بكر رماني ذا باع في دينه محارب اعز حزبه ومن ذلك موضع
يقال له بين الجبلين من اعمال اربل قوم يخدمون للدولتين ويداروا
الفيئتين فهم في الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة وفي الصيف يعيشون

سرايا الشام في الجيامله وعددهم كعدد الكلاليه وكان اميرهم تاج الدين الخضر
ابن سليمان كان ذا اسنان ولسان وفد الي الباب الملكي المنصوري
السيفي قلاون بمصر ثم احترمته المنيه وعادوا اولاده الاربعه الي اوطانهم
في الايام العادليه الزينيه مع عز الدين سنقر ابن من السهروردية والمبارك
ابن شجاع من الازخيه وبها الدين بن حمال الدين حوش من الحميديه
اذ لم يحلع لهم في الدوله الزينيه حرمة مرعيه ولا اخبار امر مصنيه ثم
يلي هولا من ادبل المازنجانيه وهم طايفه ينتسبون الي الحميدية مخصوصون
من دون الاكراد بحسن الفروسيه مساكنهم مازنجان وبيروه ونحمه والبلاد
السرانيه وعدتهم لا تزيد على خمس مايه لاكن الحميديه لم يبق لهم امير
غير امرايهم وعدتهم تنضاف اليهم في شدتهم ورخايهم ولا تنقص على
الحميديه عن الف مقاتل وهولا المازنجانيه يتغالون لمصلاقه
ويتشبهون بالناس في الالات واللباس لان اميرهم كان من امرا الخلافه
من الدولة العباسيه لقب من ديوان الخلافه بمبارز الدين واسمه كك
وكان يدعي الصلاح وتنذر له النذور فاذا حملت اليه قبلها ثم اضاف
اليها مثلها من عنده وتصدق بهما معا ه قال الحكيم الفاضل
شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ساعد الانصاري وقد ذكره كان ذا شجاعة
وصبر وتحيل ومكر وعقل وفكر وتدبير وسياسة وتثبت ورياسة لا يهمل
عدوا لصغره وحقارته ولا يهاب من اراد به سوا لعظمه وجسارته
نقل عن ابن الصلابا رحمه الله انه قال حين اعطاه خبز ابيه سيف الدين

٨٧

محمد وجمال الدين توسمت في هذا الشاب سعادة لم اتوسمها في احد سواه
وكان كما توسمه الصاحب رحمه الله فراه كذلك اذ قام التتر في ذلك
المقام وتمكن ابن بافث من ابن بسام وتشتت شمل اهل الاسلام واختل
ما عهد من النظام ولم يبق من الرجال القادرين على القرار الا سكان
الجبال فلما اعجز الكفار استيصالهم وتحققوا ان سهامهم لا تنالهم عاملوهم
بالمكر والخديعه وهادنوهم على تخلية الخراج سدا للذريعه وقدموا ا
منهم اثنين وحكموهما عليهم من الوجهين فما كان من وجه بلاد العجم
كان مبارز الدين كك متحدثا فيه وما كان من جهة العجم كان الاسد بن
منكا كبير الحبابرلية واحيه وجعلوهما ملكين واعطوهما بايزتين ثم استنابوا
المبارز كك في اربل واعمالها وصرفوه في سقفها ومالها واقطعوه عقر سوس
بكمالها واضافوا اليه هرا ونل خفتون وقدموه على خمس مايه فارس او
يزيدون وسعد بسعادته قومه واناف على امسه يومه وكثر في عشيرته الامرا
لاشتراكهم معه في التسمي وغلب اقرانه بعنايه الدولة والدنيا لمن غلب
وكان نزي همته همة الشباب وهو ابن تسعين وتولى هذه المملكة وهو ابن نحو عشرين
ما نقصه عدو الا مكنه الله منه ولا رسم ملك من ملوك التتر بقتله الا هلك
قبل نفاذ امره وامتثاله ولم يبلغ ما بلغ من ملكه ولين رجاله ولا
تمنع جباله لكن سعادته واقباله ثم مات وخلفه ولده عز الدين
وكان يحكي به فيما الفه وعرف عنه ثم اخوه نجم الدين خضر
وكان من الرفاهيه على سرر موضوعه واكواب موضوعه ونمارق

مصنوفة وزرابي مبثوثة ونعيم مما ترك ابوه موروث الى حاشيته وغاشيته
وعفا رو هاشيه وسعادات وانمه وماسيه ومكانه في الدولتين الاسلامية
والتتارية لا تطاول ورتبته عاليه في الجهتين لا تحاول وانبساط
في اللذات وشرف بالعرض والذات ويد لا تقصر في ادب ولا تبالي بلا غيها
بما تنفق من كنوز الفضة والذهب وكانت ترد على الابواب السلطانية بمصر
ونواب الشام منه كتب تهل بما العصاحه كالسحب ولسرح من احيابها الابكار
العرب ثم مات رحمه الله وخلفه ولده وجرى على سننه ونمت به في اهل
بيته سوابق منته ٥ وبلي بسار واعمالها وتل حفتون وبلادها
بلاد السهرتيه المشهورين باللصوصيه وهي من بلاد شقلاباد الى حفتيان
ابن علي ويعرف بخفتيان الصغير وما بين ذلك من الاسنة والدربند
الكبير وهم قوم لا يبلغ عددهم الفا وجبالهم عاصيه ودربندهم بين جبلين
شاهقين يشقهما الزاب الكبير وتتقلب على صخورهما بصوت مزعج وهذا بر
قوي عليه بلاد وتتناطر اثنتان منهما الحجر والخيبر والوسطي مطفور
من الخشب كالحصير علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهوا وطولها بين الجبلين
خمسون ذراعا في عرض ذراعين وقد ينتقل مارا من ارضه فيعقص من طوله
او يزاد في عرضه تمر عليه الدواب باحمالها والخيل برجالها وهي ترتفع وتنخفض
فتنبسط وتنقبض تخاطر الخطار عليها بنفسه وتقيا مزعفله وهم ياخذون
الخفارة عندها ويحملون ما شاوا وبعدها فان الدربند مضيق على نهر عميق
وهم اهل غدر وخديعة وقبائح شنيعة لا يستطيع المسافر مدافعتهم فيه
بل

تخصيه سلامته بنفسه ٥ قال الحكيم شمس الدين محمد بن ساعد ان سبب اجلا
من الاكراد الى الجبل بهم هولاء حقا وان صعب مسالك دربند فهذا اصعب
المسالك واشق كان اميرهم الحسام بن عمر فبان انفي ما ترك ولا ابقي
وبجاورهم قوم يقال لهم الزرزاريه وهي كلمة اعجميه معناها ولد الذيب
ويقال انهم ممن تكرد من العجم المنسوبين الى ملوكهم ذكره بعض
اهل التاريخ ولهم عدد جم منهم زراع وامرا واغنيا وفقرا ابلغ عدد رجالهم خمسة
الاف وقليل يشهر الحلاف وسهرزهاد يشار اليهم وفقها يعتمد في الفتوى
عليهم بسالكهم من مرت الى جبل جيحرين المشرف على اسنه من ذات
اليمين وهو جبل عال مشرف بمكانه على جميع الجبال كان هواه الزمهرير
وكان السحب معنا طيس بحذبها الخاصه قد نصب عليه للتحذير بلله احجار
طول كل حجر عشرة اشبار وعرضه ربع هذا المقدار تخانته كذلك ذراع
منحوت من جميع الاضلاع مركب في حجر مربع تخانته تزيد على ذراع
في التقدير على كل من الثلاثة كانه قدمه لم تبق منها سوى المعالم وهي من
الحجر الناتع الاخضر الذي لا تغيره البرد ولا الحر ولا تؤثر الا في الوف سنين
تاثيرا لا يكاد يبين فالوسطى منها على بسطة راس الجبل والاخريان في
تلك عقبتيه لمن صعد او نزل يقال انها نصبت لمعنى الانذار وان المكتوب
عليها احذار من مهالكه الثلج والبرد في الصيف وهم ياخذون الخفاره تحته
ويدركون او يبادرون من هلك ببرده ٥ وبيد الزرزاريه ايضا
بلاد ملازكرد والمرساق بقلاعها ومزارعها وضياعها ولا يحملون لاحد

سبيلا من ارتفاعها وكان لهم امير جامع لكلمتهم مانع لشملهم يسمى
نجم الدين بن باساك ثم توفي وتولاهم من بعده ولده المسمى خضر ولما
ادركه الاجل وتوفي تولاهم ولده عبد الله وكان لهم ايضا امير
شجاع عفيف له راي وتدبير يقال له الحسام شير الصغير حوله من عشيرته
عصبة تسير بسيرته وكذلك كان لهم امير آخر جد السير يسمى
باساك بن الحسام شير الكبير وآخر منهم له باس قوي يدعى بهاء الدين
ابن جمال الدين اي علي وامرا غير هؤلاء ممن ينطوي في طاعتهم ويدخل
في جماعتهم اذ لا يبلغ قدر استطاعتهم نستغني عن ذكر اسمه بمن تقدم
وينضم الى الزرزارية شرذمة قليلة العدد هي لهم كالمدد تسمى باسم قرينها
بالكانية منفردة بمكان مشرف على عقبة الخان يحذون عليها الخفاف
بالنبد القوية ويحولون بين الحسنانية وقتل اميرهم توكل مع نجم الدين وعاد
قومه لهم بالرعية تبلغ عدتهم ثلثماية رجل ۞ ومنهم الجولمركية وهم
قوم ينسبوا الى الوطن لا الى النفر بل هم طائفة من بني امية تقال انهم حكمية اعتصموا
بالجبال عند غلبة الرجال عليهم واستغنوا بمنعتها عند استعمال الباس
ويخالطوا الناس طلبا للسلامة من اعاديهم وفرارا من اعدائهم فانخرطوا
في سلك الاكراد فسلموا وهم الآن في عدد كثير يزيدون على ثلاثة آلاف
كان ملكهم عماد الدين بن الاسد بن منكلان ثم خلفه ولده الملك
اسد الدين ويخرج بلده من المعادن ما ينقل من الزرنيخين الى ساير الاماكن
وكان ظهر له معدن لازورد فاخفاه لئلا تسمع به ملوك التتر فيطلبونه ومعقلهم

الذي يعتمد عليه من امنع المعاقل على جبل عال مقطوع بذاته عن الجبال
قايم في وسطها مع الانفصال شامخ في الهوا راسخ فيما حوله من الما والتراب
الكبير محاذ فيه فاصل بينه وبينها باذن ربه لا يحيط الجيش عليه ولا
وصول للسهام اليه سطحه للزراعة متسع وفي كل ضلع من جوانبه كهف
مرتفع ياوي اليه من شا الامتناع فيمتنع والما يحيط باساسه والثلج لا
يزال يشتعل شيبه براسه والصعود اليه في بعض الطريق يستدعي العبور
على اعواد مصنوعة مصلحة لمن يطيق ومن لا يستطيع التسلق جر بالحبال
تعلق بها وكذلك ترفع البغال للطواحين والذخاير التي يحتاج اليها في كل
حين والملك عليهم معتبر عند الاكراد ولهم على كلمته اعتماد يدعى
بهاء الدين بن قطب الدين وولده في الملك يجري مجراه ويخلف في سيرته
اباه وكان له ابن عم آخر يدعى شمس الدين داود عصا على دولة
الهذبانية وعجزوا عنه وقد اجتهدوا في غيلته بكل حيلة فلم يقدروا
عليه بل تغالوا في الاحسان اليه وامروه بالانتقال عن الجبل ليامنوا العصاة
فاعتصم التوصل في التوسل حتى سكن بعض المدن فلما قر في دار
كانت بنيت للسلطان وغرس فيما حولها بستانا جامعا للاشجار
ذات افنان مختلفة الثمار محفوفة بالارتفاع ارتفاع مغلة من دنانيرهم عشرون
الف دينار والدار اعظم ما يكون من دور السلطنة لما فيها من البسط
والالات المثمنة فخلوه في سكنها وسمحوا له بالفاكهة وثمنها الى ان
اخترمته اسباب المنون فترك ولده الحولكة وعاد الى حربهم يودي اليه خراج

بلاده ويقطع منها ما شاء من اقاربه واجناده ويأخذ الخفارة من جميع الطرقات من
ادربيجان من تبريز الى خوى ونقشوان وكل وطايف مستخدميه لصمان
من الكتاب والمشدين والنواب والمتصرفين والوكلاء ولا تعدم طعامهم
المعلوم الى نصف النهار اي غدا كان ولا يطعم ضيفانه الى ان يمضي الليل عشا
ولا يجعل في خبز المطابخ البتة لئلا منه من كان حربا او صلحا ٥ ويجاور الجولمركية
من الاكراد قوم يسكنون الجبال من بلاد تدعى سركوان كثيرة الثلوج
والامطار مخصبة مرتعها انواع النبات والازهار وصفها مشوط
بالجار الامطار وشتاوها وافر الاسمان والالبان غزير اللحوم المتنوعة
وهي متاخمة لارمينية من بلاد ادربيجان وكان لهم بها اميران بدر
الدين والامير حسن اخوان شقيقان وبلدعا بارفغان تبلغ عدتهم ثلاثة
الاف وهم لمن جاورهم من الزرزارية والجولمركية احلاف
ويعاملونهم بالرافة والاحسان ويجاور الجولمركية من قبل بلاد الروم
جبال وبلاد تعالي لها كوار ذات سعة وامكان ومرعى للحيوان
وخصب مستمر في ساير الاحيان والبها ينسب من بها من السكان فيحسب
انه من قبيلة وكان الامير شمس الدين هو المدارى عنهم وعدة قومه ثلاثة
الاف ويلي الجولمركية حد عقر شوش وبلاد العمادية وبلاد الزرزارية
وبلاد الهكار اما الزرزارية فيبلغون خمسماية عدد الاصحاب بادارية
لهم سوق وبلد وكان حروب بينهم وبين المارنجارية مددا ثم قر قرارهم
وانجدوا وكان لهم احدهما الامير ابرهيم بن الامير محمد الزرارى و ٥ ن

موفرا في زمن الخلافة معروفا بالحشمة وبقي ولده بعده صغيرا فاحتاج الى
الاعتضاد بالمبارز كك ليكون له ظهيرا والثاني الشهاب بن بدر الدين يوسف
توفي ابوه وخلفه كبيرا ولولا المارنجانيه لم يدع لهم سواه اميرا فاستولى على
الرعية استيلا كثيرا ٥ واما الهكارية فانهم مقيمون ببلاد العمادية تزيد
عدتهم على اربعة الاف حربية وكانت امارتهم الى اميرين اخوين احدهما
الامير ابو بكر والاخر الامير على تعرف والدهما بالطراوسي فاما
ابو بكر فانه كان ممتنعا برجاله وكثرة اخياله وقوة جباله وتوابع
جيوشه واحزابه وبقي ملك لاتعباهم ولابيه مع انه سير له العساكر
واستعان عليه بكل ماكر الى ان حكم بالموصل نصراني يقال له مسعود
المرقوطي وعزل عنها الامير رضى الدين بابا القزويني البكري رحمه الله
فاحتال النصراني على الامير ابي بكر بكل حيله واعانه عليه في المكيدة
بعض القبيلة فحسنوا له الوثوق اليه والنزول في الطاعة على يديه وسير له
الرهاين اربعة من الصبيان الى السلطان احدهم مبارك شاه والثاني سيف
الدين ابن المبارز كك الذي استنابه في العقرابوه والاخر ابن احمد حركتم
والدهما فبلغ بكر الدين كان بارك الله فيه في ذلك الزمان فاغتر ونزل
الى البابا وبقى عند السلطان معظم المقدار الى ان عدت قيود ووا
الاعتراض وقالوا ان حضر ولده واهله فما عليه اعتراض ولما طلبوا
منه سير اليهم بالنزول فلم يأخذوا امره بالقبول وعاد موكدا لطلبهم
برسول وتأخر حضورهم فاشتبهت على السلطان امورهم في امر

بالاحتياط عليه وعلى من معه من اصحابه وكان اذ ذاك متوجها الى
حمص فى لحين ابه فلما وصلوا الى مراغة اذربيجان توجه حسان احا به
لداعى السلطان وكان موثقا عنده فى المكان فانتهز الفرصة فى الخروج
من الوثاق وخلص من معه من الرفاق وركب ما وجد من الخيل عريا وساق
بها على ان الخيل قريب وطمعا فى ان يدركه الليل فيستتر فلما احس
القوم بفراره خافوا صولة سلطانهم وبادروا الى لحاقه على اثاره فتنبه
عليه قوم من الاخاجية وهم رعاة الخيل وهو حيث فرسه يكر للهرب منه
فرماه احدهم بسهم اصابه به وتواثبوا على اصحابه فلم ينج منهم احد الا رجل كان
لما انهزموا قد دخل البلد واما الكبار الرهاين فاما قان المبارز شبر سير من سرق
ولسد وهرب كل منهم ولحق ببلده وبقى الامير على اخوه مستقلا بالهكارية
وحده الى ان اتاه اليقين فخلف فيهم ولده عز الدين صاحب قلعة هروز
ونشا الامير محمد بن الامير ابى بكر شجاعا فقصد قلعة الجبال فاخذها
واحرق بها ان الدور واراد ان يقيم بها ان ساعده القدر المقدور والهكارية
ياخذون الخفارة فى اماكن كثيرة من بحاريا الى بلد الجزيرة وبلادهم من قبل
المرج جبال العمرانية وكهف داود وهذه الاماكن اوطان البسكية
وقليل ما هم لكنهم حماة رماة وطعامهم سيروا على حصاصه وعدتهم لا
تزيد على خمس مائة واميرهم مقيم بالعمرانية ابنه تعالى له
ويجاور الحولمركية من قبل الموصل الحميدية وهم قوم كانوا يضاهون
الحميدية لكنهم شعبهم اكثر وقبيلهم اطهر وكان لهم كبرا واعيان وامرا

٨٦

فهلكت امراوهم وتشتت كبراوهم وتفرق جمعهم المعهود ولم يبق منهم
الا شرذمة قليلة تفرقت بين القبايل والشعوب وكان من بقايا امرايهم
فخر الدين حسن صاحب ماردين فانه بعده لانواد قبيلت وشعبهم لكن قبايلهم
متفرقة منهم السندية وهم اكثر شعبهم عددا واوفرهم مددا يبلغون ثلاث الف
مقاتل بمحال قاتل والمحمدية وكان اميرهم شروين ولا تزيد على
ستمائة رجل والراسنية كانوا اولى عدد وعدد وجمع ومدد الى ان نزح
اميرهم بدر الدين كيابك من ذلك البلد بالاهل والولد الى مصر وقد تشتت
شملهم وتفرق جمعهم وعادت عدتهم لا تزيد فى بلد الموصل على الف
رجل واميرهم علاء الدين كورك ابن ابراهيم والاسفص فى بلد العقر على
خمس مائة واميرهم عمر بن ابى على وموسى بن بهاء الدين والدنبلية وهم
يسكنون البلاد الجبال المقلوب والحتاد مطلوبون بالخفارة اميرهم
كلى ولا تزيد عدتهم على الف متفرقين فى البلاد متميزين بكل واد ٥

الفصل الثانى فى اللر

وهو طايفة كثيرة العدد ومنهم فرق متفرقة فى البلاد وفيهم ملك ولهم
اقدام وشطارة ولهم خفة فى الحركات وصدق فى القول لقف الرجل
منهم الى جانب البنا المرتفع ويلصق بطنه باحد الزوايا القايمة به
ثم يصعد فيه الى ان يرقى صهوته العليا ومنهم من يختلس الرجل
ماله وما اخذ منه وهو لا يدرى وربما امسك الرجل منهم وضرب بالسياط وعوقب
اشد العقاب فلا يقر انه اخذ ولا يعرف فاذا حلف بستر الله واقسم عليه به

اقدر ولعترف وفي بلاد مصر والشام منهم طوايف وفي البلاد الشامية معظمهم
ولهم في هذا وقايع مشهورة واحوال مشهودة ٥ ومما يحكى ان السلطان
صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب رحمه الله حضر اليه رجل منهم واظهر
له اشيا من افعاله اللطيفه وحركاته الخفيفه حتى انه وقف الى جانب بنا مرتفع
والتصق به وارتفع حتى استوى على اعلاه وصلاح الدين رحمه الله ينظر العجب
من شطارته وخفة حركته وقدرته على ما لا يقدر عليه مثله فلما نزل خلع عليه
واكرمه وحمله على فرس واقطعه اقطاعا جليلا وقال له اشتهي يكون
عندنا جماعة منكم فانا ما نستغني عنكم لنتوصل بكم الى حصون الاعداء
فبقي ذلك الذي يجلب له واحد بعد واحد ممن يقدر على هذا منهم
وكل ما جا واحد منهم اكرمه صلاح الدين وخلع عليه واقطعه الاقطاع
حتى لم يبق احد منهم وبقي من لم يحضر احدا الى صلاح الدين فقال له لاي شي
ما عدت جبت لنا احدا فقال والله يا مولاي ما بقي احد يقدر على هذا مثلنا
فلما تحقق صلاح الدين في ذلك اسرها في نفسه ثم جمعهم واوقف خلف كل رجل
منهم رجلا واوما اليهم بضرب رقاب اولئك النفر لان صلاح الدين لما راى ذلك
فزع منهم على نفسه وخاف ان هو قتله وحده يبقى وراه من يفعل مثل
فعله فاحتال عليهم بذلك لئلا يبرز عليه احدهم فيفتك به ٥
ولقد رأيت من مشي هذه الطايفة على الحبال المنصوبه على قامات من الارض
وانقلابهم عليها في الهوا حتى يصير راس الرجل منهم منكوسا الى الارض
ورجله متعلقة بالحبل ثم يستوي على قامته ثم يمشي على الحبل بالقبقاب

ويلعب فوقها بالمخانيق ما يحير الالباب ويخايل فيه الى نوادر العجب العجاب
ان نساهم يفعلن ويركضها اشد ركض ثم تطلع عنها في قوة جريها الى الارض
ثم تثب عليها فتستوي على ظهرها ثم تضطجع اما لبطنها ثم تترك صهوة الفرس
وتعتنق العنق تارة من اعلاها وتارة من تلقا صدرها الى غير ذلك من عجايب
الافعال وغرايب الخفة في المجال وذا بعض هو منهم في الشام احد ما قدروا
عليه ووصلت ايديهم اليه وقد عرف صبرهم على الضرب فما يعني الضرب احدهم
اذا اتهم بل حلف ليستر اهيه يقسم عليه به ويقر ولعترف ويرد ما اخذ ويقول
نحن ناخذ قبيح ونرد مليح وقد اوردناها ابن المقطبين لعادتهم على ما هي
عليه وهم ببلادهم اهل منعة وهي المواز كبير وصغير فما يوروا امير وسارقهم
لا ينقطع على السرفه هكذا جرت عادتهم في بلادنا ٥

الفصل الثالث في الشون

وهولا حكمهم حكم من كان وما بعد بعضهم من بعض في موازنة العقول
الا انه لا يخلو بينهم من ذمام نطل ومواثيق فيما بينهم يحل وفيهم كرم
وسماح يقصدهم الفقرا وينزل في قراهم ويقيم في ضيافاتهم وقراهم ولهم
فيها ولهم فيهم حسن الظن اذا انهم فيهم الفقير انزلوه في بيوتهم يمسي
ويصبح عندهم وبين نسائهم فان اطلعوا على احد منها انه خان او تطرق الى
حريمهم اخرجوه من بيوتهم وتبعوه فاما نجا واما ادرك فقتل ولا يقتلون احدا
منهم في بيوتهم سترا على حريمهم وخوفا من تنفير الفقرا عنهم لحسن ظنهم فيهم

الفصل الرابع في شكاره

وهم احسن من الملوك طريقا وادأل فريقا وفيهم رعاية الذمام وتمسك من السعد المطهر بزمام ولهم باس ونجاعة وعندهم لامرائهم سمع وطاعة على انهم اشد من الاسود اذا غضبوا واخف من البروق اذا وثبوا يكون الرجل منهم في اسفل الجبل العالي ثم ياخذ في الصعود ويسبق محاذيه السهم فيكاد يسبق السهم وقد بلغ غايته وما انحدر او يوافي هو واياه على قدر ٥

الباب الخامس في ممالك الاتراك بالروم

اما المسماه الان بمملكة الروم فقد كانت مملكة الاتراك ولا تحلق اليها مرام وهي مما هو من الخليج القسطنطيني ممتدا على جنوب بحر نبطس وما نبطس محجوزه بجبال يزلق الطرف عن صهواتها ويكل الطرف عن عوايدها في اقتحام حجراتها وكانت اخر وقت زمان بقايا بني سلجوق معدن الخيرة والخير ومسلك مسكن الملك صاحب القبة والطير وكان لسلطانها من ايدي اباية حرمة محفوظة ونعمة على معاطف الملوك ملحوظة وقد تقدم في هذا الكتاب ما ننبه على ما لهذه البلاد من المجد من الطارف والتالد ٥ كانت على عهد الروم الباقي عليها نعتهم الى الان تختال الا عنة ومشتبك الاسنة دار القياصرة ومكسر الاكاسرة وكان لملكها الرتبة العليا وكانت تقسمة التعديل تلك الدنيا لانه لم يكن يسمى من ملوك الارض الا ملوك الفرس والروم والترك وهاكذا تسموا ويدون حدهم الملوك الثلثة الاوض بينهم بالاثلاث فالروم لهم الثلث وهم اهل التثليث وهذا الذي يحرى في ذكره الان مما وقع في قسمتهم وطبع الحي وقسا بطابع

اسمهم هو الواقع على شق في الخليج القسطنطيني متصلا بارمينية وديار العرب والعواصم والشام وهو ابرك الممالك بلا احتشام خلا انه بكثرة الثلوج كالحي الوجه في شبابه اشيب اللمة في قبابه لا يستسقي له سحب لا ابراك ولا اسام ولا بارق فيه لعارضة برق ولا ابسام الا ان صخوره تتفجر ماء وتتفجر انوا تعقد دون السما سما فتخصب زرعها وتخصم المحل ضرعها وتحصف ورق المحبة على الحدايق ثمرها وينعها وتطرب ورقها لمنظرها البديع وبحرها من صناعة صنعا الربيع فلا تستمع الا كل مطربة تناجي النجي وتشجي الشجي وتخلب قلب الخلي وتهب الغواني ما في اطواقها من الحلي لعجب نوبها السندسي ونباتها المتعلق بذيل المهاد سجافها السندسي فلا تجول في ارضها الا على اراييك ولا تنظر الا سنا كالبحور العين وولدانا كالملايك واخر ما كانت في الايام السلجوقية على ما قدمنا ذكره دار بهجة وسنا ومجلس انس لكوس وغنا انتهبوا العيش بها نهبا وقطعوا الايام بالمسرات فيها وثبا ثم جرى عليها ملك اولاد جنكزخان لما فاضوا على الارض من كل مكان الا انهم ابقوا على بقايا السلجوقية الملك بالروم وحكموا معهم من يمنع اسودهم الرابضة ان تثب ويستدر لهم غير ما خلوا من الندى وتحلب ثمار النفير الايام وارواحهم لتمتد سنو الظلام وكان من دخول الملك الظاهر ابي الفتح بيبرس البندقداري الصالحي لى بيسارية ما هو مشهور وكسر عليها طايفة من روس التتار ثم عاد ولم يقر لديها قرار بعد ان جلس على تخت ال سلجوق ولبس التاج وضرب

باسمه الدينار والدرهم واستبشرت به اهل تلك الدار لكنه خاف عاقبة
لموافقة طالع الوقت لنحس سعدهم وحسن ضدهم ولم يكن فذان لحمرتهم ان
تحمد لهيبها ولا لحجة اول سبق فهران تحمد عليها قوسها فاستمرت ايدى المغل
عليها واضمحل ملك ال سلجوق حتى سقط من يديها فغلبت طوايف الاتراك
هنالك على كثير من تلك الممالك الاتية حفظت المغل مطالع افقها
وامسكت احزمتها ودارت طوايف الاتراك ملوك المغل على ما غلبت
عليه وبقى منهم يدخل فى طاعتهم على انه يسلم اليهم ولا يخرج شى من يديه
واستمرت احوالهم معهم من الطاعة والعصيان والتذكار والنسيان حتى
تمادت المدد وحسر رواق الدولة الجنكزخانية او وهى منه بعض العمد
فحينئذ ثبتت اقدامهم وبنيت فى مغارس الاستمرار ايامهم ومنذ غلبوا
على الروم كاتبوا ملوك مصر واتخذوهم ظهرا وعدوهم لحوادث
الايام ذخرا حتى ان منهم من رغب فى تقليد يكتب له بالنيابة فيما هو
فيه وكتب له وجهز اليه بالصناجق والالوية والاعلام والتشاريف التمام
والسيف المحلى والحصان المركوب والجنايب وهم الى يومنا هذا اهل ود
وصفا وحسن عهد ووفا ولكثرة ما خالطهم به الامتزاج وصل منهم
من اتخذ مصر والشام دارا واخذ بهما الامرة والاقطاع وجرى فيهما
تحت حكم الامر المطاع وسلهم حتى الان لا ينقطع عن مصر والشام
والمكاتبات واردات وصادرات والهدايا بينهم وسايرات
ومع هذا كله فكل واحد منهم بما اتاه الله من فضله ونحن الان نذكرهم

على التفصيل ونكتفى بالقليل ٥ وها نحن نشرح حال كل طايفة
متغلبة على هذه البلاد والمملكة التى استولت عليها وما استقر فى يديها
على ما ننبه عليه فى موضعه ٥ وقد ذكر ابو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر
دخول الملك الظاهر رحمه الله هذه البلاد وخروجه منها فى رسالة ذكر
فيها وسرنا لا نستقر بنا قرار ولا نقدح من غير سنابك الخيل
نار ولا نقيم الا بقدر ما يبتز به الزاير من الاهبة او يتزود الطاير من التغبة
نحمل هنا الخيل العتاق ويكبو البرق خلفنا اذا حاول بنا اللحاق وكان
السلطان من حلب قد امر جميع عساكره بادراع لامات حربهم وحمل الات
لمعنهم وصل بهم ورحلوا من حلب جرايد على الامر المعهود قد جففوا
كل شى حتى عن السيوف المغمود فسرنا فى جبال يشتهى فيها سلوك الارض
واودية يتهالك الاسواط فيها اذا مليت العروج من الارض واستقبلنا
الدرب كما قال المتنبى

رمى الدرب بالخيل العتاق الى العدى وما علموا ان السهام خيول
فلما تجلى من دلوك وصنجة علت كل طود راية ورعيل
على طرق فيها على الطرق رفعة وفى ذكرها عند الانيس خمول

ومررنا على دلوك وهى رسوم باكية على سكانها ضاحكة عن تبسم ازهارها وتعهد
غدرانها ذات بروج مشيدة واركان موطدة وبنيان زوايق موثقة
فى عمل من حسنها ممدة وسرنا الى مرج الديباج بغادى وذلك فى ليلة
مدلهمة ذات اندية وان لم تكن من حمادى لا تثبت فيها تحت قدم المار

وكانما سالكها يمشي على شفا جرف هار وشنا تستخف بالمسنة البهاليلة
المسوع وتمنى العين فيها هجمة هجوع واحسن ما تقع حذرنا في اختراق غابات
استحجار تخفي الرفيق عن رفيقه وتشغله عن اقتفاء طريقه حولها معاثر احجار
كانها قبور لعترت او جبال تقطرت بينها مخايض لا بل معائص كانها بحار
تجرت ما خرجنا منها الا الى جبال قد تمنطقت بالجداول وتعممت بالملوح
وعميت مسالكها فلا احد من الا وهو قايل يهوالي خروج من سبيل والى
سبيل من خروج تضيق مناهجها بمشي الواحد وتلتف بمجرانها التفاف
الاكمام على السواعد ذات اوعار زلقة وصدور شرقة واوديه بالمردحمين
مختنقة حتى وصلنا الى الحدث الحمراء المسماة الان بكبنوك ومعناها المخرقة
كان قسطنطين والد ارمانوس قد اخذها من اصحاب الروم واحرقها وتملكها وعمرها
الصد لبلاد الاسلام ثم سير السلطان اليها عسكرا من حلب ففتحها بالسيف
وقتل كل من كان بها من الرجال وسبي الحريم والذرية وخربت من ذلك
الحيف كما بقي بها من كل دبين وشاهدنا منها ما بناه سيف الدوله
ابن حمدان فالفتنا بقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم وقد
لسلطاننا هناك على قدر اهل العزم تاتي العزايم

غضبنا بهم والملوك عليها فبناها في وجنة الدهر خالا

فبتنا بها جيادنا اذا زلقت مشت كالارقم على البطون وان تكاسلت
حث بعضها بعضا بالصهيل والكلاب تحوت خضنا في اثنا ذلك مخايض
سوابح كانها لا حد عوم الخيل بها سمي كل منها لاحد ذلك سابح

90

كلما قلنا هذا بحر قد قطعناه اعرض لنا جبل وكلما قلنا هذا جبل قد
طلعناه بان لنا واد تسنهون دونه الهوى وفيه نفاد الاجل ثم وصلنا
كوك صو وهو النهر الازرق الذي رد الملك الكامل منه سنة الدربندات
لما قصد التوجه الى الروم وللوقت عبر ما ركضا واعجلت الخيل فما دون
هل خاضت لجة ام قطعت ارضا وبات الناس من سبر هذا النهر الاحمر واصبحوا
مستسلمين في تلك الشم ووقع السنابك تسمع من تلك الجبال الصم حتى وصلوا
الى الحادربند فما نبتت بها ورس لمصافحة صفاها ولا نعل لمكافحة رحاها
ولا رجل لمطارحة قواها وتمرنت الخيل على الاقتحام والازدحام في التطرق
وتعودت ما تعودت الاوعال في الاوعار من التسرب والتسلق تخبط الخطاط
المهذب وترتفع ارتفاع الكوكب حتى حصل الخروج من منتهى الدربند وبات السلطان
في وطاة هناك وسحت السحب بما شاءت من برد وبرد وجاءت الريح بما الم الجلد
واستنفد الجلد وانتشرت العساكر حتى ملات المفاوز وملكت الطرق على
المار ولحذتها على الحاجز وقدم سنقر الاشقر في الجاليش فوقع على مائة الا فارس
من التتار فقتلهم كراي فانهزموا من بين يديه واخذ منهم من قدم السيف السلطاني
فاكل نهمته واثار واستمرت تلك صنه فمن يوخذ من التتار ويوسر وبات التتر
على اجمل ترتيب وتطرو وبات المسلمون على اتم تيقظ وحذر فلما كان يوم
الجمعة عاشر ذي القعدة تتابع الخبر بعد الخبر بان القوم قد قربوا وانهم
تاهبوا ورتبوا ووصى السلطان جنوده في التثبت على ما يجب واراهم من نوره ما به
ما لا يحتجب وطلعت العساكر من جبال مشرفة على صحرات منها من يلمسين

وكان العدو ليلته تلك بايتا على نهر زمان وهو اصل نهر جهان واصل
اسمه جيحان فضرب المغل احد عشر طلبا كل طلب يزيد على الف فارس
وعزلوا عسكر الروم حيفة منهم وجعلوا عسكر الكرج طلبا واحدا بمفرده
ولما شاهدوا صناجق السلطان ومن حولها وعليهم الخوذ الصفر المفترجه
وكانها في شعاع الشمس نيران مقتدحه رجعوا الى ما كانوا عقدوا من
العزايم فحلوا وسقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا وانصب الخيل
اليهم من اعلا الجبل انصباب الخيل السيل وبطلت الحيله منهم وبقي
الجبل فستمروا عن السواعد ووقتلوا وقفه الرجل الواحد وكان
هولا المغل قد اختارهم ابغا من كل الف مايه ومن كل مايه عشره
ومن كل عشره واحدا الا لاجل هذا اليوم وكان فيهم من المقدمين
الكبار تداون وتقو والبه امر بلاد الروم واخو تداون
وتادر بخشي ومن امرا الالوف مزبرك وصهر ابغا وقرلق واخلدت
من المغل فرقه الى الارض فقاتلت وعاجت على نفوسهم وعاجلت
وجا الموت العدو من كل مكان واصبح ما هان منهم قد هان
وكم فيهم من شهم ما سلم قوسه حتى لم يبق في كنانته سهم وذي
سنان طايح فما طار حتى تثلم وذي سيف حادثه بالصفاح فما حلا
محادثته حتى كلم واستدت فرقه من العدو من جهة الميسره معرجين
على الصناجق السلطانيه
فلزهم الطراد الى قتال احد سلاحيه الفرار

وثاب السلطان اليهم ووثب عليهم فضحى سهم بكل سمط وافرى سباع
الوحش والطير فرط ولحق من قصد التحصن في الجبال فاخذهم في
كل رابيه الاخذه الرابيه وقتلهم فهل ترى لهم من باقيه واهزمت
جماعه بيسره طمع فيها من العوام من لا كان يدفع عن نفسه واخذتهم
المهاوي فما نجا منهم الا ايس من حياته عده في امسه

مضوا متتابعي الاعضا فيها الا ارجلهم بارو سهم عثار
اذا فاتوا الرماح تناولتهم بارماح من العطش القفار

ووصلت ميمنه عسكرنا جماعه من المغل دو باس شديد فقاتلهم
المسلمون حتى ضجر الحديد من الحديد واما العدو فقاسمت الايدي
ما يمتطونه من الصواهل والصوافن وما يصولون به من سيوف وقسي وكنائن
وما يلبسونه من جود ودروع وجواشن وما يتمولونه من جميع اصناف
المعادن فغنم ما هالك ولتسلم من استشهد من المسلمين رضوان
ومن قتل من التتار مالك واورث الله المسلمين ديارهم فنزلوها
ووطئوا فسهم حوزا واهم فتمولوها وكان السلطان مع اعدايه كما قيل

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

واصبحهم واصبح الاعدا كانما جرز اجسادهم تخللها من الدما السيل
وكم ما روسهم المجموعه لدى الدهليز المنصور اكر تلعب بها صولجه الايدي
والارجل من الخيل وكم فيهم من مهيب الهامه حسن الوسامه يتفرس
في جهامه وجهه الفخامه قد فض الرمح فاه فقرع السن على الحقيقه

ندامة وكثرت الاسارى فاختار السلطان من كبرائهم البعض وعمل فيهم
بقول الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض ٥
ودخل البرواناه مدينة قيصرية في سحر يوم الاحد ثاني عشر الشهر
فاتفقهم غياث الدين سلطانها والصاحب فخر الدين عليا والاتابك مجد
الدين والامير جمال الدين المستوفي والامير بدر الدين ميكائيل النائب
والامير الطغرائي وهو ولد عز الدين اخي البرواناه وهو يكتب طرر المناشير
ان المسلمين كسروا البعض المغل ويقتبهم منهزمون ويخشى منهم دخول
قيصرية واتلاف من يكون بها فاخذ زوجته كرجي خاتون بنت غياث
الدين صاحب ارزن وامها ملكة الكرج وزوجها السلطان غياث الدين
صاحب الروم في اربعماية جارية وكان لها مال الا كان لصاحب الروم
من الجواني والخاص والارات وتوجهوا كلهم الى جهة توقات وهو حصن
عن قيصرية اربعة ايام وهو تعول على بقية امرا الروم فانفجوه الا قليل
منهم واختفى البرواناه ابن وامر من معه حتى لا يخبر عنهم ورحل
السلطان فنزل قريب قيصرية زمان وبيوتها حول سن جبل قائم
كالهرم الا انه ملموم وعمرت البيوت في سفحه حوله بيتا فوق بيت
وبدت كانها مجرة النجوم وما منها بيت الا وبه مقاعد ذوات درابزينات
منجورة ورواشن قد بدت في احسن صورة يحمنها من اعلاها احسن بنيان
ويعلوها من راسها منزل مسنم الراس كما يعلو الصعدة السنان ويطوف
بها الجبال كانها لها اسوار بل سوار وكانها في وسطها اناء فيه جذوة نار

وبينها انها ردوات قناطر لا تسع غير راكب ومضايق لا تلقى غيرها المناكب
فنزلنا قريبا منها حتى تخلص من تخلص وخص من كان في المضايق
قد تربص وقال كل الان حصحص ورحلنا والسما قد حنت للارض
بثجان امطارها واعرقت الهوام في احجارها والفتخ في اوكارها واصبحت
الارض لا تتماسك حتى ولا للمرور الاراقم والجبال لا تتمالك ان تكون
للعصم عواصم تضع بها من الدواب كل ذات حمل وتزلق على صقيلها
ارجل النمل سرنا على هذه الحالة نهارنا كله الى قريب الغروب
وقطعناه بسلما ابدى الدروب من الدروب فنزلنا عشا في مستنقع ارض
يطوف بها جبال شاهقة ومياه دافقة تعرف قاعة تلك الارض
بوطاه فسلار بنا رمن اعمال صاروس العتيق ويغرب من تلك الجهة
معدن العضم وبينما نحن قد شرعنا في اهبة المبيت ولم تجمع الشمل
الشتيت واذا بالصارخ قد عفر عقيرته بان نوحا من السار هنالك
في نحوه قد استنزوا وفي نحو العشرة قد استطوا فركب السلطان والناس
في السلاح وعزموا على المطار نحوا فهم تتابع العيث وكيف يطير مملوك
الجناح ثم لطف الله وعاد السلطان وهو يقول لا باس فنمنا نومة السليم
وصارت افكارنا شاعرة في كل واد تهيم واصبحنا فسلكنا جبالا لا يحيط
بها الوصف وتبسط عذر الطرف فيها حين يكبو الطرف يحط منها
الى جنادل تضعف عن الهوى اليها قوى الاجادل ومررنا على قرية اودال
وتحتها قناطر خان من حجر منحوت ثم خان اخر للسبيل على راس رابية

هناك قريب حصن سمندو والذي عرّض ابو الطيب به في قوله

فان يقدم فقد زرنا سمندو وان يحجم فموعده الخليج

وكان السلطان قد سير اليها خواص كتاب الى بابها فقبله وقبّله واذعن
بالتسليم لحصنها المنيع والنزول لامر السلطان عنها ان استنزله فشكر السلطان
له تلك الاجابه ووفاه من الشكر حسابه وكذلك الى قلعه درنده والى قلعه
دوالو فكلهم اجابوا واطاعوا ولكلمة الاذعان والوا ونزلنا في وطاه
قريب قريه تعرف بحمرها وكان الناس قد فرغت علوفات خيلهم او كادت
وباتت الخيل ليالي بلا عليق فمالت ومادت وشاركتها خيول الكسوب
في عليقها وما ساعدتها في طروقها ولا طريقها فصادفنا في هذه الليلة بعض
ابنان امسكت ارماقها واحسنت ارفاقها واصبحنا راحلين في جبال
كانها تلك الاول وهابطين في اوديه يتمنى سالكها لشدة مضايقها لو عاد
شرقي قنة الجبل ثم اشرفنا على خان هناك يعرف بقرطاي
يدل على شرف همة بانيه وطلب ثواب الله تعالى فيه وهو من اكثر
الابنيه سعة وارتفاعا واحسنها شكلا واوضاعا كله مبني بالحجر
المنحوت المصقول الاحمر الذي كانه رخام ومن ظاهر اسواره واركانه
نقوش لا يمكن ان يرسم مثلها بالقلم وله خارج بابه مثل الربض بباب با سوار
حصينه مبلط الارض فيه حوانيت وابواب الخان حلاية من احسن ما يكون
اسمها له وداخله اواوين صيفية وامكنة شتوية واصطبلات على هذه
الصوره لا يحسن الانسان يعبر عنها بكيفية وما منها الا ما حده المسافر رحلة

رحلة الشتاء والصيف وفيه الحمام والمرستان والادويه والفرش والاواني
والضيافه لكل طارق على قدره وحمل الى السلطان لما مر عليه وكثر الناس
فما وصل احد اليها والا اليه وعليه اوقاف عظيمه وضياع كثيرة حوله
وفي غيره من البلاد وله دواوين وكتاب ومباشرون يتولون استخراج امواله
وارتفاقه وفيه ولم تتعرض التتار الى ابطال شي من رسومه والتقوم على
عوايد تكرمه واهل الروم يبالغون في تبجيل بانيه رحمه الله وتعظيمه
فنزلنا تلك الليله قريب قرية قريبة من قيصرية شرقي الجبل المعروف
بعسيب وفيه قبر امرؤ القيس الشاعر وفيه يقول

اجارتنا ان الخطوب تنوب واني مقيم ما اقام عسيب

اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

وهذا الجبل يعلوه جبل ارجاس وهو الذي يضرب به الروم الامثال لتساميه
وتسامي الجبال في جميع الدنيا لتعاليه لا تسحب ذيول السحاب الا دون سفحه
ولا يعرف شتاؤه من صيفه من تلوحه ولا اهبال الابخره المتصعدة عشاءه من
صبحه فلما كان يوم الاربعا منتصف ذي القعده وهو يوم شرف الزهره
ركبت العساكر المنصوره مرتبه وملات الفضا منشوره فركب السلطان
في ترتيبه وذوي امره وامرايه يختال به جواده في افسح ميدان ويصبح به مرحا
وفرحا كانه نشوان درى انه سلطان

تظل ملوك الارض خاشعة له تفارقه هلكى وتلقاه سجدا

وخرج اهل قيصريه واكابرها وعلماوها وزهادها وتجارها ورعاياها ونساوها

وصغارها فاكرم السلطان ممشاهم وشكر مسعاهم وتلقى قضاياهم وعطاهم
ركبانا وجياد ثيهم اسانا اسانا حصلت لجماعة من الفقرا والناس
حالات وجد مطربة وصرخات ذكر معجبة وكان شعار السلطان غياث الدين
صاحب الروم وخيامه وشعار سلطنته قد بني جميعه في وطاة قريب الجوسق
والبستان المعروف بكيخسروا فنزل الناس على اختلاف طبقاتهم في الركاب
الشريف من ملك وامير ومامور وارتفعت الاصوات بالتهليل والتكبير ونزل
السلطان في تلك المضارب وضربت نوبة بني سلجوق على باب دهليزه على العادة
واذن السلطان للناس في التفرج الى شريف نشاطه وحضر اصحاب الملاهي
فما ظفروا لغير النواهي وقيل لهم ارجعوا وراكم فالتمسوا واذهبوا الى واد
غير هذا الوادي فاقتبسوا وهذه الهنات لا تنفق هنا وما هذا موضع الغناء
بل موضع الغنى وشرع السلطان في انفاق الهبا وعين في شخص كل جهة
شخصا وقال انت لها وحكم وحكم وعلم وغلم واعتمد على الامر
فحال البشر في البناه والعطى كالابيمنه كاتبه واقام الحجة على من نزح بالاسغطا
وما بين من خاف فلما علم انهم لا يفلحون ولغير النثار لا يصلحون وانهم
ان صبحوا في الطاعة لا يمسون وان امسوا لا يصبحون عاد عن تلك الوعود
واختار ان ما بدا اليه يعود وركب يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة مستقبلا
من الله الخير ونصب جتر بني سلجوق على راسه وراى الناس منه صاحب الفتنة
والسبع وصاحب الغبة والطير ودخل قيصرية في بكرة هذا اليوم وكانت
دار السلطنة قد فرشت لنزوله وتخت بني سلجوق قد هيئ لحلوله وهو مارك نزهو

وما ارن من بتغيد ولهو انيقة المبتنى تخف بها بساتين عذبة المجتنى جدرانها
باحسن اصناف القاشاني مصفحة وباجمل نقوشه مصرحة لمجلس السلطان
في مرتبة الملك في اسعد وقت وقال التخت كلولد اسعد التخت

وما كان هذا التخت من حين نصبه لغير المليك الطاهر الذيل يصلح
مليك على اسم الله ما فتحت له صوارمه البيض المواضي وتفتح
اتته وفود الروم والكل قابل رايتك تعفو عن كبير وتصفح
ناد سعيهم حلما اجاد لهم ندى وامسوا على من وامن واصبحوا

واقبل الناس على السلطان يهنونه وعلى كفه الشريف يقبلونه ثم حضرت القضاه
والفقها والصوفية وذووا المراتب من اصحاب العمايم على عادة بني سلجوق في كل
جمعة ووقف امير المحفل وهو كبير المعدل عندهم وله وسامة وفخامة وله اوسع
كم واكبر عمامه واخذ في ترتيب المحفل على قدر الاقدار وانتصب قايما
بين يدي السلطان منتظرا ما اليه به لتشار [؟] وشرع القرا يقرون جمعا وفرادى
باحسن تلحين واجمل تحسين فلما فرغوا اسرع امير المحفل صارخا وبكور [؟] نمه [؟]
نافخا فانشد واورد بالفارسية ما يعجب مدلوله ويهول منقوله واطال
وما اطاب واستصوب من يعرف مقاله قوله والله اعلم بالصواب ولما انقضى
ذلك مدوا اسماطا للبشر بناسب همم الملوك فاكل الناس منه للشرف لا للسرف
ثم عاد كل الى مكانه فوقف وقام السلطان الى مكان الراحة فاقام ساعة
او ساعتين ثم خرج الى مخيمه قرير العين وكان بدار الملك حرم السلجوقية
على ابوابهم اسمال ستور حرير ومشايخ خدام يسبق كل منهم ان يدعى بالكبير

يخبرهم السلطان واستشهم واحسن اليهم وتوجه الى صلوة الجمعة بقيصرية وبها
سبع جوامع تقام فيها خطبا الائمة كالانعام يصلون في جامع السلطان
وهو جامع لا يدل على احتفال ملوكها ببيوت عباداتهم ولا فيه من دلائل
الخير ما يقتضي تحسين اراداتهم فحضر اهل المدينة واكابرها وجلسوا حلقا لا
صفوفا واحتموا من التحت بالعمية صوفا واجتمعت جماعة من حفاظ الكتاب
الكتاب العزيز فتجاردوا القراءة امية ابية وهي قراءة بعيدة عن الدراية بل
انها تبرزها اصوات مترنمة والحان لتفريق الكلمات مشتبه ينطقون
بالحروف كيف اتفقت ولا يتوقفون على مخارج الحروف ايها نطقت او لا
نطقت ولما ان وقت الاذان قام صبي عليه قباء من وسط جماعة عليهم اقبية
وصعد على دكة المؤذنين فابتدأ بالتكبير اولا وثانيا بمفرده من غير اعانة
ولا ابانة ولما تشهد ساعدوه جميعهم باصوات مجمجمة ملعلعة ونغمات متنوعة
يمسكون له النغم باطيب تلحين ويترنمون بالاصوات الى اخر التأذين
وفرغ الاذان وكلهم يعودون ما سمعهم احد غير الصبي قد وقف وما منا احد الكلمة
من الاذان عرف ولما فرغ الاذان طلع شيخ كبير السن يعرف بامير محفل
المنبر يصعد الى ذروة المنبر وشرع في دعاء لا نعرفه وادعا لانا الفدا كان
يخاصم او وكل شرع احضر لسانه خصمه خصم بين يدي حاكم وطلع الخطيب
بعد ذلك فخطب ودعا للسلطان بغير مشاركة وانقضت الجمعة على هذه
الصورة المسطورة وضربت السكة باسم السلطان واحضرت الدراهم اليه في هذا
اليوم فشاهدناها جميعا منهللة باسمه الميمون واقرت الالسنة بهذه النعمة

وقرت العيون وشاهدت بقيصرية مدارس وخوانق وربطا تدل على اهتمام
بانيها ورغبتهم في العلوم الشريفة مشتملة بحسن الحجار الحمر المصقولة
المنقوشة واراضيها باجمل ذلك مفروشة واوانيها وصففها مؤزرة
بالقاشاني لاجمل صورة وجميعها مفروشة بالبسط الكرجية والقالية
وفيها المياه الجارية ولها الشبابيك على البساتين الحسنة وسوق قيصرية
طايف بها من حولها وليس داخل المدينة دكان ولا سوق والوزير في بلاد
الروم يعرف بالصاحب فخر الدين خواجا علي وهو لا يحسن الكتابة ولا الخط
وحلفه من مماليكه خاصة ما بنا مملوكه ودخله غير دخل اولاده وغير الاقطاعات
التي له ولاولاده وخواصه سبعة الاف درهم سلطانية ولقد شاهدت في مدرسته
من خيامه وخرگاواته شيا لا يليق الا لاكبر الملوك ولد بر ومعروف وبالخير معروف
واما معين الدين سليمان البرواناه وزوجته كرجي خاتون فظهر لهما من
الموجود البادي للعيون كل نفيس واستولى السلطان من موجودهما على
ملك سليمان وعرش بلقيس ولما اقام بقيصرية هذه المدة فكر في امر
عساكره ومصالحهم بما لا يعرفه سواه ونظر في حالهم بما اراه الله وذلك
ان الالات قلت والسيوف من المضاربة فلت والسواعد من المصادمة كلت
وان ما بقي بالروم من الكفار ومن يعزي ولا جنا السوكرزي وما بقي في
البلاد الا رعايا ذات السوايم الهاملة ولا دية للغز منهم على عاقل ولا عاقلة
وان اقام بالبلاد لا تحمله ومواد بلاده لا تصله واعشاب الروم بالدوس قد اضمحلت
وعلوفاتها قد قلت ومزروعها لا تزكي لكفايته ولا ترضي خيول

العساكر المنصورة بما نرضي به خيول الروم من الرعاة والرعايا وان الحسام
الصقيل الذي يقتل به المنشار في يد القاتل وانه ان كان اعجبهم عامهم
فيعودون الى الروم من قابل فرحل يوم الاثنين العشرين من ذي القعده
بعد ان اعطى امراه وخواصه كلما احضر اليه من الاغنام والازمه وكلما يطلق
على نوع اسم النعم ونزل في منزلة تعرف لقنبرلو وفيها وصل اليه رسول
غياث الدين والبرواناه يستوقفونه وكان الامر شايعا انهما الى سيواس
فعقد السلطان عليه حسن وفا عهده وانه اجاب دعاهم مرة بعد مرة
من اقصى ملكه مع بعده وانهم ما وقفوا عند الشرايط المقررة ولا اووا المضمون
الرسايل المستبره وانه لما جا الحق وزهق الباطل طلبوا فطرة الى ميسرهم
وعلم السلطان ان عساكر الروم اهل التذاذ لا اهل نفاذ واهل طرب لا
اهل حرب واهل طيبة عيش لا فؤاد جيش فرد الى سليمان البرواناه
وهدده وقال قل له انني قد عرفت الروم وطرقاته وانه اسبق مني وان بنتنع
ولده ويكفينا ما جرى من النصر الوجيز ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز ولا كل من قضى فريضة الحج تجب عليه المجاورة ولا بعد هذه المهاجرة
مهاجرة ونحن فقد ابتغينا فيما اتانا الله من حقن دما اهل الروم وعلم نهب
اموالهم الدار الاخرة وما كان جلوسنا في تخت سلطنتكم لزيادة تبجح بتخت ال
سلجوق الا لنعلمكم انه لا عايق لنا عن امر من الامور يعوق وان احدا لا يسعى
ان يامن ان نسطوه وليتحقق كل ان كل مسافة جمعة لنا خطوة وسرو جا
بحمد الله اعظم من ذلك التخت جلالا وارفع منالا وكم في ممالكنا كرسي ملك

تحت ايدي ذلك الكرسي وكم لنا فتح والحمد لله فوق الفتح القدسي واستصحب السلطان
معه اكابر الروميين ثم رحل فنزل قريب خان السلطان علاء الدين
كيقباذ ويعرف بلرداصراي وهذا الخان بنيه عظيمة من ابنيته
خان قرطاي وعليه اوقاف عظيمة من جملتها اغنام كثيرة يذبح نتاجها
للواردين عليه ثم نزلنا في وطاة روبزان كوذلو ولوذلو اسم جبال
تلك الوطاه ثم رحلنا فعارضنا نهر في وطاه خلف حصن سمندو من
طريق غير التي كان توجهنا عليها بمكان يعرف بنهر قزل صو
وهو صعب المخاض واسع الاعتراض عالي المهبط زلق المسقط
مرتفع المرتقى بعيد المستقى لا يجد السالك من اوحاله خافيه الا
صعيدا زلقا فوقف السلطان عليه بنفسه وجرد سيفه بيده وباشر العمل
هو وجميع خواصه حتى هيا المكان جميعه ووقف راجلا يعبر الناس اولا
فاولا من كبير وصغير وغلام وهو في اثنا ذلك يكبر على من يزدحم
ويكرر التاديب لمن يطلب باذيته رفيقه ان يقتحم فلما خف العبور
ولم يبق الا المرور ركب فرسه وعبر الما ونزل في واد هناك به
مرعى ولا كالسعدان ومرعى ولا كشعب بوان ثم رحل فنزل عند صحرات
قراحا حصار وهي قرية كانت عامرة فيما مضى فبالها بازاريلو وهذا
البازار هو الذي كانت الخلايق تجتمع اليه من اقطار الارض ويباع فيه
من كل شي يجلب في الاقاليم ثم سرنا حتى نزلنا وطاه الالبستين
وعبر السلطان على مكان المعركة المتقدم مع التتار وراى كيف

تعاقبت عليهم من العقبان كواسرها ومن النسور مناسرها ولكنهم اصبحوا
لا تبذيهم الا النوم وكيف تحققوا ان التي اهلكتهم زرق الاسنة لا زرق
الروم وشاهدتهم والهوام في اجسادهم متصرفة قد هزا بهم كل شي حتى
الوحوش والرياح فهذه من صور بدهم متكرعة وهذه عليهم متقصفة
فقد سودت سخر الجبال شعورهم وكان فيه مسقعة الغربان
حضرت من اهل الابلستين هناك جماعة من اهل التقى والدين فاستخبرهم
السلطان عن عدة قتلى المغل فقالوا اما شان العادين فاستفهم
من كبيرهم عن عدة المغل كم من قتيل فقال قل الله اعلم لعبيدهم ما يعلمهم
الا قليل فقال الذي عنده علم من الكتاب انا عددت ستة الاف
وسبعمائة وسبعين نفرا وضاع الحساب هذا غير من اوى الى جبل يعصمه
من ماء السيوف فما عصمه ومن اعتقد ان فرسه تسلمه فما سلمه فنزل بهم
السلطان ورسم بتقديم الاثقال والخزاين والدهليز المنصور على اثر
دربند ثم اقام يومين ينتظر صيدا من العدو يعن او دما من دمائهم
الى السيف يحن فلما لم يجد احدا رحل من طريق غير التي حضر منها
فسلك على اوعار طريق اسبابا وطلع من قنن الجبال في هضاب كان كلا
منها كف حملت من الانجم قبسا فقاسى الناس في هذا اليوم من
المشقة ما لا يدخل في قياس وكاد الناس ان يهلكوا لولا ان الله تدارك
الناس فساقوا ولكن على مثل حد السيف وتسللوا ولكن سل حوافر الخيل
كيف هبطوا من جبال يستصعبها كل شي حتى طارق الطيف يستصعب

الحجر المحلوق وتوعر في عقابها وبسهول النجم التي تعلقت بشعابها وعليها
كوكب صوء ما لنهوا ازرق وبات السلطان هناك وكان قضيم الخيل في تلك
الليلة ورق البلوط الا من امست عنايه الله لم يسير شعير تحوط ورحل
السلطان ونزل كينوك المقدم ذكرها وعدل الى طريق مرعش
فزال بحمد الله عقاب تلك العقاب وقالت الانهار الملتقية لكل منا اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ونزل قريب قلعة خراب تعرف
بالاسكليبس الى جانب نهر يعرف بالحان ثم رحل السلطان قريب بر الحوجا
من بلاد مرعش ثم رحل فنزل عقبة مرى احد وبذات سيس الى
جانب النهر الاسود ورحل فنزل قبالة درنبال ورحل فنزل قريب
حارم فنزل ورتب منزله الذي كان به فيما تقدم والقى عصا التسيار
وقال لاهل الخيام هذه الخيام ولاهل تلك الديار هذه الدار

وهذه الرسالة كافية في كثير من احوال الروم ٥
وفيما ذكر عن دخل هذا الوزير ومن له المماليك غير تقيم من لعله
يكون له من الجند والاتباع ما يعرف به عظم شان هذه المملكة ووفور
دخلها ووفود السعود الى محلها وتنشر ابناء الزمان من عبر من هم
بطلها ولو قد اجتمعت هذه البلاد لسلطان واحد وكفت بها
اكف المفاسد لما وسع ملوك الارض الا انجاع سحابه وارتجاع كل زمان
ذاهب في غير جنابه ٥ وهذا الذي دخله الملك الظاهر من
بلاد الروم هو بعض ما البيت حنكر خان وهو من جلالة المقدار وكثرة

الا ان على ما قد اشرنا اليه فكيف جميع ما هو الخليج القسطنطيني الى بحر بنطس
الا اكبر ان ذلك ملك عقيم وسلك نظيم وسلطنة كبرى ودنيا
اخرى ذلك فضل الله يؤتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ○

واما ما نحن بصدد ذكره من ممالك الاتراك في الروم

فقد حدثني الشيخ حيدر العريان السرحصري الرومي وهو من اهل مدينة
سبو حصر من بلاد الروم مما هو في ايدي ملوك بيت جنكزخان قال ان
لهولا امرا الاتراك نقودا لا يخرج نقد واحد منهم في بلاد الاخر ودرهمهم
في الغالب تقدير نصف وربع درهم من نقدنا والرطل يختلف عندهم
واكثرها بالتقريب نحو اثني عشر رطلا بالمصري واقلها زنة ثمانية ارطال
قال واما الغلات فتباع بكيل لهم يعرف بالموط وهو نحو نصف اردب
ونصف بالمصري قال وهذه البلاد بلاد الروم جميعه فيه من انواع
الفواكه كلها الا الحوامض كالليمون والنارنج وما لا يوجد في الصرود
كالرطب والموز وقد يوجد ما قل من الحوامض في بعضها مما هو على
ساحل البحر واما الدواب السوايم فاكثر من ان يقع عليها احصا
او حساب من الخيل والغنم والبقر واعظمها عددا وانماها ولدا
الغنم فانها تنبسط في الارض منها المعز المرعز ذوات الاوبار المضاهية
لانعم الحرير وغالب قنية اهل الشام وديار بكر والعراق وبلاد العجم وذبائحهم
مما تفضل عنها وجلب اليها منها وهي اطيب اغنام البلاد لحما واشهى
شحما وبها العسل المضاهي للثلج بياضا والسكر في اللذاذة طعما

لا حد فيه ولا افراط حلاوة توقف الاكل والاسعار كلها بالروم رخيصة
لاسباب منها قلة المكوس وكثرة المراعي المباحة واتساع سبب التجارة
واكتناف البحر قال وقيمة الغلات بها دون قيمتها بمصر والشام
او مثلهما في الغالب فاما اللحم واللبن على اختلاف انواعهما
فرخيصة رخيصة اما الغنم فخيار راس يكون لا يتجاوز اثني عشر درهما
من دراهمهم يكون نحو تسعة دراهم من دراهمنا الى ما دون ذلك
واما اللبن وما يعمل منه فما هو مما يباع عند بعضهم لكثرته فاما في
زمن الربيع فانه لا يوجد له من يشتري ولا من يبيع لانه لا يكاد يخلو احد
في الروم من اغنام يحلب له اللبن فلا يحتاج ليشتريه ولا يحتاج اليه احد فيبيعه له
قال واما العسل فلا يتجاوز الرطل ثلاثة دراهم برطلهم وهو ذلك الرطل
الكبير ودرهمهم وهو ذلك الدرهم الصغير فاما الفواكه في اوانها حكم الالبان
في زمان الربيع وقال وبلاد الروم اذا غلت وانحطت كانت بسعر الشام
اذا اقبل وارخص قال ومع نواب بيت جنكزخان بالروم ثلاثة معادن
فضة احدها باراضي مدينة لولوه والثاني باراضي مدينة لمس والثالث
باراضي مدينة ماحرت قال وهي الى ان فارقها في حدود سنة ثلاث
وثلثين وسبعمائة عمالة مستمرة العمل يستخرج الفضة الخالصة منها قال
والروم شديد البرد لا يوصف شتاؤه الا ان سكانه يستعد له قبل دخوله
وتحصل ما يحتاج اليه وتدخره في بيوتها وتستكثر من الحطب والادهان
والخمور فتاكل طول ايام مدة الشتا وتلك الايام طيبة العيش عندهم

ولا تخرج من بيوتها ولو ارادت ذلك لما قدرت حتى تذوب الثلوج فتخرج
الى معاشها ٥ وذكر هذا الشيخ حيدر العريان ان جملة
ممالك الاتراك بالروم احد عشر مملكة غير ما بيد بيت جنكز خان وهذا
هو خلاف ما تبين لنا على ما سنذكره نقلا عن بلبان الجنوى وبلبان
ادري فاما ما عده العريان من ممالك الاتراك فهى مملكة انطاليا
وصاحبها خضر بن دندار وقال ان لصاحبها مدينة افنيكا واميرها
الذي هو بها الان من قبله وهو من اولاد منتشا وقال ان عدة عسكره
نحو اربعين الف فارس قلت ولهؤلاء بنى دندار الى ملوك مصر
انتماء ولهم من تحف سلاطينها نعما وكان بمصر منهم من له امرة فيها
ثم عاد الى بلاده بعد مهلك تمرتاش بن جوبان لانه كان قد ترك
بلاده لاجله وفر هاربا من بين يديه لعداوة كان قد اضطرمت بينهما شرورها
واضطربت امورها فلما خلت من مجاورة تمرتاش تلك البلاد عاد
واخبرني بلبان الجنوى الاتى ذكره انه قتل هناك وما استقر له حال
ولا اسلمت له بلاد ومملكة دملاش بلاد ابن منتشا
وقال عسكره لا يزيد على ثلث الاف فارس ومملكة برگى
بلاد محمد بن ايدين وان عسكره نحو عشرة الاف فارس وهذا ابن ايدين
ما اعرف ان له من حوله من ملوك الممالك الماما ولا ان له اخبارا
ترد طروقا ولا الماما بل هو في عزلة عن كل جانب لا يخالط ولا يجانب
ومملكة كاس بردبك بلاد صاروخان قال وعسكره اذا جمع

يقارب ثمانية الاف فارس ومملكة مالي كسرى بلاد دمرخان قراشي
قال وله مدينة كردما وبها بوماس واميره كردما من قبله واسمه بسبغا
قال وهذه البلاد محصنة منيعة ولها اقطار رحبة وسيعة ومع هذا فعسكره
قليل ضئيل لا يجاوز ثماني فارس لكنه مطمئن بمنعة بلاده لا ينافسه
فيها منافس ومملكه بلاد اورخان بن عثمان قال
وعسكره خمسة وعشرون الف فارس وهو مجاور الخليج القسطنطيني وبينه
وبين صاحب القسطنطينية الحروب سجال وايامهما بينهما تارات له في غالبها
على صاحب القسطنطينية الغلب وله في صدور الروم سهام تشق
صدور البلب ولهذا ابدا ربما ملك الروم على مال يحمله اليه كل هلال
قال ولقد جاز البحر مرة الى بلاد النصارى وعاث في نواحيها وشد
على بطارقتها لا فلاحيها والتي علوجها حيث تعتلج سيول الدماء
وتختلج سيوف الضرب من الاعداء امده الله بتأييده واذل به خزم الكفر
لعقيان صناديده ومملكة كرمان بلاد ارعد يسار قال
كرسى مملكة كوتاى قال ومالكها الان كرمان بن عذشار وهذا ا
قال الشيخ حيدر العريان قال وهو امير مطاع وفاتك بعرش البوارق
سيوفهم شعاع وامراء الاتراك تتقيه وتبذل كل منهم في مسالمته ما استطاع
قال وعسكره يقارب اربعين الف فارس وهم فوارس وغى ومزارع
علبا لا تبتغي ومملكة كردله بلاد شاهين قال وعسكره
نحو خمسة الاف فارس ومملكة كونيك حصار بلاد امرخان

قال وعسكره ثلثة الاف فارس **ومملكة** كصطمونية
بلاد سليمان باشا قال وصاحبها الان سليمان ابن ابرهيم بن سليمان
باشا وله مدن وقلاع ومن مشهور ماله مدينة سنوب واميرها من قبله
واسمه غازي جلبي وبورا واميرها مراد بك **قلت**
وصاحب كصطمونية ممن له بملوك مصر اتحاد وبينه وبينهم مكاتبات
ووداد وتخوم على ما يقال لنا وبلغنا نحو مائتين الف فارس او يزيدون
وببلاده الخيل الخاصي الرومية الفايقة المفضل بعضها على كل سابق
من الخيل العراب وهي سوت مشهورة مثل خيول العرب بالانساب
محفوظ والحساب ملحوظ ويغالي في اثمانها خصوصا في مكانها
حتى ان بعضها ليبلغ قيمته الف دينار ذهبا ومنها ما يجاوز هذا
المقدار ويزيد قيمته على الف دينار ولا يستكثر من يعرفها فيها
بذل مال ولا يستغلي اشتطاط السوم واذا قصد في بلاد الروم
بيع الكديش غال منها بالثمن الغالي قال هذا كصطموني لتشرفه
بهذا الوسم وينفق في البيع بجاه هذه النسبة ٥

ومملكة ارمناك وهي بلاد ابن قرمان وصاحبها الان
الامير محمد بن قرمان من اهل بيت توارثوا هذه البلاد ولا اخا طب
قام مشهور الا بالاماره وفي ساحل بلاد مدينة العلايا المعروفة على
السنة الناس بالعلايا واميرها من قبله اسمه يوسف وله مدينة قرشار
وهي عنه على ثلثة ايام واميرها من قبله واسمه اسحق بك واولاد قرمان

عصبة ذات بأس وبك وجيوش كثيرة العدد وهم اصحاب الحروب التي ضعضعت
الجبال وانبتت الحروب الحبال ولهم مع الارمن وبلاد التكفور وقايع لا تجاورها
الا التكفور تتخطفهم عقبان القشاعم وتلتهمهم اسود الضراغم
وببلادهم معدن حديد لهم به باس شديد ومنه درق وحديد وهم اهل ساطي
الله عليهم محبة منه واذا شا اميرهم جمع اربعين الفا وهو مع ما هو عليه يدارى
ملوك التتار وهواه هوى من سلف من اهل بيته مع ملوك مصر لا تغب
المكاتبات بينهم ولا تنقطع بذلك احدثه لهم وابا لهم عليه واعدادهم
بمواراته ٥ وقد كان منهم قد طلب تقليدا بمصر بانتيابه ما بيده
من بلاد الروم فكتب له ٥ ثم ان سلامش الحاكم بالروم كان يخوف عن
سلاطين بيت هولاكو وكتب الى الابواب السلطانية بمصر يسال تقليدا
بملك حكم الروم اجمعه وان تكون بلاد قرمان ومن سواهم في طوعه فكتب
من انشا شيخنا ابي الثنا محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الكاتب رحمه الله
وسلم وبعد فان اولى من اصغت عزايمنا الشريفة الى ندائه
اخلاصه واجابت مكارمنا العميمة دعاء تميزه بالولاء واختصاصه
وقابلت مراسمنا استنصاره في النفير بالنفير لاعانته على ما ظفر
باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه وتكفلت لرهابتنا بالامن على
ملك مصر وسمت همتنا الشريفة بيس العدو من استخلاصه وانت
كتبه في الاستنجاد لرعان الكتايب ولمعان القواضب وتابع امداد
جيوشنا التي تموج بحملها لواهل المشارق والمغارب وتدعو امواج

عساكرنا الذي نبشر طلايعها ملوك العدى ابن المفر ولا مفر لهارب
وسالف بروق النصر من خفق الوية الشاهدة بان قبيلنا اذا ما
التقى الجمعان اول غالب وفوضت اليه مراسمنا الحكم بالعدل والاحسان
وقلدته اوامرنا من عقود النظر في تلك الممالك ما تود جباه الملوك
لو حلت بدرره معاقد التيجان وعقدت به من الاوامر ما سعد بمواقعه
ولكن الامور المعتبرة ما تنفذ الا بسلطان من القى الله الايمان
في قلبه وهداه الى دين الاسلام فاصبح على بينة من ربه واراد به
خيرا فنقله من حزب الشيطان الى حزبه وايقظه من طاعتنا
التي اوجبها على الامم لما انصر به رشده وراى فضله وعلم به ان الذي
كان فيه كسراب بقيعة لم يجده شيا وان الذي انتقل اليه وجد الله
عنده وانهضه من موالاتنا بما حتم به النهوض على من كان مسلما
واخرجه بنور الهدى من عداد اعدايه الذين تركهم خوفنا كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما واراه الرشد ما علم به
ان الله تعالى اورثنا ملك الاسلام فبطاعتنا يتم الانتما اليه واعطانا
مفاتيح البسيطة فمن اغتصب منها شيا انتزعه الله بجنوده المسومة
من يديه فلجا من ابوابنا العاليه الى الظل الذي يلجا اليه كل ذي منبر
وسرير ورجا من كرمنا الاعتصام بجيوشنا التي ما رمينا بها عدوا
الا ظن ان الرمال تسيل والجبال تسير وتحيز منا الى فية الاسلام
وانتصر بسيوفنا التي هي تعلم كيف تسلها على الاحلام ومنن السابقة

الاسلام وهي ابر الذمم وطلب تقليده الحكم منا من معاذيرا اذا رته النظرات
الصادقة ان كان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم وعقد بنا رجاه وهل
لمسلم عن ملك الاسلام من معدل وانزل بنا كايب اماله وهل بعد رامة
لرام من منزل فلقت نعمتنا كرايم قصده بالترحيب واحلت وفاده انتمايه
حرمنا الذي شاوه بعيد ونصره قريب وسارعت الى نصرته جنودنا
التي هي مشهورة في غدوها واثارها مشكورة في رواحها وغدوها
واعلامها منصورة في انتصابها انتزاحها ودنوها وتوالت بنا يبلغ
بعضها بعضا تتابع الغمام المتراكم والموج المتلاطم تقدم عليه بالنصر
القريب من الامد البعيد وتعلم بوادرها ان طلايعها عنده وباقيها
بالصعيد ولما كان فلان هو الذي اراد الله به من الخير ما اراد
ووطد له بعنايته اركان الرشاد وشاد وجعل له بعد الجهل به علما
وتداركه برحمته فما امسى للاسلام عدوا حتى اصبح هو ومن معه سلما فل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وبكرمه العميم فليستفتحوا صدورهم
ويستبشروا وبارشاده الجلي يهدي به فليدعوا قومهم الى ذلك
وينصحوا وحين وضحت له هذه الطرق ارشدته من خدمتنا الشريفه
الى الطاعة ودلته على موالاة ملك الاسلام التي من لم يتمسك بها فقد
فارق الجماعة فان الله تعالى قرن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم بطاعة ولي الامر وحث على ملازمة الجماعة في وقت يكون التمسك
فيه بدينه كالقابض على الجمر وهذا فعل من اراد الله به خيرا

وسعى من يحسن فى دين الله سيرة وسيرا ولذلك اقتضت آراونا الشريفة
امضا عزمه على الجهاد بالانجاد وانفاذ سهمه فى اهل العناد بالاسعاف
والاسعاد وارسلنا الجيوش كما تقدم شرحه يطاردن الصحاصح ويسعرون
المدى المنازح ويا خذون كل كمى فلو استطاع السماك لم يتسم بالرامح
ويحتسبون النفقة فى طلب علو الاسلام علما انهم لا ينفقون نفقة صغيرة ولا
كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم به عمل صالح فرسم بالامر الشريف
لا زال يهب الدول ويقلد اجياد العظما ما تود لو تحلت ببعض فرايده
تيجان الملوك الاول ان يفوض اليه نيابة المملكة الرومية تفويضا ينصوص
تلاعها ويصول به على من حاول انتزاعها من يده واقتلاعها
ويجريها على ما ألفت ممالكنا من امن لا يروع سربه ولا يتكدر شربه
ولا يوجد فيه باغ يخاف السبيل بسببه ولا من يجرد سيف بغى وان جرده
قتل به وليحفظ من الاطراف ما استودعه وهذا التقليد حفظه
وليعمل فى قتال مجاوريه من العدى بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وليعلم ان جيوشنا فى المسير
الذى قصد عدوا سابقت خيولها اخيالها وجادت بجيادها طلالها
وانفت سنابكها ان تجعل غير جماجم الاعدا نعالها وها هى قد تقدمت
واقدمت وتمضت الجادة فلو سامها ان تخوض البحار فى سبيل الله لخاضت
او يصادم الجبال لصدمت والشرع الشريف مهمه المقدم وامره السابق
على كل ما تقدم فليعمل مناره ويستشف فى اموره انواره وليعتمد احكامه

وليعضد حكامه ومن عدل عن حكمه معاندا او ترك شيئا من حكمه جاحدا
فقد برئت الذمة من دمه حتى يفيء الى امر الله ويرجع عن عناده ويتوب الى
الله فان الله يهدى اليه من اناب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ٥
وكان من حديث هذا سلامش المذكور ان السلطان محمود
غازان قصد اعدامه فاراد الانحياز الى الشام وكاتب الملك المنصور
لاجين وارسل شخصا من جهته يعرف بالمخلص الرومى فاقبل السلطان
وارباب الدولة عليه وقيل انا لا ننكر من هاجر الينا واتصل بالسلطان محمود
غازان مراسلة المصريين فبعث اليه عسكرا للمحاربة فالتقوا معه ببلاد
الروم فلما التحم القتال حنا مر عليه بعض من كان معه فبقى فى قل من
اصحابه وحقت عليه الهزيمة فالتحق بالشام فى قل من جيشه فلما اتى
حلب جهز معه من يحضره الى الابواب السلطانية بمصر فلما وصل
قوبل بالاكرام وعوجل بالانعام وجبر فى المقام بمصر ان شاو الشام
فذكر انه ترك وراه ماله واهله واولاده وسال تجريد عسكر لاحضارهم
ليقيم بالبلاد الشامية مقطوع الالتفات عما سواها فجهز معه من العسكر
الحلبى طايفة مع بلبان الحلبى فدخل بهم بلاد الروم على بلاد الارمن
وبلغ متملك سيس الخبر وكان عنده طايفة من التتار فامسكوا عليهم
الدروب وعاجلوهم باللقا فما كان باسرع من ان قتل الحلبى وفر سلامش
ولجا الى قلعة من قلاع الروم فارسل السلطان محمود غازان فى طلبه
فاحضر اليه فقتله شر قتله وذبحه على غير قبله ٥ وكان

سلامش فقد حلف بالابواب السلطانية بمصر اخا له اسمه قطقطو والمخلص
الرومي فاستقراها واقطعا اقطاعا واجرى عليهما راتبا . فيها
وانما ذكرنا حديث سلامش في هذا المكان لتعلقه بالروم وان امرا
بني قرمان هم كانوا المولعين بينه وبين المنصور لاجين والداخلين معه
اولا واخرا فيه وهولا اولاد قرمان هم الذين لا يرتاب في رايهم ولا
يبطن في دينهم تهمة وما ورد من جهتهم يلقى بالقبول ويحمل على احسن المحامل
وكذلك طلب ارتنا تقليدا ناصريا بنيابة الروم وتردد
في هذا سراج الدين قاضي قيسارية فكتب له فخلص الموالاة واقام
دعوة الخطبة الناصرية على منابر البلاد الرومية وضرب السكة بالاسم الشريف
وجهز من الدراهم المضروبة وذلك كله اظهر طاعة لا اذعان لحكم ٥
ولقد حدثني من تردد اليهم وعرف ما هم عليه انهم رجال صدق وقوم
صبر لا يستخف لهم حفيظة ولا يرد حنقها لهم صدور مغيظ
ولهذا امرا الروم لا يطاولون لهم موطيا بغيظ ولا يواطيون لهم على شهور
في مشتى ولا مقيظ وما احد ممن يحسدهم على ما اتاهم الله من فضله الا
من يستجيش عليهم بالتتار ويعدد عليهم عظايم الذنوب الكبار
ووقاية الله تكنفهم وحياطته عن عيون القوم تخفيهم ٥
ولقد كان السلطان محمود غازان يقول انا اطلب الباغي شرقا وغربا
والباغي في بيتي عني اولاد قرمان ومع هذا لم يتسلط عليهم ٥
وحكى لي الصدر شمس الدين عبد اللطيف اخو النجيب انه قال يوما

لولا الاكراد واولاد قرمان وتركمان الروم دست تخيلي مغرب الشمس قال
وكان ابريد يعد الشام لا الاهم ومع هذا ما قدر عليهم ولو خلا وجهه لما انصرف
الا اليهم ٥ ولما استقل امر جوبان بك بمملكة ايران وكان هو حقيقة
السلطان واستولى ابنه تمرتاش على الروم وانتزع به عدة ممالك وجد
في طلب الباقي رات اولاد قرمان مصافاة ابيه جوبان واستدفعت به
شر ابنه طول ذلك الزمان مع ما كان لهم من العناية الالهية
والاعانة من سلطاننا عز نصره ولولا هذا لاتى عليهم وسلبوا النفس
والنفايس لما كان عند جارهم الجابر من الاستعداد ولولاه لاتى التكفور
متملك الارمن لرفع الشكوى عليهم في كل وقت ويتضور مما ينوب اهل
بلاده منهم ويتضرر مما ينوبه من تغلب وطابهم وكانوا في تلك السنين
خائفين يترقبون المصابحة والمماساة ويتوقعون طروق البيات والمهل
قلت ولاهل هذا البيت روعة في قلوب التكفور والارمن
وفي كل وقت يبعث التكفور يسال ترويه المراسم المطاعة الى امرايهم بالكف
عن بلاده ولولا بعد سيف جهاده لا يرعى للارمن حق جوار
ولا يدخل في سمعه لصخبهم خوار يشن عليهم في كل وقت غارات
ويحوس خلال ديارهم حوسة وسراياه وكرسيه مدينة ارمناك على
ذروة جبل ارزاقه متسعة وخيراته كثيرة بينها وبين العلايا ثلثة ايام
ولقد يحكى عن اميرها القايم الان بدر الدين انه افتض الف بكر
ويوصف من كرمه انه يطلق كلما يملكه من صامت وناطق حتى لا يدع

له شيئا البتة ثم يقول فاذا رأى الملوك كلما يملكه حتى لا يدع له شيئا هكذا
دابه ويهذا يعوض على الله حسابه ٥ قلت ولقد وصل من سنين
اخوه الامير بهاء الدين موسى بن قرمان الى الحضرة السلطانية واقام مدة
بالباب الشريف ثم توجه لاداء فريضة الحج وعاد الى الحضرة وحرك العزائم
الشريفة على قصد الارمن وارتجاع ما يلي الممالك الاسلامية من نهر جهان
ثم عاد الى بلاده وعومل بالجميل في اصداره وايراده واجلس مع اكابر
الامراء المشورة واجرى في تكبير القدر مجراهم وطلب منشورا
سلطانيا ببلاد من مملكة التكفور تولى سبقه انتزاعها واستعاده صاحبها
من ايديهم وارتجاعها فكتب له على ما طلب وما اخذها الى الان ولكنه في الطلب
هذه جملة بمعنى ما ذكره العريان وما الساق في لسانها
من امور هذه البلاد ٥ واما ما ذكره بلبان الجنوي عتيق الصدر
الكبير بهادر المعزي وهو ممن له الخبرة التامة بحكمه وهو الذي
افاد كيفية تصوير هذه البلاد واسم هذا بلبان في بلاده دومانوكين
دوريا بن داد دوريا وهو ممن يستحكم في جنوة اتفق انه جمعت بيني وبينه
المقادير في الاعتقال وعنه اخذت ما قال حدثني
ان هؤلاء امراء الاتراك الذين بالروم الان ابناء امرائها الاول وممن باخر
عن سالف تلك الدول وهم فيها الى يومنا هذا من بقايا تلك البقية
وممن نفضت عنهم برود الايام السلجوقية استقروا بايديهم الجبل
وبايدي بيت هولاكو السهل وجميع هؤلاء الامراء الاتراك تقرر

لصاحب كرمان وتذعن له بعض الاذعان وتجري في كثير من احوالها مجرى
السلطان وتعترف له بالتقديم وله على بعضهم مقرر لا ينقص وعلى
بعضهم هدايا بحسب الاوقات وهو في طنا هو الحال فيهم الملك المطاع
والنقيب له اتباع او كالاتباع تكاتبهم في معضلات الامور ويتيمن برايه
ويقوى بعضهم على بعض معاضدته ولبس خلعه وانعاماته وتقاليده
وتكريماته وهو وان لم يعتد على امضاء الولاية والعزل فيهم فان له عندهم
مكانة لا يجهل مقدارها وغاية لا ينازع فيها ومع هذا فهي لهم معهم شبه
ما وآخر الخلفاء مع ملوك البلاد يلزم معه قاعدة الادب في مخاطبته بالتعظيم
والهوى مع من غلب او لحال آل سامان في آخر الزمان وهو اوسع الكل
بلادا واكثر عساكر واجنادا ٥ واما ما هو لبيت جنكز خان فانه لم
يزل بايدي نوابهم مع بقايا السلاجقة من غير زيادة عليه ولا نقص منه
وبينهم وبين هؤلاء الاتراك مداهنة لا مهادنة حتى حكم تمرتاش بن جوبان
فاستضاف من ممالك الاتراك اليه ما بلغت قدرة سيوفه وهو جانب
كبير وممالك لها قدر جليل فمن ذلك

مملكة ابن شرف

وموقعها في شمال الروم غربي مملكة اولاد دندار وجنوبي بلاد ابن قرمان
وشرقي بلاد بيت جنكز خان بشمال وكانت مستقلة بذاتها وكرسيها
بكبشهري وعساكرها تناهز سبعين الف فارس هم الى الآن ويجمع هذه
المملكة خمسة وستين مدينة ومائة خمسة وخمسين امسك تمرتاش صاحبها
وقتله وشل به وقطع انثييه وعلقهما في عنقه ٥ وكذلك

مملكة ابن طرغت وهي غزني ابن اشرف وكرسيها قراصار والمدينه
سكنجر وعسكرها خمسة الاف فارس ٥ وكذلك بلاد شجاع الدين اغزلو
ومدينها لولبا وكمش سار وعسكره يزيد على عشرين الف فارس وموقع بلاد
هذه غزني ابن طرغت وبلاد غزلو اهذا لم ينتزعها منه بل ابقاها بيده
كانه من قبله وهذه كمش سهر هي ذات معدن يخرج منه الفضه هذا ما
ذكره هذا بلبان ٥ واما ما ذكره العرباني فانه قال يخرج من
لولبا وقد تقدم ذكره ٥ وكذلك اخذ بلاد طوغان جق وهي غربي
طرابزون وجنوبي بلاد سليمان باشا وهي مملكة جليلة ذات اعمال وعساكر
وكذلك اخذ بلاد سلطان نولي وما لها مدينه مماثله وانما هي قرى ممتده
ومروج فيح مستطيله وموقعها من بلاد سليمان باشا وبين كرمسان
في مشارق كرمان ومغارب سليمان باشا ٥ وكذلك اخذ بلاد
لعقوب وهي قرا اساري وجار على كل مجاور وكان تارة يصالب
بالسيف وتارة يداور بالخديعه حتى دوخ الممالك وفتح المعاقل وامتدت
اعماله واتسعت شعوبه وكثرت جباياته وعظمت خراجه وقويت شوكته
في ذلك الاقليم وطلب في وقت الاستقلال بالملك وخطب لنفسه وضرب
السكه باسمه وحوى ملك آل سلجوق اواخر وقام بهذا العبء واستقل
وقرر بتسع ثمانات من المغل ومن التركمان مثلهم او اكثر وصار لا يبقا وم
ولا يقاول ولا يحارب ولا يحاول وما هذا موضع ذكره وانما ذكرناه لذكر
ما بايدي بيت جنكزخان من الروم وقد ذكرناه في موضعه ٥

واما نقود هذه البلاد ومعاملاتها فتختلف في بلادها باختلاف حكامها
واعتيادها والذي نذكره الان ما هو بيد الاتراك الان خاصه وهو
ست عشره مملكه على ما ذكره بلبان الجنوي واجلها مملكة كرميان
وهي اقربها الى ما بيد بيت جنكزخان وموقع كرميان منها شمالا
بميل شرقا لغرب وما بايدي بيت جنكزخان جنوبيها وقد دارت عليها
ممالك الاتراك من شرقها وطافت نطاقا ورا نطاق فالنطاق الاول
وهو الاقرب اليها المماس لحدودها من شرقيها ثلث ممالك اخذت
من الجنوب الى الشمال كانها قوس يفصل بينها وبين بلاد كرميان جبل
ممتد على هذه الهيه **واول** هذه الممالك الثلاثه مما يلي الجنوب
جبل العسليس وهو جبل عظيم منيع مشجر بانواع الفواكه وكل اشجاره
مثمره وقنة هذا الجبل وسفوحه مسكونه ويمشي في طوله عده ايام بغير
زاد وانما فيه من كل الثمرات رزقا من عند الله لا يغرس غارس ولا
باحتجان مالك بل هو مباح لمن اكل وحمل من سبق اليه احتوى ومن وضع
يده على شي من شجره اقتنى هو من عجايب الوجود وغرايب ما من به الاله
المعبود **وفي** اخريات هذا الجبل مملكة طغزلو في شماليه **ثم**
يليها في شماليها مملكة تواز **ثم** يليها في شماليها مملكة عمبدلي
ثم يلتقي مملكة الاتراك هناك الى ما كان بيد ابن اشرف واحاطت
جنكزخان **ثم** يلي هذه الممالك على شرقيها النطاق الثاني
وهو اثنا عشر مملكة اخذه عليها من الجنوب الى الشمال كانها قوس يفصل

بينها وبين ملك جبل ممتد على هيئة الهيئة فهذه خارج تلك الممالك الثلثة
وتلك الممالك الثلثة خارج كرمستان وكرمستان خارج بيت جنكز خان
وهذه الممالك الاثنا عشر التي اشرنا اليها اولها مما مال الى
الجنوب مملكة كصطمونية ثم يليها مملكة قاوما ثم يليها
مملكة برشا ثم يليها مملكة اكيرا ثم يليها مملكة سفت ثم يليها
مملكة مغنيسا ثم يليها مملكة مرمرا ثم يليها مملكة برلي ثم يليها
مملكة نوله ثم يليها مملكة انطاليا ثم يليها مملكة قراصار ثم يليها
مملكة ارمناك وها نحن نذكرها مفصلة ٥

فالفصل الاول

في مملكة كرمستان

وهي مثل قرن الجاموس احاط بها جبل في مشارقها كالقوس اخذ عليها
جنوبا بشمال واحاط بها في مغاربها جبل اخذ غربا بشمال ثم عطف
مشرقا ثم اخذ شمالا لغرب حتى لاقى الجبل الاول فاجتمعا فكان
كانه قرن الجاموس فسبحان الخلاق العظيم ٥ وهذه المملكة قد تقدم
من ذكرها ما فيه مقنع ويتنزل من جبلها الغربي نهر صندروس الاعظم
وهو اذا انقص كان كالنيل فاما اذا زاد فبحر زاخر لا له اول ولا اخر وهو يشق
هذه البلاد ويجري في وسطها بحبر جليل ما فعه يصطاد بها الحيتان
وتتنزه فيها اهل تلك الديار ثم يمضي صندروس على مقطع في الجبل
الشرقي حتى يخرج الى بلاد طغرلوا ثم يمر عليها ثم يخرج الى بلاد بركي

ثم يصب في البحر المالح الماد من الخليج القسطنطيني الى ما بنطس وهذا
نهر صندروس مجرى السفن والمراكب تصعد وتنحدر فيه وتخرج منه الى المالح
ومن المالح اليه ولاهل تلك البلاد به مرافق في الاسفار ومنه تجهز الغزاة ٥
والتجار وهو قاطع البرد لا يكاد يتغير ولا يؤثر الهوا اذا سخن فيه لكثرة
مائه واتساع جوانبه وصاحب كرمستان هو اكبر ملوك الاتراك وله التسلط
على الجميع وتبسط في ملكه الوسيع وكرسي ملكه مدينة كوتاي وهي مدينة
كبيرة ذات قلعة جليلة واعمال وسيعة ورساتيق من كل مكان وبلاد
ذوات دواب سائمة وعمارة وسكان ويقال ان له نحو سبع مائة مدينة
وقلعة وله عساكر كثيرة قال العرباني له اربعون الف فارس مدونه
وقال بلبان اضعافها واكثر فقال انه اذا جمع حشده جمع مائتي الف
مقاتل ما بين فارس وراجل ورامح ونابل قال وهم اهل حرب ونزال ومصالته
واحتيال ولهم عدد حصينة وسلاح للحرب والزينة من القزاغند المجوهر
والاطلس الاحمر والمذهب هذا المذهب ولهم مال جم من صامت وناطق
ونعم لا يحصيها الا الخالق وخيلهم نهاية في الرومانيات لا يسبقها سابق
ولا يتعلق بغبارها العثير ولا يلحقها لاحق مسومة عندهم بما غلا
من الاثمان معروف نسبها هذا امه فلانة وهذا ابوه فلان وله
على صاحب القسطنطينية اتاوة مقررة نحو مائة الف دينار قسطنطينية
في كل سنة وتحف معها تحف فاخرة وهدايا مستحسنة وهو في كل وقت
يعرض جيوشه بالخيل والعدد والسلاح ويستعد ويعد لما كان الحرب والكفاح

ولسه امرا ووزرا وقضاه وكتاب وحاشيه وغلمان وخزاين واصطبلات
ومطابخ وبيوت ورخت ملوكي وهيبه سلطاني وابهه ملكيه ٥ ولسه مدينه
كمس سارا اي مدينه الفضه وهذه غير مابايدي بيت جنكزخان وهو معدن
كثير المحصل جليل الفايد جزيل العايد اعظم من الذي بايدي بيت
جنكزخان واجود فضه واسهل مكانا واهون تخليصا واستخراجا
وكذلك بها معدن شب يباع منه بجمل اموال ولسه مدينه سرلوى
وهي مدينه لا تزرع الا الارز واهل هذه المملكه كرام وللنهم لا يعرفون
في حلال ولا حرام اهون بها عليهم سفك الدما واراقتها سهل كمزاود الما
لا يبالون بما فعلوا ولا يعابون بمن قتلوا لهم في كل اوان موارد دما
مسوغه ومعاهد اعدا بانياب الاسنه ممضغه لا تروى في الحروب سيوفهم
العطاش ولا يروى لو بل نبلهم رشاش والتتار طغا الروم تتكاثر من سيوفهم
على خداش صخر الحديد ولم يضجروا ومضت اعمار الايام وما فالوا ولا
هجروا مالهم سوى ما هم فيه التذاذ ولا تعتبر ان تخرج جيوشهم وهي سواهم
معاذ واهل هذه الدوله تصرف في انواع المعايش والاسباب واصناف
الاكتساب قال واما لبسهم ولبس جميع الروم فهو زي واحد لا يكاد
يختلف ودراهم هذه المملكه نصف وربع درهم فضه خالصه والرطل بها زنته تحريرا
بالثلثة الاف ومايه وعشرون درهما وكلها تسمى المد وهو كوادب وربع مصري
تقريبا هذا ما قاله فيه بلبان ونحن نعلم ما قاله العريان ٥
قال واما السعر المتوسط فمد القمح خمسة عشر درهما وكذلك الشعير و

دونه بقليل واللحم كل رطل بدرهم واحد واما الفواكه والالبان والاعسال
فرخيصه جدا واوقات الرعايا والفلاحين والزراع طيبه كانهم فيها
في نكر معضض واصال مذهبه ٥ ومن جملة بلاده بلاد ابن السايب
وهذا ابن السايب صاحبها هو صهر صاحب كرمسان ولولا مصاهرته له
ما كانت بقيت له الى الان لان بلاده هذه هي خارجه عن كرمسان مجاوره لها
من غربيها وهي من بلاد بيت جنكزخان في شرقيها ولما امتد تمرتاش الى من
جاوره من الاتراك واخذ بلادهم ارتمى هذا الى صاحب كرمسان وانتمى
اليه وصاهره وقوي على تمرتاش بيله المغاهره واعتصم به ونامت عينه
الساهره واستمر على مصافاته الطاهره وامتنع على من جاهده وجاهره
وكرسيه قراساى وهي مدينه مشهوره تحيط بها وببلادها جبال استدار
عليها استداره الحلقه واحاط بها احاطه العين بالحدقه وحكمها اليوم حكم
بلاد كرميان وابن السايب وان كان صاحبها فهو الان كان من قبله فيها
وليس له مدينه سوى قراسارى ولها الف قريه وعسكره يقارب الالف الاف فارس
وبلاده حصينه بما احاط بها من الجبال وشمخ من ذوايبها التي سما بها فرع
الى النجم لا ينال ٥

الفصل الثاني

في مملكة طغرلو

وهي اول البلطاق الاول وهذه المملكه صاحبها اسمه بلنج وسقفها نهر مندروس
وهي الى جانب جبل القسيس في غربه بشمال وموقعها جنوبي ما بين مرمر

الى بركي ومدينه طغزلو كرسيه وكانها دمشق في تصوير خطه وبساتين
حولها محتاطه لكنها الذ من دمشق ثمارًا وفاكهه واوسع غوطه لكن ليس
لصاحبها مدينه سواها ولا عمل الا اياها الا ان لها عده قرى وضياع
ليست بكثيره ولا كثيره الازدراع واكثر ما فيها من الفاكهه الرمان وهو على
عده الوان ويباع الف بدرهم وكله بلا عجم له مكسر كانه شرار نار او
شهرمان ادرج في ثوب نضار او مدامع عشاق في نهود ابكار وهو في غايه
الكبر والرخص ولذاذه الماكل ويعتصر ماوه ويعمل منه دبس اذا ترك هو
والعسل ابهم الفرق ما بينهما واشكل ويعمل منه شراب اشد اسكارًا من الخمر
واقرب اليه مشابهه مما يعمل من التمر وهم اكثر معاطاة له من الخمر على
كثرته عندهم وما ذاك الا لامر سالت ملابن عز السبب في هذا
مع اجماع العقلا على تفضيل الخمر على كل مسكر فقال لعله لا نعلم السبب
والا يوجب الحب لها الا مضاحكه الحبب قال واهل هذه البلاد كانما
خلقوا الارتضاع كوس والعاطه نقب عن شموس فما لهم تخيروا اعنبا ق
كاس من معين واعتنا قوما ليس من قدود الخرد العين فهم ابدا في بلهنيه
من الوطر وامنيه مع الظفر ولا مبن هم عليهم عدل لا يشكون معه الا
جور الساقي ولا يخافون معه الا عقرب صدغ العجوز الواقي او دم
عاشق يطل وعلى خدود الغانيات الباقي قال والكثر ما
تكون القرى والضياع بطغزلو اربع مايه قريه كلها في حواضرها الغربيه
ولصاحبها نحو عشرة الاف فارس وراجل ودرهمهم نصف درهم نقره خالصه

ورطلهم نحو ستة ارطال بالمصري ومدهم نحو نصف وربع اردب واسعارها
مشابهه لكرمان ومقاربه لها في اختلاف كل اوان ٥

الفصل الثالث

في مملكه توازا

وهي ثانيه النطاق الاول وهذه المملكه صاحبها على ازبيه وهي تقع شرقي كرمان
محضا وموقعها ما بين حبولى بركي الى قوله واسمه توازا ولصاحبها
اربع قلاع ونحو ستمايه قريه وعساكره نحو اربعه الاف فارس وعشره الاف راجل
ودرهمهم ورطلهم ومدهم مثل كرمان وهو ايضا التزامي الى صاحب كرمان
واهل هذه البلاد حسن بديع بياض وحمره انه ضرب باللبن وحمره مع
لين بشره وصهوبه شعره كان الله عليهم ثوب صباح مسبول او على صفائحهم
براده ذهب مسبول مع حلاوه تاكل النظر وياكلها وتحمد توقد جمرات
الحسن وتشعلها ٥

الفصل الرابع

في مملكه عسبدلي

وهي ثالثه النطاق الاول وهذه المملكه صاحبها دنداز اخو يونس صاحب انطاليا
وكرسيه مدينه برلو وهي ام اقليم عسبدلي وموقعها من قوله الى قراصار
ولصاحبها ايضا اقليم بلواج واقليم قراغاج واقليم اكري دور وهذه بلاد
مدنها قليله وقراها كثيره ومداها ممتد يقال ان له سبعه مدن وخمسه عشر
قلعه وعسكره خمسه عشر الف فارس ومثلهم رجاله وهو في كل وقت يتفقد

فرسانه ورجاله ويتاهب للحرب ويوسع مجاله ويقاتل العدو ويهيب للسبوق
احاله وهذه هي اخر الممالك الثلاثة التي تلي كرميان وهي يشابه
ما احتذا الى الشمال وبها تم النطاق الاول ٥ ونحن نعقبها بذكر الممالك
التي تليها وهي النطاق الثاني على ما في شرقيها وعدتها اثنا عشر
مملكة ٥ واولها هو ما نذكره الان .

الفصل الخامس

في مملكة قسطمونيه

وهذه هي مملكة سليمن باشا وهي الان لولده ابرهيم شاه وكان في حيوة ابيه
صاحب سنوب ثم جرت له مع ابيه امور احتاج بها الى ذكرها الى ان ملك
واستمرت سنوب له مع ملك ابيه وولى سنوب من قبله وهذه هي شمالي
بلاد طوغانجق وما جاورها وجنوبي بلاد سلطان يوي المصاقبين
لممالك بيت حكرحان وهي اول الممالك الاثني عشر المشار اليها من
المشرق وهذه المملكة على صفة بحر نيطش وقبالتها جزيرة زك
ومن ركب البحر من سنوب خرج الى سوداق لانها اقرب مدن ذلك البر
اليها ويقع طرف بلاد طرابزون الشرقي على اول حد هذه البلاد ولاجل
هذا اقصد هذه الارض لجواز البحر الى بر القفجاق وبلاد الخزر والروس
والبلغار وكرسي هذه المملكة مدينة قسطمونيه ولصاحبها نحو [illegible]
مدينة وقلاع مثلها او ازيد وعسكره نحو خمسة وعشرين الف فارس وخيلهم
هي النهاية في جنسها والغاية في نفسها وقد تقدم القول في ذلك ٥

دونها البغال والبزاة والشواهين في غاية من الجودة وهي منفردة بمحاسن هذه
الانواع ومنها تشترى وتباع وحسنها لا مخالفة فيه ولا نزاع
واما الجمال فلا توجد عندهم البتة قد عدم العربي منها جملة والبختي نحته
انها بلاد جبال وعرة يود كل متعلق بها لو تعلق بشعره وملوك هذه
المملكة لهم مع ملوكنا ملوك مصر انتظام ولشرف مواهبهم الجمة واياديهم العظام
وتتابعت رسلهم الى سلطاننا مدد النجاح ونظرت لدار الى سماها العليا من
وراء زجاج واستنصرت بها على الاعدا وهي قاطعة البحر الاجاج
وعادت عليهم الاجوبة الشريفة بقطع الحجاج او الحجاج وهم حتى الان في
في الدولة القاهرة الناصرة وفي حزبها وفي حسب ذنبها واما رعايا هذه البلاد
فهم اهل طاعة لامرائهم واقبال على مصالح دولتهم ودرهمهم نصف درهم
فضة خالصة ورطلهم نحو ستة عشر رطلا بالمصري ومدهم نحو اردب
مصري واسعارهم نحو كرميان ٥

الفصل السادس

في مملكة فاويا

وهي الثانية من النطاق الثاني وصاحبها مراد الدين حمزة ومملكته تجاور سمسون
من غربها وبلاد سليمان باشا المقدم ذكره جنوبيها وجبل العسيس غربيها
وبلاد طريق السفار الى سمسون وسمسون هي ثغر في هذه البلاد خارج
الجبل المار على مشارق بلاد الاتراك بالروم على صفة بحر نيطش ٥
ومن ركب البحر منها الى بر القفجاق كان خروجه على الكفا او قريب عليه وبقي

ذلك جنوبيه وعلى بلاد هذا مراد الدين حمزة اكثر طرق المترددين من التجار
والسفار المتوجهين من مصر والشام الى تلك البلاد وكرسي هذه المملكة
مدينة قاوبا ولصاحبها عشر مدن ومثلها قلاع وعسكره نحو سبعة الاف
فارس فاما الرجالة فكثير عددهم متى اراد استجاش بهم وجميع امما وشرع
اسنة وهمما وليست للاعدا امعطالعة ولا لهم في رد الملك مناذعه
لا تفرزن البيادق مع رخاخ ولا تتجاسر العصافير ان تسقط على الفخاخ
واهل هذه البلاد قوم امنة لا يستحيل يومهم يوم ولا سنة ودرهمهم
ورطلهم ومدهم واسعارهم مثل قسطمونية بل هي لكثرة الاجلاب لا تكاد تلوم على عليه

الفصل السابع

في مملكة برسا

وهي الثالثة من النطاق الثاني وصاحبها ارخان بن عطمان وكرسيه
مدينة برسا وموقعها شرقي بلاد مراد الدين حمزة وغربي بعض سمسون
وبعض سنوب وجبل السسبيس غربيها ولصاحبها خمس مدن وعدد
قلاعه اكثر من ذلك وعساكره نحو بعض الف فارس واما الرجالة فلا تكاد
تعد حصوصا اذا استجاش وحشد وجاش للركاب انه قليل غناهم
تهول صورتهم لا معناهم وهو كثير المسالمة لمن جاوره والمناصرة لما صره
ومع هذا له حروب وسجال ودوب في ارغام انوف رجال وخيول تنقض
عليها الارواح نزسان عجال وانما قلل عنا عسكره لعدم استقامة
الرعية ومشاقة بعض المجاورين له نقاب ان رعاياه اخاف تنطوي

بواطنهم
عما يخفيهم على الغل وعما يبهم على المكر ثلاث وهذه البلاد درهمها وزن
الدرهم الكاملي وموفضة خالصة ورطلها ومدها مثل قسطمونية
وسعرها ارخص في غالب الاوان وفي هذه البلاد حمام حمة يطلع منها
الما السخين الناضج ويقصدها المرضى بالبلغم البارد والفالج ليغتسل فيها
ويستشفي بها وغالبهم يبرا باذن الله عز وجل ويجد الشفا والصحة عليها
فلستــــ وهذه الحمامات كثيرة في البلاد واقطار الارض ولكني لا اعرف
اجتماع هذا العدد الكثير في مكان واحد سوى هذا واطن ان
تكون هذه الارض كلها كبريتية سواحة فلهذا اكثرت فيها هذه الحمامات
هذا ما اتصل بنا علمه وفوق كل ذي علم عليم والله اعلم بغيبه

الفصل الثامن

في مملكة اكبرا

وهي رابعة النطاق الثاني وصاحبها دمرخان بن قراسي وبلاده تجاور بلاد
ارخان اخذة الى الشمال وجبل العسيس جنوبها على الغرب وسنوب
شمالها وهي طريق من طرق سنوب وهذه المملكة مدنها وقلاعها وعساكرها
اكثر من بلاد ارخان واهلها المولعاع في المكنة والمكان والامكان
وصاحبها ذو حرب وبيل وباس وقوة لا تدفع بليل وله في البحر مع الروم حروب
تطير بها السفاين وتهتز لها المداين كما طاروا من الغراب على جناح
وسخر لهم في سبيل الله ما سخر لسليمان من الرياح وهذه البلاد يخرج منها ما لا
يحصى من الحرير واللاذن ويحمل الى بلاد النصارى منه وحريرها يوافق الديباج

الرومی والقماش القسطنطینی ومنه یعمل غالیه ودرهمها مثل الذی قبلها
ورطلها ثمانیه ارطال بالمصری ومدها نحو اردب ونصف واسعارها رخیصه
جدا علی حال واحد لا تکاد تتجاوزه ولا تتعدی

الفصل التاسع

فی مملکه سرمرا

وهی خامسه النطاق الثانی وصاحبها عیسی بن قراشی اخو مرخان المتقدم
ذکره وبلاده جوار بلاد اخیه عمر بالشمال وطرف بلاده جنوبا علی شمالی
طغرلو ولصاحبها نحو خمسه عشر مدینه ومثلها قلاع وکلها علی جبال
شاهقه علی البحر الملح وعسکره نحو عشرین الف فارس والرجاله وهو
مثاغر للروم وله معهم غارات یغدو بها ویقوم وعسکره نفاع له قوه ودفاع
وقد ذللت لهم المراکب فامتطوا فی البحر متونها واطاروا غربانها والجروا نونها
ولهم اسطول مجهز للرکوب علی ظهور السفاین والتصریف بها کالصوافن
طالما صبح بلاد الروم منها غراب ناعق وسبح راکبها وعجب لقدره
الخالق ورجفت لها مدن ورجفت لها اعداء الا انه من الجبن واهل هذه
المملکه غزاه لا تستکن سراه حصانهم ولا تلین سراه لا تنزل لهم لبد
عن جواد ولا قلع عن سفین لا تحجبهم عن بلد سور ولا عن سالک بر
جناوه ولا تغلبهم سرب یقتنص بهم من الروم جآذره ومن الخزر ظباوه
وهذه البلاد درهمها نصف درهم فضه خالصه ورطلها اربعه ارطال
بالمصری ومدها اردب واحد وسعرها رخیص والرقیق بها کثیر السبی

کثیر ولا تخلو لاجل هذا من تجار وجلابه ومن دخل فی هذه البابه

الفصل العاشر

فی مملکه نیف

وهی سابعه النطاق الثانی وصاحبها علی باشا اخو صاروخان وهو جاره
فی المکان وکرسیه مدینه نیف وبلاده شمالی طغرلو وجنوبی سدوول وهذه
سدوول شمالیها من خارج الجبل الشرقی المحیط ببلاد الاتراک خارجه
فی البحر ولصاحبها ثمان مدن ونحو ثلثین قلعه وعسکره ثمانیه الاف فارس
وجملهم کثیر من الرجاله الذین هم رماه بالنبل ومملکتها علی قنن الجبال لا
یلحقها الغمام برتبته ولا یلحقها نسر السماء لتحلیقه تهوی وفود الریاح
دون ادناها وتنتقی السحب فاتضل ابنیتها ولا یمر بها البرق الا وهو مجتاز
ولا البدر الا وهو علی اوفاز تمیل قبل رؤیتها العمایم وتتوسوس وعلیها
من النجوم تمایم ودرهمها ورطلها ومدها وسعرها من نسبه مغنیسا

الفصل الحادی عشر

فی مملکه مغنیسیا

وصاحبها صاروخان وکرسیه مغنیسیا وهذه البلاد تجاور مملکه عیسی عربا
للشمال وجنوبیها طغرلو وقبالتها فی البحر جزیره کنول ولصاحب
هذه المملکه نحو خمسه عشر مدینه وعشرین قلعه وعسکره یزید علی عشره
الاف فارس وهم اهل حرب وطعن یصنون به فم الدرب ومنهم غزاه
فی البحر کانهم الملوک علی الاسره لا تقتیل لهم عزم وحالهم فی هذا

مثل حال جارهم الاول ولكل منها جهاد عليه يعول ودرهمها ورطلها
ومدها وسعرها كذلك ومن نسبه ما قبلهم او ما يقارب ذلك ۞

الفصل الثاني عشر

في مملكة سبركى

وهي ثامنة النطاق الثاني وصاحبها ابن ايدين وكرسيه مدينة سبركى
وموقعها شمال طغزلوا وتوازا وجنوبي تذرقل ولصاحبها نحو ستين مدينة
وثلثماية قلعة او ازيد وعسكره سبعون الف فارس اشلاء حرب وكفاح
وعرضه سيوف ورماح ولهم مع الروم والفرنج وطوايف بني الاصفر حروب
عظيمة وايام لها غرر وحجول معلومة ضج البر والبحر من وقايعها ومن السجايا
ما تضعد اليه من نقايعها لا تنهك لهم مضاجع ولا تراهم الا بين مناهب
لغزوة واحتراز اجع سدوا فروج البر خيلا وفرقوا صدور البحر سفنا
وجروا الكتايب الكفار على هذا حالا وسترى على ذاك مدنا وكل ملوك الاتراك
في غزوات عليهم عيال وسيوفهم المهلة الذكور تلقح الحروب الحال
لا ترضى الا بصيد المهج ولا تقضي يوم الا بقيل لها الا تمرقه ولا حرج كانما كونوا
من جناح غراب او صهوة سطهم او خلقوا المطلبة بغبار اوادهم لا تفزع
لهم شمال ولا يمين هذه تعبان جراد وهذه تقلع سعس ولمهابتهم في قلوب
ملوك بني الاصفر ما تختلج به ضمايرهم وتحلف الا في الاجماع عليه سرايرهم
واذا قيل انه قد تحرك منهم متحرك ظنت انه يريد نفوسها وسكت في جانها
حتى يلمس روسها بايديها وملك هذه البلاد اثابه الله تعالى وجنوده اجمعون

على هذه العزيمة لا يفل حدها ولا جريدها ولا يلف والدها ولا وليدها
وهم بسبب كثرة السبي ومن يجلب الى الافاق من اولاد الروم ونسايهم في مددهم
الله بلطفه واعلا كلمتهم على من كفر وهذه البلاد درهمها ومدها نحو مملكة
صاروخان فاما رطلها فستة عشر رطلا بالمصري واسعارها رخيه
وثمارها مما يحمل البحر وينبت الارض سخيه ۞

الفصل الثالث عشر

في مملكة فوكه

وهي تاسعة النطاق الثاني وصاحبها اورخان بن منتشا وكرسيه مدينة فوكه
وموقعها شمالي توازا وفي شمالي مشارقها جزيرة دفتوسه وقبالة هذه
البلاد جزيرة المصطكى تقع وراء بلاده سوا بسوا ولهذا صاحب فوكه
نحو خمسين مدينة ومائتي قلعة وحصن وعساكره مايه الف او يزيدون وله سيف
لا بالهم عمله ولا يكف حده تقاتل من عاداه برا وبحرا وتحاتل من
ناواه مسلما كان او كافرا يركب السفن والخيل ويخوض النهار والليل
لا يطمين به وساد ولا يسكن له مغرس جهاد ولا يزال له وللاعدايه
وقايع تشيب مفرق الوليد وتذيب قلب الحديد ويبيت الدهر منها على
وعد او وعيد تبث سراياه في كل صوب وتحث مطاياه في البر والبحر
في كل توجه واوب فما رات الكفار خيله الا طفقت تتنهد ولا
اقبلت طلايعه على سفايها الا ورفعت سباتات صوادبها تتشهد
وهذه العساكر يميونه النقيبه سعيده الحركات قل ان توجهت الى جهة

الا وظفرت بمرادها وبلغت قصدها من اعدآيها وهذا هو المعروف منهم
والمستفاض حديثه عنهم لا يخالف في هذا من يعرفهم مخالف ولا يخالط
هذا شك عندهم في حديث ولا سالف ولا ثم من يداريه صاحب كرمان
من امرا الاتراك سواه ويداهنه ويقنع بالتستر بموالاة منه ولا نعلم عليه
الا صاحب كرمان في ما كان من سواه فدونه قدرا ومكانه ولم عليهم المزيه والمزيد
ودرهم هذه المملكه ورطلها ومدها واسعارها مثل كرمان ٥

الفصل الرابع عشر

في مملكه انطاليا

وهي عاشرة النطاق الثاني وصاحبها خضر بن يونس وكرسيه انطاليا
وهي شمالي مملكه عميد لي بلاد ابن دندار وهي على ضفة البحر والسهم
السها ومنها والاخبار عليها وعنها ولصاحبها اثنا عشر مدينه وخمسه وعشرون
قلعه وعسكره ثمانيه الاف فارس ولبس اهل حرب طابل والمنهم هايب
والهابل ودرهمها نصف درهم فضه خالصه ورطلها اربعه ارطال بالمصرى
ومدها اردب واحد ٥

الفصل الخامس عشر

في مملكه قراصار

وهي حاديه عشر النطاق الثاني وصاحبها زكريا وهي مملكه صغيره الى غايه
وهي شمالي عميد لي بغرب وكرسي صاحبها قراصار وله ثلث مدن واثنا عشر
قلعه على ضيق الرقعه وقرب مدى البقعه وعسكره الف وخمس مايه فارس

وكان اصل هذا زكريا مملوك يونس صاحب انطاليا ثم لما مات تقوى على
ولده وغالبه فغلبه واخذ الملك بيده ودرهمهم ورطلهم ومدهم مثل انطاليا
وهذه البلاد من ملك مقتطعه ومما كان في يد مالكها من تخعه

الفصل السادس عشر

في مملكه ارمناك

وهي ثانيه عشر النطاق الثاني وصاحبها ابن قرمان وكرسي مملكته رمناك
وله نحو اربعه عشر مدينه ومايه وخمسين قلعه وعسكره يناهز خمسه
وعشرين الف فارس وسلبهم رجاله ومن مشاهير مدنه مدينه ارنده
وهي مدينه جليله ومدينه العلايه وهي المسماه بالعلايا عند العوام
وموقع هذه البلاد شرقي بلاد الارمن شمال وبلاد ابن شرف جنوبها واقرب
مدن الارمن اليها طرسوس واذنه ٥ وهذه البلاد على ضفة البحر الملح
وقد تقدم ذكر اهل هذه المملكه وما هم عليه وموالاتهم لسلطاننا صاحب
مصر خلد الله ملكه وميلهم اليه وما هم عليه من الجهاد في الارمن
ومن ساكنهم من الكفار وتجريد سيوف غزوهم انا الليل والنهار
وبهذا انتهى ذكر ممالك الاتراك وما هي عليه على ما بلغنا وتبين لنا
وقد اوضحنا طرق الروايتين على ما فيهما من الخلاف وعلى انني اجتهد
والعهده على الناقل ٥ **ونحن نذكر تتمه ما كنا اشرنا**
اليه من احوال الروم عند غلبه التتار ودخول طوايفها هاتيك الديار
فنقول انه لما استقلت قدم التتار فيها واستهلت غمايم كتايبهم على

حصانتها بقي ملوك آل سلجوق معهم بالاسم لا عبرة لهم حكم ولا تصرف
بل لهم ما يقيم بهم وبيوتهم وشعار ملكهم الظاهر ونفقاتهم اللازمة
والامر كله لنواب التتار وعنهم الايراد والاصدار وباسم الملوك الجنكزخانية
تخطب وتضرب سكة الدرهم والدينار فلما ضعفت الدولة السلجوقية واذنت
ايامها بذهاب تلك البقية وكانت المغول لا تقدر على صعود تلك الجبال
ولا تعرف الحصار ومطاولة المعاقل والقلاع فتغلبت طوايف الاتراك هنالك
على كثير من تلك الممالك ولولا قوة شوكة التتار وسطواتها التي
عمت الاقطار لاستولت على السهول مع الجبال واخذت بجنباتها
من كل مكان مع انها ملكت معظم البلاد الابقية حفظت المغل مطالع
افقها وامسكت اخر رمقها ودارت اذ ذاك طوايف الاتراك ملوك
المغل على ما غلبت عليه وبقي كل منهم يدخل في طاعتهم على انه يسلم
اليه ولا يخرج شي من يديه واستمرت احوالهم معهم على الطاعة والعصيان
والتذكار والنسيان حتى تمادت المدد وجرت رواق الدولة المغولية او
وهي منه لعض العمد فحينئذ تثبتت اقدامهم ونبتت في مغارس الاستمرار
ايامهم ومنذ غلبوا على ما بايديهم من الروم لصاحب قرمان عليهم مزيد
الفضل كما ذكرنا وكل واحد من هولا الاتراك مستقل بمكانه
مشتغل بشانه وتبسطوا في جهاد من جاورهم من الكفار وصار هذا
ديدنهم وبقي منهم من التنافس ما يكون بين النظرا ولهذا كانوا
عظما الملوك لتفوقوا انبساط هوتهم ويطيروا بريح سعاداتهم والتزهم

كما انتوا اسلطنتي سلاطيننا ملوك مصر رحم الله من مضى منهم وحفظ من بقي
وادام حياة سلطاننا مالك ملوك الارض صاحب الدولة الملكية الناصرية وخلد
سلطانه خلود الليالي والايام ولاذوا بهذه الابواب العزيزة وتطبعوا بالميل
الى هذه الدولة القاهرة حتى صارت الموالاة في طباعهم كالغريزة فاتخذوا
ملوك مصر نصرهم الله لهم ظهرا وعدوهم للحوادث ذخرا حتى ان منهم
من رغب في تقليد يكتب له بالنيابة فيما هو فيه فكتب اليه وجهز اليه الصناجق
والالوية والاعلام والتشاريف التمام والسيف المحلى والحصان المركوب بسرج
الذهب والعدة الكاملة والجنايب الطايلة وما منهم الا من يدخل ويترامى
واقترح مراما والانعامات تغمرهم والصدقات الشاملة تعمهم وهم
الى يومنا هذا اهل ود وصفا وحسن عهد ووفا ولكثرة ما خالطهم به
الامتزاج وصل منهم من اتخذ مصر والشام دارا واخذ بها الامرة والاقطاع
وجرى فيهما تحت الامر المطاع ورسلهم حتى الان لا تنقطع بصدق نية
واخلاص طوية والمكاتبات واردة وصادرة والهدايا بعثتهم وسايرة
ومع هذا كله كل واحد منهم غني بما اتاه الله من فضله وامرا الاتراك
على ما هم عليه من الامتناع والتحصن بشوامخ الجبال والقلاع
وبعدهم عن المغل وقوتهم بكثرة العديد والعدد والسلاح ووفور ذات
اليد تداري ملوك بيت جنكز خان وتخدم ملوكهم ومن يصل منهم
ويترددون جهتهم وتهاديهم وتعتضد بالمقربين اليهم لكل واحد منهم
في الاردو من هو من ورايه ويتكفل بالمدافعة عنه ويخطب في بلادهم

للتاتم من بيت هولاكو وتضرب السكة باسمايهم ولنا آيب الروم عليهم الطاف
ويخف بتاقوته بها ويتوقون من خلفهم من قانات المغل بالاخذ
بخاطرهم سيهم هذا الانه جارهم المجاورلهم وهم رهن ما يكتب به الى الاردو
في حقهم ولما كان تمرتاش بن جوبان قد استقل بهذه النيابه
ورست فيها اعلامه وفتح الفتوحات واباد المخالفين له بها خافت امرا
الاتراك باسه وكانت اباه جوبان وتسترت بظله وترست من مواقع
سيوف تمرتاش بجاهه وقضت تلك المده معه بهذا واشباهه
وهو مع هذا كله يرسيهم بالبوايق ويترصد لهم غفلات الوقت وقال
في سلطنة بيت جنكزخان ما والبهرلم جوس في الاسره قال وما الله
جعل حتما على العباد ان تبقى دولة ال ساسان الى اخر الزمان
واظهر ما كان يسره من هذا الامر وباح به وهم وما فعل فبلغ ذلك
اباسعيد بهادرخان سلطان الوقت ذلك فغضب على ابيه جوبان فتبرا
جوبان من فعل ولده تمرتاش ونهض اليه في وقت شتاء لا طاقة لاحد
بسلوكه وقطع الى الروم كل جبل ثلج تزل عنه النظر واراد تمرتاش
ان يضرب معه مصافا فراسله ابوه ولاطفه حتى كف واذعن واخذه
ابوه واحضره الى الاردو في هيئة المأسور المقهور وجوبان يظهر هذا
ويسر خلافه ويبطن مخادعة السلطان ابي سعيد في امره فلما مثل
تمرتاش بين يديه فك اساره وخلع عليه وتركه بالاردو مده
ثم اعاده الى الروم على ما كان عليه وزاد في تخويله والتنويه بقدره

ثم لما آن لدولة جوبان ونبيه الزوال وكان منهم ما كان قويت
امرا الاتراك بالروم وانتعشت قواهم وهم مستمرهم الى الان على هذا
الحال على كثرة اضطراب امر المغل وتفرق اهوائهم في هذه المده
كلها ومع هذا ما استطاع احد من امرا الاتراك ان يلتفت الى
شي مما بايديهم من الروم لا ولا ارتجاع شي مما كان تمرتاش بن
جوبان قد اباد ملوكه واجتاحه واستضافه الى ما بيده ٥

وهذه جملة

ما جمله مقدار هذا التاليف من اخبار
الروم وما تضمنه مما دخل فيه بلاد الروم وبالله نستر شد ونهتدي
وعليه نتوكل واليه ننيب ٥

واما ما هو بايدي النصارى

فقد
قال بلبان الجنوي ان ممالك الروم التي بها تترامى الى البحر موضع الباب
ثم مملكة القسطنطينية ثم طرابزون ٥

فاما مملكة طرابزون

فهي من ممالك عباد الصليب مملكة
جليلة القدر على ساحل البحر على جزيرة ما ينطس وهي مملكة
اخذت غربا بالشرق على طرف مملكة الاتراك في البر المتصل
بنا وهي في جنوبي الروم دق طرفاها واتسع وسطها ثم دار على
جانبيها البيكار من خارج المركز فجاءت على شكل الاهليلجة
وعلى هذا التصوير صورها بلبان الجنوي وقال وصاحبها
ملك رومي عريق في الملك من اولاد قسطنطين باني مدينة القسطنطينية

وهو صاحب تخت وتاج ووظايف ملكية وحاشية سلطانية وقدر رفيع
عند الباب وهو وجميع اهل العساكر مسهم والبا في اهل جمال ابو
وحسن وان الان هذا الملك القايم بها الان واباه لكل منهما على عجز
الصلب سلعة رقيقة ممتدة بارزة تكون طول الابهام وعرض كانها
ذنب خارج قال وفي هذه المملكة قوم بهم مثل هذا ولما قال
لي هذا توقفت في النقل عنه وشككت فيه حتى حدثني بمثل هذا
بهادر الابواني وحكى مثل هذا الخبر من اهل السنن واخبر ثم اخر
حينئذ بنقلته في كتابي هذا والعهدة عليهم والمقدار صلحه والله سبحانه
وتعالى فاعل مختار ويخلق ما لا تعلمون فسبحان من بيده ملكوت كل
شي واليه ترجعون ٥ قال واهل طرابزون اهل نجدة وباس وعليهم
طريق مسلوك لمن رام بلاد القرم وصحرا القبجاق وطوايف سكان
الشمال قال ومملكة طرابزون اوسع من مملكة الكرج واجل مقدارا
عند ملوك النصرانية وانما اولئك اشد ابدا وقوة قال وملك طرابزون
يسمى التكفور كما يسمى ملك الارمن وهو اعلا نسبا من ملك الروم
القايم الان في المملكة بها وله عليه فخر لا يعلى على منصبه ولا
يعلى رداه عن منكبه قالوا وجملة لبيوابرى عدد غالب ولا مدد
مغالب وانما هم اقران فوارس واعيان ليوث لا تخلى لها فرايس ٥
قال واحوالها كلها تشابه ما يليها من ممالك الاتراك ٥
قال بلبان الجنوى

واما مملكة القسطنطينية

وهي الان تسمى اصطنبول وقد يما برطانية فانها كرسي مملكة الروم
ولملوكها التقدم على جميع عباد الصليب وفي اهلها الملك
القديم وكانت لهم اليد العليا على بني المعمودية وجميع الطوايف
العيسوية وهي مملكة قيصر وبها كان تخت الاسكندر وتداولتها
دول الروم من اولاد قسطنطين وخرجت عليهم خوارج ثم هبت
للفرنج بها ريح ملك واشتعلت لهم بها ذوايب دولة واشتعلت لهم بها
نار غلبة ثم عادت الى الروم واستمرت الى اليوم ٥ قال
والفرنج تزري بالروم لخروج ملك الشام عنهم وتعيرهم بغلبة العرب
عليهم يعني في مبدا الاسلام وتعيبهم بهذا وتوسعهم الملام قال ومع
هذا فلا يسع ملوك الفرنج الا اجلال هذا الملك الرومي وتوفيه حقه
من التعظيم وعساكره مايتا الف فارس مدونون ما فيهم الا اصحاب
اقطاع او نقد وارزاقهم لكل واحد منهم في السنة من ماية دينار
الى الف وخمسماية دينار ومنهم من بلغ الفي دينار والدينار اثنا عشر
درهما وهو درهم ينقص عن الهندي بيسير والدينار ما هو دينار
منسي بل حقيقة دينار مسكوك من ذهب مغشوش فلهذا نقص قيمته
قال ويسمى هذا الدينار بربرو قال واما الامرة عند
الروم فانها محفوظة في بيوت قديمة يتقدم في امرة كل بيت واحد منهم
يتوارثها كابر عن كابر ويورثها اول لاخر قال وملك
القسطنطينية قدره ليست لاحد من الملوك النصرانية سوا ٥

قال لانه يركب في كل يوم احد الى الكنيسة العظمى بها ومعه البطريرك
ويقف على كل باب من ابواب الكنيسة على كثرة ابوابها فرس للملك وبغله
للبطريرك وشعار سلطنة كامل لجميع ما يحتاج اليه الملك مما لا بد للموكب
الملوكي منه فمن اي باب خرج من ابواب الكنيسة هو والبطريرك
ركبا وسار الملك في اهبة الملك التمام وشعار السلطنة الكامل بما كان
معدا له على الباب الذي خرج منه دون ما كان معدا على بقية الابواب
وعلى كل باب منها نظير ما كان على الباب الذي خرج منه الملك
وسار بشعار الملك الكامل قال وللملك ميسم يتميز به وهو
انه لا يلبس احد في مملكته جميعها خفا احمر غيره وزي الروم في لباسهم
من نوع زي المملوك الاتراك والمغل من الاقبية التترية والمحصرة خلا
ان الكبار على رؤوسهم منسع مرجرج كانه الطبق ويشدون في اوساطهم
المناطق والسيوف ومناطقهم ثقال وسيوفهم كالسيوف المغربية
اخف من المغربيات وعلى اشكالها ولباسهم الجوخ والصوف والحرير
الاطلس والديباج وسائر انواع الحرير قال وللملك داران
معروفتان بدار المملكة الواحدة قديمة من بنا الاسكندر خارجها في كبد
البحر دار ان بحارات طوال ودهاليز بعيدة مابينه وفي جانبيها تماثيل
نحاس على صورة الانسان وسائر انواع الحيوان وفيها صورة ه
فرسان على خيل وحيوانات واشكال اخر وكلها اكبر من الحيوانات
المعروفة بما يزيد زيادة ظاهرة على الاشكال الطبيعية وهي في غاية

الصنعة والاحكام بالنقوش العجيبة والتخاطيط الغريبة ولا يعرف هل
عملت لظاهر الزينة او لباطن من الحكمة وهي دار عظيمة هائلة البنا
لعقود مطنبة وابنية رفيعة واسعة رحبة مفروشة بالرخام الابيض
والمجزع والملون وضروب من المسن الاخضر قال والملوك لم يسكنوها
منذ اعصر متشائمون بها ويقولون انها مسكونة بمردة الجن ومسا ق
الشياطين وان فيهم من يترآى على مثال اصله لا انطاق ٥
والدار الاخرى هي التي يسكنها الان الملوك ونسكن اليها وهي على
جلالة مكانها وفخامة قدرها لا تقارب دار الاسكندر ولا تدانيها
في الامكان والتشييد ورونق التأنيق والتنميق قال ولقد كانت
ملوك القسطنطينية تراقب ملوك القبجاق وتؤدي اليهم القطيعة حتى بزوج
هذا السلطان ازبك خان بنتهم فامنهم ووضع عنهم اثقال تلك القطيعة
واصر تلك الاتاوة وناموا الان في مهاد الامن ورفعت عنهم عمم التكليف
وقال لي عنبره وقد سألته عن عدد جيوش الروم فقال هم عدد
بلا نفع قلت وهذا هو المشهور عندهم في كل زمان ومكان
والمأثور عنهم انهم وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشي في شي وان
هان اقوى اعتدادهم بالخمر والخنزير وا وفي جنبهم الديباج والحرير
ما فيهم ضارب الا بجنك او عود ولا طاعن الا بين اعكان ونهود
ولا يبشرون دما الا من فم ابريق جرح ولا يرون قتلا الا من
شخص زق طرح ولا لهم وقائع الا في ملتقيات الصحاف ولا مواقع

الا من قواس والحاف لا يعرفون البيض الا كبيض الدمى ولا السمر الا كل سمرا
اللمى ولا العجاج الا من دخان عنبر ولا اشهر السيوف الا في ثغر شنيب
كانه عقد جوهر ولا المقام الا في مجلس راح ولا اهتمام الا بمجلس افراح
ولا التماس الا لغبوق او اصطباح ولا اقتباس الا بما تتوقد نار في كاس
او يقدح من اقداح ما منهم راكب جواد الا للذة ولا صاحب جهاد الا في
فرصة مستلذة ولا عوامل تعلق اسنتها غير الشمع ولا عويل الا بما تحدر
في ماقي الغيد من الدمع قال بلبان وطوايف الروم لا معرفة لهم بامتطا
البحر ولا عادة بركوب السفن ولا بعد سيارتهم فيه الى سوا مواضع
النزهة وانما هم اصحاب خيل ولا بعد حيا لهم في جياد الخيل وانما جلب
اليهم كرايمها من بلاد الاتراك من قاطع الخليج وانما لهم بغال تباع بغال
ولهم تجمل زايد في الملابس والمراكب والفروش وفي اهلها الجمال البديع والكمال
التام وفي المثل وجوه الترك واجسام الروم وظرف العرب قال فاما
منابت القسطنطينية فكلها ارض جليلة صالحة للزروع والثمار ولها نهر
متوسط المقدار عليه مساقي زرع واشجار والارزاق بها كثيرة الوجود والرطل
القسطنطيني نظير الرطل المصري وكيل الطعام بها يسمى مدني وهو حمل حمار
يكون اردبين ونصف بالمصري وتباع الغلال الكثيرة فاما القليل منها
فيباع بالرطل قال وهذا الملك لا يفارق مجلسه الطرب ويضرب ايه الالة
المعروفة بالارغل وهي ذات وضع عجيب والحان غريبة مطربة تاخذ بمجامع
القلوب قلت وقد رايت هذا الارغل بدمشق ثم بالقاهرة فعلت هذا

للضارب بها تعالى بهذا ارغل صغير بقدر كتف يحمل ومامعه اصوات
تستنزله القصوب والذي يضرب به لملوك الروم والفرنج كبير مستقر في مكان
لا يزال به وله عدة من اصحاب الانغام المطربة تستنزله وله بذلك رونق الكون
في مثل هذا وصورة الارغل خشب مركب وله بكر نحاس واوتار وشريط نحاس
وحجر مثل كور الصايغ ونغمة تشبه بالالة التي تسمى القانون ثم نعود
الى تتمة الحديث قال بلبان والملك لا يمد الطعام الا بين بساطين من المغاني
واصحاب الملاهي وحدثني اقسنقر الرومي احد امرا العشرات بالابواب السلطانية
وهو من بعض بيوت الامرا القديمة بالقسطنطينية وكان قد حضر في جملة الرسل
الى الابواب العالية واسلم وشمله التشريف والانعام الشريف والاقامة في الخدمة
الشريفة السلطانية بمثل هذه الاحوال وسمعته يبالغ في تعظيم شان ملوكهم ووصفهم
بحسن المواساة والمراعاة لمصالح اولياء دولتهم ورعاياهم وقال ان عادتهم
جارية بانه من مات من امرا الروم جرى على اكبر اولاده ما كان يجري على
ابيه فان لم يكن له ولد كان على اكبر اهله فان انقرض تصرف الملك فيه برايه
فان ترك الميت اولادا لا يقوم لهم ما كان لابيهم ولا يكفيهم اذا وزع
عليهم جرى على الاماثل ما كان لابيهم ونظر في حال البقية قال
وعادة هولا الملوك ان لا يعطي ولد امير رزقا من جهتهم ما دام ابوه
حيا برزق بل ان ارزاقهم لابيه وان اراد الملك ان يعطيه شيا اعطى لابيه
مقدار ما يريد ان يجعله لابنه ثم امر ان يجريه هو عليه فالذي من جهته لا من
جهة الملك قال وهم اهل عدل فلا يظلم احد منهم ولا يستحسن الظلم ولا

يفسح فيه ولا يستطيع الى شئ مما في ايدي الناس من ارباب دولته ورعايا مملكته ولا يعرف
هو اعندهم قال وجميع من هو في خدمة ملوك الروم لا حجر عليهم ولا تضييق في الاكرام
بحضور خدمة مرتبة ولا اخذ دستور في امر من الامور مخلى بين نفسه وما يريد
في الركوب والنزول والسفر الى الصيد والتنزه والى جهات املاكهم واقطاعاتهم بل هو
في ذلك كله مع رايه يمشي فمتى اراد الى جهة اراد وتغيب لا يقدر له ان يغيب بغير اذن
الملك ولا احد ممن ينوب عنه ومنهم من يغيب السنة فما فوقها ولا يقال لهم سافرتم ولا
كيف ابطات ولا لاي شئ انقطعت عن الخدمة ولا يعتب ولا ينكر عليه ولا للملك عليهم
تشديد في امر الا في الالزام بالتوجه الى حرب او المواطن نحو قالوا واما اهل مملكة
الملك فهم منه في ارغد عيش لا يتعرض لهم احد ولا يكلفهم انا قالوا كلهم والبطرك هو
الحاكم على الملك لانه لا يعول الا على رايه ولا يفصل حكم الا بقضائه وله رزق عظيم
لعدل معدله دخل اقليم واليه امر الكنيسة العظمى وسائر الكنائس والديارات
ويحصل لها في كل سنة اموال جمة طائلة من الوقوف والنذور والقربانات والتحف
ومهاداة الملوك والكبراء والتجار وفيما يزعم الروم ان بلادا معدودة
جميعها وقف على الكنيسة العظمى التي لهم المسماة باياصوفيه وبلاد
معدودة هي الاسكندرية وما هو مضاف اليها وكان ذلك في قديم الزمان مصر
كلها باسرها الا الصعيد الاعلى وعلى هذا جاء الفتوح في صدر الاسلام ٥
قلت والروم تبالغ في تعظيم هذه الكنيسة وتعتقد كراماتها ويقال
في التواريخ ان بها كان اجتماع قسطنطين على الذين هم من النصرانية وان عقد
الاتفاق كان على المذبح بها وفيها على ما يقول صليب الصلبوت وعصا موسى

وتابوتهم وسيح المسيح مما يقال انه صار اليها من طليطلة ٥ وفي زمان الملك الناصر
صلاح الدين قدس الله روحه جاءت اليه رسل الفرنج تسال في ارسال صليب الصلبوت
اليهم وزعموا انه كان صار الى خزائن العبيديين واتصل اليه ثم ان صلاح الدين ظفر
في بعض حروبه بالرجل الذي كان حضر في طلب الصليب فامر به فصلب وكتب
الفاضل رحمه الله لما ذكر هذا فيه يقال وحصل الظفر بمن كان يقدم حضوره
في طلب صليب الصلبوت واطلع في ذلك الوقت وعلم انه لا يعرف فلما ظفر به الان
امر به ان يصلب وجعله مثله وسمر على الصليب الخشب وجعله مثله ٥ هذا
ما ذكر في هذا المعنى ٥ واما السابع الذايع على السنة الناس من كلام المتحوّلين في
الارض وطلبة الكنوز والخبايا فهو ان علم الكنوز في كنيسة القسطنطينية قالوا ان
هذه الاعلام كانت بطليطلة ثم صارت الى القسطنطينية ومنهم من يقول ان الروم لما خرجت
عن الشام وبلاد القبط اكتنزت كثيرا من اموالها في مواضع كانت تعدها لذلك
وكتبت بها كتبا باعلام مواضعها وطرق الوصول اليها واودعت تلك الكتب
مكانا في كنيسة القسطنطينية وان منها تستفاد معرفتها ومنهم من يعد ان
سكان الشام من الروم لم يكتنزوا وانما ظفروا بكتب بمعالم كنوز من كان
قبلهم من اليونان والصابئة الكلدانيين ومن تقدمهم من الامم الاول فلما غلبوا
على الشام استصحبوا تلك المعالم فاودعوها الكنيسة ويقال انه لا يصل
اليها الا من خدم الكنيسة مدة معلومة عندهم فاذا انقضت اعطوه ورقة واحدة بحظه ونصيبه
بما يدله عليه ولهم في هذا وشبهه حكايات واشياء ما يهم امر صحتها ولا مكان الاشتغال بها
واشتغال الخاطر بعبثها وانا لا اصدقها ولا اكذبها وانما ذكرتها هنا ها هنا على سبيل

الحكايه والتشدير اذ كان هذا مما يدور ذكره في حديث الناس اذ ذكروا اهل الكنيسه وهو
مما لا يستبعد انا كلما واما شي منه لدخوله في حيز الامكان ولانه ما يخلو من فواضل
اهل كل زمان وهولاء الغرب تكثر اموالها في قدور ربما لاسل طوال تدفنها في مواضع
متغلغله في البر ويعلمها باعالم لا تتغير من الجبال والربى وما اشبه ذلك فاما ما لا
شك فيه فهو ان في القسطنطينيه كتبا جليله من كتب حكما او الحكما والفلاسفه
القدما مما لا اخرج عن دار قونيه ولا وصل الى بلاد الاسلام منه شي لضنانه بطارقهم
وقسوسهم به ومحافظتهم عليه على خزانته وحفظه ويقال ان فيها دقايق الموسيقى
مما لو عمل به اهل هذا الشان والعود على اصحاب الاصوات المطاوعة لا استغنوا به في
معالجتهم به عن العقاقير حتى يقال ان فيها مللن الغراسي وتغايد الصعب
[illegible] وسكى وسوم ويدعي اصحاب علم الكيميا ان فيها كتبا جليله فيها العلم الصحيح
باسهل الطرق واقربها الى الوصول وتدعي انه مما تلقى عن موسى صلوات الله عليه ويقال
ان فيها اثارا من علوم الخضر والاسكندر ذي القرنين يفتح به المغالق وتسلم المعاقل
وتملك النواصي وتهزم الاعدا فاذا صح احد ممن يقول هذا القول وحقق وقيل له
انهم يلوون ضلوعكم على الكتاب الذي عزطا على اخذ الشام منكم فهلا اخذتم تلك
الاثار ولعنتم المراد وكشفتم المهم ايلبسوا او سكتوا او لم تكن لهم حجه الا ان يقولوا ما بقي
من يعرفها او ذهب زمانها لعدم طوالع او لعدم من يعملها او ما ثم من هو مشتغل بها ٥
واما الذي هو الان عندهم ظاهر من يعتنيا باذهاب العلم الحكمي فهو الطين المختوم وراث
الحكما الزمان ومنهم ما لا باس المصريه روسا اي صنل وعلى لا تقصر عن درجات الاوايل
ما فيهم من يتنبه على التحقيق لكنها تستحسنه ويقول هو طين مليح يحصل به القصد

٥ وتوقف ولا يجزم بانه هو الطين المختوم ويقول للطين المختوم طين عمل وطبع وختم على
عهد جالينوس ويقول كانت امرأة في جزيرة في البحر تجلس على هيكل على قرن
او بركة يانيها السبيل وتذبح هناك التيوس على سبيل القربان في وقت معلوم من
السنه ويوخذ من التراب بما اجتمع عنه السبيل وجمد عليه الدم او قالوا انه
يجبل بالدم في طالع مخصوص ويقرص اقراصا ويطبع بطابع متخذ لها ومنهم
من يقول ان قواه فعلا انما هو لخاصيه تلك البقعه ومنهم من يقول للطالع
المخصوص ومنهم من يقول بل الشي الذي يقبض عليه في الهيئة الاجتماعيه وهذا الطين
المختوم المجلوب الان هو على نوعين نوع ابيض ونوع احمر فاما الابيض فمنه اغبر
ومنه شديد البياض واما الاحمر فمنه وردي ومنه ما يشوبه سواد كانه لون المغرا
وطوابعه مختلفه وهذا الاختلاف مما اوقف الاطبا عن الجزم به انه هو هو
ولانهم لم يجدوا فيه كلما ذكرت القدما في اوصافه ٥ وقال لي الرئيس امين
الدين سليمان بن داود المتطبب رحمه الله وقد رايت منه هذا ما هو الطين المختوم
والطين المختوم عمل على عهد جالينوس وكان مقدار الذي بالاسم لم يعمل
بعده وعطي البحر على تلك الجزيرة والناس منذ عمل يستعمل منه
ولهذا زمان طويل ولو كان بقدر ما عمل اضعاف اضعاف مضاعفه لكان قد فرغ
وانما هو شي يشبه ويلبس به ٥ واكثر ما يحمد الاطبا من هذا الطين
المشتبه بلون المغرة ثم الوردي فاما الابيض فما رايت احدا منهم يتقدم
اذا راهما في وصف ولا يعبا به فاما حال التي من القسطنطينيه فقد ذكر
وتصف ضيانه الروم والذي جربت منه فحمدت من انواعه هو المشتبه

بالمعرا وقد ذكرت هذا المحل الغابة ۞ ثم نعود الى الكلام على القسطنطينية ۞
قال اقسنقر الرومي وبلبان الجبوي وعلي بن بلبان الحلبي قالوا كلهم
وقال غيرهم ان القسطنطينية على حرف البحر يدخل منه ماء الى
الميناء في جانب القسطنطينية ويدخل سورها والتجار والسفار من ساير
الاقطار من المسلمين والنصارى وغيرهم ياتي اليها وينزل بها ويبيع ويشرى
فيها ولا حرج عليهم ولا تضييق والمسلمون فيها على جانب اعزاز واكرام
فيها ساكن من المسلمين يسكنونها الى اليوم لا يمسهم ولله الحمد ذل ولا
هوان ولهم مساجد وايمة تصلي بهم الجماعة فتظاهر فيها شعاير الاسلام
وللملك اهتمام بكف الاذية عنهم واذا شكا المسلم اليه على احد من
النصارى ولو انه من عظماء البطارقة لمن شكاه وانصفه منه ولا اضطهاد ولا
ضيم في جميع مملكة هذا الملك عليهم ولو تغيرت الملوك واختلفت الاحوال
لا يقدر الملك على تغيير حال في هذا ولا يخالف من تقدمه فيه لانها عادة
تدين بها ملوكهم وسارت بها في ملوك النصرانية سيرهم فلو عدل الملك عنها
لمنعه البطريرك وواخذ به واعتبه بالرجوع الى سنة اسلافه واشتد في منعه
فان رجع والا كان السبب لتحريمه فان رجع والا كان السبب لخلعه
والروم اسخى من جميع الطوايف النصرانية واسمك في الكرما نفوسا وامسك
ناموسا ومع هذا فما فيهم من يداني العرب في كرم ولا يقاربهم في جود
والشح غريزة في طباع النصارى لا يسمح الا فيما يتنعم به فينفقه في اللهو والطرب
والنخوة فيهم قليلة وهذه جملة ما ذكروه من اخبارهم وفهم من كلامهم

ومما اقوله ان ادل دليل على عظم القسطنطينية وما لها الممدود غزوة هرون
الرشيد اياها سنة خمس وستين ومائة كان ابوه المهدي قد وجهه اليها وهو
اذ ذاك ولي عهد ابيه المهدي فخرج يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت
من جمادى الآخرة غازيا الى بلاد الروم وضم اليه المهدي الربيع مولاه فتوغل
هرون الرشيد في بلاد الروم فافتتح ماجدة ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة
فبارزه يزيد بن مزيد فارجل يزيد ثم سقط نقيطا فضربه يزيد حتى اثخنه
وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وسار هرون بمن معه في مائة الف
من المرتزقة وتبعهم مثلهم من المطوعة وحملوا اليهم من العين مائة الف الف
دينار وثلثة وتسعين الف الف واربع مائة وخمسين دينارا ومن الورق مائة الف الف
واحد وعشرين الف الف واربعة عشر الف وتسع مائة درهم وسار هرون الرشيد
حتى قطع خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ اغسطه امراة اليون
وذلك ان ابنها كان صغيرا قد هلك ابوه وهو في حجرها فجرت بينها وبين
الرشيد السفراء في طلب الصلح والموادعة واعطاء الفدية فقبل ذلك منها هرون
الرشيد وشرط عليها الوفاء بما اعطت وان تقيم له الادلاء والاسواق في
طريقه وذلك انه دخل مدخلا ضيقا مخوفا على المسلمين قال
ابو جعفر الطبري وسار هرون في خمسة وتسعين الفا وسبع مائة وثلثة وتسعين
رجلا من المرتزقة سوى المطوعة ثم ذكر مثل هذا وقال ثم جرت بينها
وبين هرون الرسل والسفراء في طلب الصلح فشرط عليها الوفاء وان تقيم له
الادلاء والاسواق في طريقه فاجابته والذي وقع عليه الصلح تسعين وسبعين

سبعون الف درهم دينار يؤدونها في نيسان الاول في كل سنة ومثله في حزيران
وقبل ذلك منها واقام لهم الاسواق في منصرفه ووجه معه رسلا الى المهدي
بما بذلوا له وبما بذلت على ان يؤدي ما تيسر من الذهب والفضة والعرض
وكتبوا كتاب الهدنة الى ثلث سنين وكان الذي افا الله على هرون
الى ان اذعنت الروم بالجزية خمسة الاف راس وستماية وثلثة واربعون راسا
وعشرون الف دابة من الدواب الذلل وذبح من الغنم والمعز ماية الف راس
وقتل من الروم في الوقايع اربعة وخمسون الفا وقتل من الاسارى صبرا
الفان وسبعون اسيرا وبيع البرذون بدرهم والبغل واقل من عشرة دراهم والدرع
باقل من درهم وعشرون سيفا بدرهم وقال مروان بن ابي حفصة يمدح الرشيد

اطفت بقسطنطينية الروم مسندا اليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
وما رمتها حتى اتتك ملوكها بجزيتها والحرب تغلي قدورها
وجزت البحور ما يحار لشانه ووعود الموج دان مسيرها
واخرجت منها خزا ابن قيصر الروم فنا طير عظيم لسيرها
فهو ذكر هرون الذي ابن محمد ودام على الاعدا منه مسيرها
لقد جرد المهدي منه مهندا يغض به يوم اللقا صدورها
على سمة ستر النبوة لابح ومن وجهه الوضاح اشرق نورها
لقد اصلح الرحمن امة احمد لسعيهما حتى استقامت امورها
ايمة عدل حيث حلت بلادها وهل سرير للملوك سريرها

وقد ذكر الطبري هذه الوقعة في احداث هذه السنة بهذه المقاصد ٥

وقد الحقت هذا الفصل بشيء مما ذكره الحافظ ابو القاسم بن عساكر في تاريخه
في ترجمة ابي محمد البطال ٥ قال عبد الله بن يحيى الانطاكي كان ينزل
انطاكية قال وكان ممن خرج مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان الى بلاد
الروم قال لما اراد عبد الملك ان يوجه مسلمة الى بلاد الروم قال قد
امرت عليكم مسلمة بن عبد الملك قال وولى على روسا اهل الجزيرة والشام
البطال وامر على مسلمه فقال صيره على طلايعك البطال وامره فليعس
بالليل العسكر فانه ثقة امين شجاع مقدام فخرج مسلمة وخرج عبد الملك
لتشييعه حتى بلغ الى باب دمشق وذكر الحافظ بسنده عن الوليد بن مسلم
قال حدثني بعض شيوخنا ان مسلمة بن عبد الملك عقد للبطال
على عشرة الاف من المسلمين فجعلهم سيارة ما بين عسكر المسلمين وما يليهم
من حصون الروم ومن يتخوفون اعتراضه في بشر المسلمين وعلاقاتهم وخرج
المسلمون يقلعون فيما بينهم وبين العسكر فيصيبون ويخطبون فيامن بهم
العسكر ٥ وقال الوليد بن مسلم حدثني ابو مروان الانطاكي عن
البطال انه قال سالني بعض ولاة بني امية عن اعجب ما كان من
امري فيهم فقلت خرجت في سرية ليلا فدفعنا الى قرية فقلت لاصحابي
ارخوا لجم خيولكم ولا تحركوا احدا بقتل ولا سبي حتى تستحوا القرية
فاتهم في نومة قال ففعلوا وافترقوا في ازقتها ودفعت في ناس من
اصحابي الى بيت يزهر سراجه وامراة تسكت ابنها من بكايه وهي
تقول لتسكتن او لادفعنك الى البطال ثم انتشلته من سريره

ثقة لك امسكي بابطال فلحقته ، وقال ابو الوليد حدثنا ابو مروان انه سمعه
يحدث قال خرجت ذات يوم متوحدا على فرسي لاصيب غفلة مسلط محلاة
فيها علیق فرسي ومزاد فيه خبز وشوا فبينا انا اسير اذ مررت ببستان فيه
بقل طيب فنزلت فعلقت على فرسي واصبت من ذلك الشوا اسفل البستان
اذا سهلني رطبي فاخلفت متوارا فاستفهت من دوامه وضعفي عن الركوب
فبادرت فركبت ولزمت طريقا واستفرغني على سرجي كراهية ان انزل ضعف
عن الركوب حتى لزمت عنق فرسي خوفا ان اسقط عنه وذهب بي ولا ادري اين
يذهب بي اذ سمعت وقع حوافره على بلاط ففتحت عيني فاذا فرسي قد وقف بي في
وسط الدير واذا النسوة يتطلعن من ابواب الدير فلما راين حالي وضعفي عن النزول
فاتتني جارية صاحبتهن حتى وقفت علي ونظرت في وجهي ورطنت
لهن فنزعن ثيابي وغسلن ما بي ودعت بثياب فالبستنيها وبترياق ودوا
فشربته ثم امرت بي فجعلت على سرير لها ودثار وامرت بطعام فهيي لي
فاتيت به واقمت يومي وتلك الليلة لا ادري ما انا فيه ومكثت يومين وليلتين
حتى ذهب عني السبات وانا ضعيف عن الركوب فلما كان اليوم الثالث جاها
من يخبرها ان فلانا البطريق قد اقبل في موكب فامرت بفرسي فغيب واغلق
علي باب بيتي الذي انا فيه ثم انزلت البطريق واصحابه وكان قد جا خاطبا
لها فبينا هو على ذلك اذ جاه من يخبره عن موضع فرسي واعلامهم علي
فهموا ان يهجموا علي فاقسمت ان هو تعرض لي لا ناله حاجته فامسك واقام
فاتلك ذلك اليوم ثم تزوج وخرجت فدعوت بفرسي فخرجت الى بغا لنا اني لا

امن ان يلحقني لك دعوة فذهب فابت عليها وركبت وقفوت اثرهم حتى لحقته
وشددت عليه فافرج عنه اصحابه فقتلته وطلبت اصحابه فهربوا عني واخذت
فرسه وسمطت راسه ورجعت الى الدير فالقيت الراس ودعوتها ومن معها من
نسائها وخدمها فوقفن بين يدي وامرتها بالرحلة ومن معها على دواب الدير
وسرت بهن الى العسكر حتى دفعت بهن الى الوالي فجعل نفلي منهن فسالت المراة
بعينها وسلمت سائر الغنيمة في المقسم واتخذتها فهي ام بني قال
ابو مروان وكان ابوها بطريقا من بطارقة الروم له شرف فيها ديه وكابة
وقال الوليد سمعت عبد الله بن راشد الخزاعي يخبر عمن سمعه من البطال
يخبر ان هشاما او غيره من خلفا بني امية كان قد استعمله على ثغر المصيصة
وما يليها وانه راث عليه خبر الروم فوجه سرية لتاتيه بالخبر فوجهوا
واجلهم اجلا الى سنة عشر الاجل قال فاشفقت من مصيبتهم ولائمة
الخليفة فخرجت متوحدا حتى اوغلت في الناحية التي امرتهم بها فلم اجد لهم
خبرا فعرفت انهم اخبروا الغفلة اهل الناحية الاخرى فتوجهوا اليها
وكرهت ان ارجع ولم استفقدهم مما هم فيه ان كان عدوا وكان نصرا واعرف
من خبرهم ما اسكن اليه فلم اجد احدا اخبرني بشي فمضيت حتى اقف
على باب عمورية فضربت بابها وقلت للبواب افتح لفلان رسول الملك ورسوله
وكنت اشبه به فاعلم ذلك صاحب عمورية فامر بفتح الباب ففعل وادخلني
فلما صرت الى بلاطها وقفت وامرت من يشتد بين يدي الى باب بطريقها ففعل
ووافقت باب البطريق قد فتح وجلس لي ونزلت عن فرسي وانا متلثم بعمامتي

فاذن لي ومضيت حتى جلست الى جانبه ثم جذب بي فقلت له اخرج من هنا الكلام
حيث لم يسمعه الملك فاخرجهم وغلق الباب وعاد الى مجلسه فاخترطت سيفي وضربت على
راسه ثم قلت له قد وقعت بهذا الموضع فاعطني عهدا حتى اهلك بما اريد ثم ارجع
من حيث جئت ولا ينبغي منك خلاف ففعل فقلت اما البطال فاصدقني عما
اسالك عنه وانصحني والا اتيت عليك فقال سل عما بدا لك فقلت السرية
فقال نعم وافت البلاد غارة لا يدفع اهلها بد لانهم لم يغلوا في البلاد وملاوا
ايديهم غنايم وهذا اخر خبر جاني انهم بوادي كذا فغمدت سيفي
وقلت ادع لي بطعام فدعا فاصبت منه ثم قمت فقال لمن حوله كونوا
معه حتى يخرج ففعلوا ثم قصدت السرية حتى اتيتها وخرجت بها وبما غنمت
فهذا من اعجب ما كان مني ثم قتل رحمه الله شهيدا في غزاة غزاها
وقتل معه خلق كثير من المسلمين وفيها يقول الشاعر

الم يبلغك من انبا جيش ثوى غودروا جثثا رماما
تعودهم حتوف لم يطيقوا لها دفعا هناك ولا احتشاما
معارك لم يقم فيها شجاع يلاذ من لبه الذماما
ولم يعمل على البطال عين هناك بغيره يسقى الهاما
عشية باشر الاهوال صبرا اخيل خرق الجيش اللهاما
اذا ما خيلة حملت عليهم تداعوا من مخافته انهزاما
فلا يبعد هنالك من شهيد فانك كنت للهيجا حساما

الباب السادس في مملكة مصر والشام والحجاز

هذه المماليك هي مملكة واحدة يقع معظم مصر في اوايل الثالث ومعظم
الشام في اواخره وحلب منه في الرابع وهي مملكة كبيرة واموالها كثيرة
وقاعدة الملك بها قلعة الجبل ثم دمشق وهي من اجل ممالك الارض
لما حوت من الجهات المعظمة والارض المقدسة والمساجد التي هي على
التقوى موسسة بها المساجد الثلثة التي لا تشد الرحال الا اليها وقبور
الانبيا صلوات الله عليهم والطور والنيل والفرات وهما من الجنة وبها
معدن الزمرد ولا نظير له في اقطار الارض وحسب مصر فخرا بما انفردت به
من هذا المعدن واستمداد ملوك الافاق لطلبها ٥ اخبرنا
العدل عبد الرحيم شاهد المعدن بما ذكر من احواله قال ان بينه وبين
قوص مسافة ثمانية ايام بالسير المعتدل المعتاد والنجاة تنزل حوله وقريبا
منه لاجل الغنا من حفن وحفظ وهذا المعدن هو في الجبل الاخذ على
شرقي النيل في مجرى قطعة عطبة من هذا الجبل تسمى قرشندة وليس
في الجبال التي هناك اعلا ولا اشرف منها وهو في منقطع من البر لا عمارة
عنده ولا حوله ولا قريبا منه وانما عنده على مسيرة نصف يوم منه اوازيد وهو
ما يحصل من المطر ويعرف بغدير اعين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته واما
هذا المعدن فهو في صدر مغارة طويلة في حجر ابيض منه يستخرج الزمرد
والحجر الابيض المذكور فيه ثلثة انواع احدها يقال له طلق كافوري والثاني
يقال طلق فضي والثالث يقال له حجر حزوي يضرب في هذه الحجارة
حتى يخرج الزمرد وهو كالعروق فيه والذي يخرج من اجود وانواع الزمرد

ملته الذهبي وهو افخرها ولكنه قليل بل اقل من القليل بل لا يكاد يوجد قال العدل
عبد الرحيم انه ما راه في مدة مباشرته ولا خرج منه شي في طول تلك المدة قال وهو
يستخرج في طول السنة مهما وجد من يعمل فيه قال وليس للمعلم فيه على محصوله
بل هم تارات بحسب الاهتمام وعدم الاهتمام باستخراج هذا المعدن قال واذا
استخرج الزمرد يلقى في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصير ذلك القطن في خرق
حام او ما يجري مجراه قال والاحتراز على هذا المعدن كثير جدا والفعلة
تفتش عند خروجهم منه في كل يوم حتى يفتش منهم اماكن لا يليق ذكرها هذا
ما اخبرني به ٥ وحدثني احد له معرفة بهذا المعدن واحواله ان من الفعلة
في هذا المعدن مع هذا الاحتراز الشديد لهم حيل كثيرة في سرقة الزمرد
منها ان الرجل منهم يسرق ما يمكنه من الزمرد ويجعله في كيس صغير يعد معه لذلك
ويربطه ثم يعلقه بخيط ابريسم مبروم مشدود فيه ويبلعه الى الدواخل ويكون
راس الخيط معقودا عقدا وثيقا فاذا علق الخيط اخرج تلك العقدة بين الضرسين
الى جهة الشفة ويبقى ناشبا به فاذا خرج الى ظاهر المعدن وصار الى حيث
يامن اخرجه واخذ ما فيه ٥ ومنها البلسان وهو ما هو ومتولي النظر اليه
نصراني على طلبه والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد وتزعم انه لا يتم
تنصير نصراني حتى يوضع شي من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه
فيها فاما ما حوته خزائن الملك وخراجها وعساكرها واجنادها
وما اوى اليها من الامم وسكنها من اصناف الخلايق وعرفت به
سلاطينها من حسن السياسة وقدم الرياسة فامر لا يخفى له خبر

ولا تغطى شمس على ذي بصر وقد تقدم في مواضع من هذا الكتاب وياتي في
مواضع اخرى منه ما يحقق ما قلته ولا يعتقد معتقد او يظن ظان اني
ملت في هذا الغرض لكوني من اهل هذه البلاد وتحت ظل ملوكها وربيت انا
واباي في نعم سلاطينها فمعاذ الله ان اقول الا الحق او اسطر غير الصحيح
لاسيما فيما تحدث به اهل جيل بعد جيل بل هذا اختصرت في القول
ومعاملتها الدراهم ثلثاها فضة والثلث نحاس والدرهم ثمانية عشر حبة
خروب الخروبة ثلث قمحات والمثقال اربعة وعشرون خروبة والدرهم
منها قيمته ثمانية واربعون فلسا والدينار الجيشي مسمى عندهم بلا عشرة
درهما وثلث درهم من العادة عندهم مسمى اربعون درهما سوداء الدرهم
منها ثلث درهم مما ذكر ولا يوجد بالديار المصرية من الدراهم السواد
الا المسميات لا الاعيان فاما الاسكندرية فانها يوجد بها
وهي كل اثنان بدرهم واما الكيل فيختلف فبمصر الاردب ست
ويبات الويبة اربعة ارباع الربع اربعة اقداح القدح مائتان و
اثنان وثلاثون درهما هذا اردب مصر وفي اريافها يختلف الاردب من هذا
المقدار الى ان ينتهي ما ينتهي ثمان ويبات واما المعهود المتعامل انما هو الاردب
المقدم ذكره والرطل هو اثنا عشر اوقية الاوقية اثنا عشر درهما فيكون الرطل
مائة واربعة واربعين درهما واما دمشق فهو بشطر المعامل المذكورة
خلا ان الصنجة متفاوتة فتنقص كل مائة مثقال ثمانية مثاقيل وربعا بمصر
وكذلك الدراهم والرطل اثنا عشر اوقية الاوقية خمسون درهما

فيكون الرطل ستمائة درهم والغرارة المغلات ولهي اثنا عشر كيلا كل كيل ستة امداد
المد تنقص قليلا عن الربع المصري ونسبة ما بين الغرارة والاردب ان كل غرارة
ومد ونصف ثلثة ارادب بالمصري تحريرا وفي بلد دمشق ربما زاد الرطل والغرارة
على الدمشقي حتى يكثر تفاوت ما بينهما لعظم زيادة لبعض المواضع لكن
كيل دمشق ورطلها هو المعتبر واليه المرجع واما حلب وحماه وحمص فارطالها
ازيد من الدمشقي ولا تعرف الغراير وانما تعرف المكاكيك وتختلف زيادة
بعضها على بعض فمنها ما هو بعدل الغرارة مكوكان ونصف وما بين ذلك
كل ذلك تقريبا فاما مصر فمزروعها على النيل بعد زيادته وعمومه
البلاد سوى قليل لا يعتبر به في بلادها مما يزرع على المطر كاطراف
البحيرة وما يزرع على الانهر كالفيوم وما هو من البحر المنتهي اليوسفي
المشتق من النيل لا ينقطع جريه ابدا على ما هو معروف من امره
واكثر محاسن مصر مجلوبة اليها حتى بالغ بعضهم وقال ان العناصر الاربع
مجلوبة اليها الماء وهو النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حمل الماء
والا فهي رمل محض لا ينبت الزرع والنار لا توجد بها شجرة وهو الصواب
الا اذا جلب اليها والهوى لا يهب بها الا من احد البحرين اما الرومي واما الخارج
من القلزم اليها ولقد زاد هذا في تحامله وهي كثيرة الحبوب
من القمح والشعير والفول والحمص والعدس والبسلة واللوبيا والدخن والارز
وبها الرياحين الكثيرة كالحبق والاس والورد والنيلوفر والنسرين
والبان والفاغية والحنا والمنثور والياسمين وبها الاترج والنارنج والليمون

والحماض الكباد والموز الكثير وقصب السكر الكثير والرطب والعنب والتين
والرمان والتوت والفرصاد والخوخ واللوز والمشمش والنبق والبرقوق
والقراصيا والتفاح واما السفرجل والكمثرى فقليل وكذلك الزيتون
مجلوب الا قليل في الفيوم لا اعتبار به ولا من الجوز الا ما قل جدا ولا يوجد بها
الفستق ولا البندق وبها البطيخ الاصفر انواع والاخضر والخيار والقثا على انواع
والقلقاس واللفت والجزر والقنبيط والفجل والبقول المنوعة وبها انواع
الدواب من الخيل والجمال والبغال والحمار والبقر والجواميس والغنم والمعز
ومما يوصف من دوابها بالجودة الحمير لفراهتها والبقر والغنم لعظمها وبها
الاوز والدجاج والحمام ومن الوحش الغزلان والنعام والارنب فاما من انواع
الطير فكثير كالكركي والاوز وغير ذلك واوسط الاسعار في غالب الاوقات
الاردب القمح بخمسة عشر درهما والشعير بعشرة وبقية الحبوب على هذا الانموذج
واما الارز فيبلغ اكثر من ذلك واما اللحم فاقل سعر الرطل نصف درهم وفي
الغالب اربع والدجاج يختلف سعره بحسب اختلاف احواله فجيد الطاير بدرهمين
ومنها ما هو بثلثه وقد يزيد ومنها ما هو بدرهم واحد ويعمل بمصر معامل كالتنانير
ويعمل بها البيض بصنعة وتوقد بحاكي بها نار الطبيعة في حضانة الدجاجة البيض
ويخرج في تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاجهم وبها ما يستطاب من الالبان
والاجبان وبها العسل بمقدار متوسط بين الكثرة والقلة واما السكر
فكثير جدا وقيمته المعهودة منه على الغالب من السعر الرطل بدرهم ونصف
وربما زاد ويعمل بها السكر الفائق وتبلغ قيمته درهمين ونصف لكل رطل

ومنها حلب السكر على اختلاف انواعه الى كثير من البلاد وقد نسي بها ما
كان يذكر من سكر الاهواز وبها الكتان المعدوم المثل
المنقول منه ومما يعمل من قماشه الى اقطار البلاد ولقد اراني خواجا
جمال الدين يوسف الماحوزي مقاطع شربا ابيض من الصنف المرش
استعملها بالاسكندرية على انه يقدمها للسلطان ابي سعيد كانها جناح
الزنبور لا اظن انه يعادلها في الدنيا قماش قال انه استعملها ويقوم عليه
كل مقطع منها ساذجا بسبعمائة درهم ورقا ويقوم طرزه وهو ساذج
بمثل ذلك فيقوم جملة المقطع الواحد بالف واربعمائة درهم ورقا عنها
سبعمائة درهم نقرة ليس قيمة الا الكتان وما قل من الحرير في طرزه
على انه لا يكون غالب الطرز الا من الكتان فان الابيض فيه لا يكون
من الحرير ابدا ومنه يكون الكتان وهي حل الطراز وقال لي ان الكتان
يباع الدرهم منه باكثر منه واما ما يدخل في الطرز فيباع بنظيره مرات على
قلت وهذا الشرب هو الذي يعرف به الاسكندرية البلاد اكثر
من بقية ما يعمل فيها من القماش على اختلاف اجناسه وانواعه ثم نعود
الى ذكر مصر فنقول واما مبانيها فقليل منها بالحجر واكثرها بالطوب
والاملاء النخل والجريد وخشب الصنوبر مجلوب اليهم من بلاد الروم في البحر ويسمى
عندهم النقي وبها المدارس والخوانق والربط والزوايا والترب الضخمة
والعمائر الجليلة العظيمة والاماكن المعدومة المثل المفروشة بالرخام
المنقوشة بالاخشاب المدهونة بانواع الاصباغ الملمعة بالذهب واللازورد

ومن حيطانها ما هو مؤزر بالرخام وتختلف المباني بحسب اختلاف اصحابها
وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام مصر الفسطاط وهو بنا
عمرو بن العاص وهي المسماه عند عامة اهل مصر مصر العتيقة والقاهرة
المعزية بناها القائد جوهر لمولاه الخليفة المعز بن القائم بن المهدي ابو المنصور ح
وقلعة الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين ابي المظفر
يوسف بن ايوب رحمه الله تعالى واول من سكنها اخوه العادل
وقد اتصل بعض هذه الثلاثة ببعض بسور ما بناه قراقوش بها الا
انه قد تقطع الان في بعض الاماكن ٥ وهذا السور هو الذي ذكره
الفاضل في كتاب كتبه الى صلاح الدين فقال والله يحيي المولى
حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فهما عقيلة ما كان
معصمهما ليترك بغير سوار ولا خصرهما ليتخلى بلا منطقة نضار
والان قد استقرت خواطر الناس وامنوا به من يد تتخطف ومن طمع
مجرم يتقدم ولا يتوقف وقد عطلت وبها المارستان المنصوري المعدوم
النظير لعظمة بنائه وكثرة اوقافه وسعة انفاقه وتنوع الاطباء
واهل الكحل والجراح به وهو جليل المقدار جميل الاثار جزيل
الايثار وقفه السلطان الملك المنصور قلاوون رحمه الله وبها البساتين
الحسان والمناظر النزهة والادور المطلة على البحر وعلى الخلجانات
الممتدة فيه اوقات بحرها وبها القرافة تربة عظمى لمدفن اهلها
وبها العمائر الضخمة ولها المتنزهات المستطابة وهي من احسن

السلاد التي ربيعها للعذار الممتدة من مقطعات النيل بها وما يحفها
من زروع احرجت شطاها وفتقت ازهارها وبها الاثار العظيمة الدالة
على حكمة بانيها كالاهرام واشهرها الهرمان الكبيران بالجيزة
وبرابي اخميم فاما بقية ما يذكر من البرابي والملاعب بالاشمونين
وانصنا وقفط وعين شمس ومنارة الاسكندرية والبيت الاخضر
بمصر بيت يوسف عليه السلام فكل هذه قد غيرته الدهور معالمها
وطمست اثار غالبها وشرع الخراب بالهرمين الكبيرين والبرابي باخميم
لاخذ حجارتها وتغيير هيئتها وبها الصنم المقارب للهرمين المسمى عند
العامة بابي الهول وهو صنم كبير لا يبين منه الا الى قريب من نصفه
والقول في الاهرام والبرابي كثير والاقرب ان الاهرام هياكل لبعض
الكواكب فاما البرابي فقال لي الحكيم شمس الدين ابو عبد الله
محمد بن سقير الدمشقي انه راها واجاد تاملها فوجدها مشتملة على
جميع اشكال الفلك وان الذي ظهر له انه لم يعملها حكيم واحد ولا ملك
واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة
وثلثون الف سنة لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا برصد وما يكمل
رصد المجموع في اقل من هذه المدة المذكورة ۞ هذا ما اخبرني به عنها
وكتب القاضي محيي الدين بن الزكي الى القاضي الفاضل ۞ يذكر
فتح مصر وسماها بالمومسة فعز ذلك عليه وذكر في جوابه
البيت وهجم بي التامل على لفظة اطلقها على مصر وكنى بها عنها

ووصمها بما وسمها وبت من القلوب عصمها واطنه عاقبها بذنب فرعون
حين قال انا ربكم الاعلى وحين قال اليس لي ملك مصر كما فعل الرشيد وولى الخصيب
فان كان الجرم ها هنا ذهب فقد عاقبها بذنب لم تجنه وهدمها بامر لم تبنه
وعلى كل حال فلو كان على نفسي لكنت معه عليها ولو بعثت سهما اليها
لتولت بي الغاية اليها فلقد اخرجني من ارض بسحره وندم خادمه
على ما فات فيها من عمره فهو الان لا يرفع اليها طرفا من كسله ولا
يرى سيلها الا اقل من مسيل بردا وشله واذا راى دينارها الاحمر قال
به حمرة من خجله واذا راى النيل الازرق قال من سواد عمله
واذا راى هرميها قال انكسر نهداها واذا راى رمليتها الجافة قال
شاب فوداها ثم راجع النظر في ذا اللفظ التي اطلقها سيدنا عليها
وهي المومسة بالي العلقة فكيف لا ان تقذف المستورة بهذا القذف ويهجم على
حدودها بهذا الوصف وقد وفد اليها عن شامه حين اخذ الكفر بمخنق اسلامه
فالحدائة واصحبته وسكنت الروع وافرخته وعاد الى الغايب الدرك
وقال الناس لم هذا البشر ان هذا الاملاك واذا كانت دمشق من عقيا مصر
فلا يجوز لها ان تكون مولاتها مومسة وقد سترت هذه اللفظ فما كانها خلت
۞ به ولا نجلسه ملس واما الشام فيزدرع غالبه على
المطر وهو من جميع ما ذكر في مصر من الحبوب ومنه ما هو على سقي
الانهار والمطل وبها انواع الاشجار واجناس الثمار من التين والعنب
والرمان والسفرجل والتفاح والكمثرى والاجاص والقراصيا والتوت

والعوصاد والسمسم والزعرور والخوخ وهو المسمى عندهم الدراقن واجلها
بدمشق من غالب ذلك على انواع متنوعة واجناس متعددة شتى ومنها
ما كه تاتي في الخريف وتبقى الى الربيع كالسفرجل والتفاح والرمان
والعنب وبها الجوز واللوز والفستق والبندق وبها الليمون والاترج والنارنج
والكباد والموز وقصب السكر من اغوارها تحمل اليها من نحو يومين وازيد
وبها البطيخ الاصفر والاخضر على انواع والخيار والقثا واليقطين
واللفت والجزر والقنبيط والهليون والباذنجان والملوخيه والبقله اليمانيه
والرجله وغير ذلك من انواع الخضراوات الماكوله ونهر دمشق
الخاص بها بردا وبها غير من المنابع والانهار المارة فيما حولها وبها
الاوز والدجاج والحمام وكثير من انواع الطير ولا تكون الفراريج
الا بالحضان لا كما يعمل في مصر ولقد ذكر انه جاءها شخص من مصر في زمن
المصيف وعمل بها في حاضرة العقيبة معمل الفراريج وطلعت به الفراريج
فلما اتى زمن الخريف لم تطلع معه شيء وترك ذلك وعاد الى مصر
واسعار اللحم ارخص من مصر واما الدجاج فنظيرها واما الاوز فاعلى
وبها العسل متوسط ويعمل بها السكر ومنه المكرر وهو بازيد من سعره
بمصر ولا يكثر وبها انواع الرياحين الاس والورد والبنفسج والنيلوفر
والخلاف والنرجس والمنثور والياسمين والريحان والمرزنجوش
والنمام والنسرين والى وردها وبنفسجها النهاية حتى انه عطر وردها
وما يستخرج من مائه ما كان يذكر من جور ونصيبين وما الورد ...

الى غالب البلاد وبالشام الزيتون الكثير ومنه يحمل الى كثير من البلاد
وبها اشياء كثيرة خاصة بها وغالب مباني الشام بالحجر ودورها
اصغر مقادير من دور مصر ولكنها ازيد زخرفة منها وان كان الرخام
بها اقل وانما هو احسن انواعا وعناية اهل دمشق بالمباني كثيرة
ولهم في بساتينهم منها ما يتوفق به ويحسن اوضاعه وان كانت حلب
اجل بناء لعنايتهم بالحجر فدمشق ازين واكثر رونقا لتحكم الماء على مدينتها
وتسلطه على جميع نواحيها وجميع الشام مشحون بالخير كثير من المدارس
والخوانق والربط والزوايا للرجال والنساء والمارستانات واوقاف البر
والصدقات على اختلافها وخصوصا دمشق فانه لا يطاول في ذلك باعها
ولا يحاول في هذه الغاية ارتفاعها فاما مسجدها الجامع فهو الفارق
بينها وبين ما سواها والغاية بحسنه على كل المباني وفي هذه
المملكة مصر والشام من محاسن الاشياء ولطائف الصنائع ما تكفي شهرته
وبها من انواع الصناع في الاسلحة والقماش والزركش والمصوغ والكفت
وغير ذلك مما يكاد يعد تفردها به والزجاج الذي لا يعمل في الدنيا
احسن منه ۵ واما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان
ومنهم من فرق في اقطار هذه المملكة وبلادها ومنهم سكان بادية كالعرب
والتركمان وجندها مختلط من اتراك وجركس وروم واكراد
وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات
اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة الف فارس ومن هذا القبيل

يكون اكابر النواب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين
ثم امرا الطبلخانات ومعظمهم من تكون له امرة اربعين فارسا وقد يوجد
فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ولا تكون الطبلخانات لاقل من اربعين
ثم امرا العشرات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون
فارسا ولا يعد الا في امرا العشرات ثم جند الحلقة ومقدموها تكون
مناشيرهم من السلطان كما ان مناشير الامرا من السلطان واما اجناد
الامرا فمناشيرهم من امرائهم ولمقدم جند الحلقة لكل اربعين
نفرا مقدم منهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرج العسكر كانت مواقفهم
معه وترتيبهم في موقفهم اليه وتبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر
الامرا المئين المقدمين من السلطان ما يناهز مايتي الف دينار جيشية وربما زادت
على ذلك ولغيرهم دون ذلك ودون دونه ودون دونه الى ثمانين
الف دينار وما حولها واما الطبلخانات فتبلغ الثلثين الف دينار وما يزيد
وينقص عليها الى بضعة وعشرين الف دينار واما العشرات فنهايتها سبعة الاف
دينار الى ما دون ذلك واما اقطاعات جند الحلقة فمنه ما يبلغ الف وخمس
مائة دينار ومن هذا المقدار وما حوله اقطاعات اعيان الحلقة المقدمين
عليهم ثم ما دون ذلك الى ما ستين وخمس دينارا واما اقطاعات
جند الامرا فالى ما يراه الامير من زيادة بعضهم ونقص
واما اقطاعات الشام فلا تقارب هذا المقدار بل تكون على
الثلثين منها خلا ما ذكرناه عن بعض اكابر امرا المئين المقدمين

فان هذا نادر لا حكم له ولا اعرف في الشام ما يقارب هذا المقدار الا ما هو
لنايب الشام وكل جند الامرا تعرض بديوان جيش السلطان وتثبت
باسمه وحليته ثم لا يستبدل به احد الا اذا شا الاستبدال عوضه وعرض العوض
وللامرا على السلطان في كل سنة ملابس فاما من بحضرته فحظهم في
ذلك وافر ولهم الخيول في كل سنة ينعم بها عليهم ولامرا المئين منها مسرجة
ملجمة والبقية عري ومن له خاص منهم على عادتهم بذلك والجميع
الامرا خصوصا من المئين والطبلخانات والعشرات الرواتب الجارية في
كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير والزيت ولبعضهم
الشمع والسكر والكسوة في السنة وكذلك لجميع مماليك السلطان
وذوي الوظايف من الجند واذا انشا لاحد الامرا ولد اطلق له دنانير ولحم
وخبز وعليق الى ان يتاهل الاقطاع في جملة الحلقة ثم منهم من ينتقل
الى الخاصكية او الى الطبلخانات على حسب الحظوظ والارزاق واذا ركب
هذا السلطان الى الميدان للعب الكرة يفرق حوايص ذهب على
المقدمين وركوبه الى الميدان يكون دايما يوم السبت في قوة
الحر نحو شهرين من السنة يفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة فمنهم
من تجي نوبته بعد ثلث سنين او اربع سنين ولكل ذي امرة بمصر
من خواصه عليه السكر والحلوا في رمضان والاضحية في عيد الاضحى
على مقادير رتبهم والبرسيم لتربيع دوابهم ويكون في تلك
المدة بلا العليق المرتب لهم ومن مصطلح صاحب مصر ان تكون

تفرقته الخيل على امرائه في وقتين احدهما عندما تخرج الى مرابط
خيله في الربيع عند الكمال تربيعها وفي ذلك الوقت يعطي امرا المئين
منها مسرجة ملجمة بكنابيش مذهبة والطبلخانات عريا وعند لعبه بالكرة
في الميدان وفي ذلك الوقت يعطي الجميع مسرجة ملجمة بلا كنابيش
بفضة خفيفة وليس للعشرات حظ في ذلك الا ما يتفقدهم به على
سبيل الانعام وللخاصة المقربين من الامرا المئين والطبلخانات زيادات
كثيرة في ذلك بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس في السنة
وللسلطان اوقات اخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه وربما اعطى بعض
مقدمي الحلقة وقاعدته انه كل من نفق له من مماليكه فرس يحضر
من لحمه والشهادة بانه نفق ويعطيه فرسا عوضه ٥ واما
امرا الشام فلا حظ لاحد منهم في اكثر من فرس واحد للسير في
وقت الشتا الا من يعرض لقصد السلطان فيحسن اليه وللخاصة
المقربين انواع من الانعامات كالعقار والابنية الضخمة التي
ربما انفق على بعضها اربعين مائة الف دينار وكساوي القماش
المنوع وفي اسفارهم في اوقات خروجهم الى الصيد وغيرها العلوفات
والانزال ٥ ومن عادة هذا السلطان الخروج الى الصيد
مرات في السنة فاذا خرج انعم على اكابر امرا المئين ولا اعني المقربين
بل اكابرهم قدرا وسنا كل واحد منهم بالف مثقال ذهبا
ويزودون خاص مسرج ملجم وكنبوش مذهب ٥ ومن عادته

انه اذا امر في متصيد انه باقطاع امير كبير قدم له من الغنم والاوز والدجاج
وقصب السكر والشعير ما يشهد هممهم ميله اليه فيقبل منه ويخلع عليه
خلعة كاملة وربما امر لبعضهم بمبلغ من المال ومن شعار سلطنة هذه
المملكة ان يركب سلطانها في يوم دخوله الى مدينته محلها ويوم العيد
وايام ركوبه الى الميدان للعب الكرة برقبة وهي بزركش ذهب
على اطلس اصفر تحمل على رقبة الفرس من تحت اذنيه الى نهاية العرف
ويكون قدامه اثنان من الوشاقية راكبان على حصانين اشهبين
برقبتين نظير ما هو راكب به كانهما معدان لان يركبهما وعلى
الوشاقية المذكورين قباوان صفران من حرير بطرازين من زركش
بالذهب وعلى رأسيهما قبعان من زركشان وغاشية السرج
محمولة امامه وهي اديم مزركش بذهب يحملها بعض الركابدارية قدامه
وهو ماش في وسط الموكب ويكون قدامه فارس لشبابة يشبب بشبابه
لا يقصد بنغمها الاطراب بل انما يقرع بالمهابة سامعه ومن خلفه الجنائب
وعلى راسه العصائب السلطانية وهي صفر مطرزة بذهب بالقابه
واسمه وفي يوم العيدين ودخول المدينة يزيد على ذلك برفع المظلة
على راسه وهي الجتر وهو طلبار صفر مزركش على اعلاه قبة
وطائر من فضة مذهبة يحملها يومئذ بعض امرا المئين الاكابر
وهو راكب فرسه الى جانبه وارباب الوظائف والسلاح كلهم
خلفه وحوله وامامه الطبردارية وهم طائفة من الاكراد ذوي الاقطاعات

والامن يكونون مشاه وبايديهم الاطبار مشهورة ومن رسم الامرا ان
يركب الامير منهم جنيب بركب وخلفه جنيب واما اكابرهم فربما
ركب بجنيبين هذا في المدن والحاضرة وهكذا في البر ويكون لكل
منهم طلب مشتمل على اكثر مماليكه وقدامهم خزانة محمولة للطبلخانات
على جمل واحد يحدوه راكب اخر على جمل والمال على جملين
وربما زاد بعضهم على ذلك وامام الخزانة عدة جنائب تجر على ايدي
مماليك ركاب خيل وهجن وركابها من العرب على هجن وامامها
الهجن باكوارها محنوبه للطبلخانات قطار واحد وهو اربعة ومركوب
الهجان والمال قطاران وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب في كثرتها
وقلتها الى راي الامير وسعة نفسه والجنائب على ما نراه منها ما هو مسرج
ملجم ومنها ما هو بعباءة لا غير واهل هذه المملكة يتنافسون بعضهم بعضا
في الملابس الفاخرة والسروج المحلاة والعدد الفاخرة واما
زيهم فالاقبية التترية والتكلاوات فوقها ثم القباء الاسلامي
فوقها وعليه تشد المنطقة والسيف ثم الامرا والمقدمون واعيان
الجند يلبسون فوقها اقبية قصيرة الاكمام اقصر من القباء التحتاني
بلا تفاوت كثير في قصر الكم والطول وكلوتات صغار غالبها
من الصوف الملطي الاحمر وعليها عمايم صغار ومهاميز على الاخفاف
ويعلقون المنديل في الحياصة على الصولق من الجانب الايمن هذا هو زي
اهل هذه المملكة ومعظم حوايصهم الفضة ومنهم من يعملها من الذهب

وربما عملت بالنيشم ولا ترصع بالجواهر الا في خلع السلطان لاكابر
المئين ومعظمهم يلبس المطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب
او يلبس المطرز الا من له اقطاع في الحلقة واما من هو بعد بالجامكية
فانه لا يتعاطى ذلك وعلى الجملة فزيهم ظريف وعددهم فائقة
نفيسة وملبوسهم متنوع من الكمخا والخطاى والكنجي والمخمل
والاسكندراني والشرب والمصاني والاصواف

ذكر هيئته في جلوسه للمظالم

عادة هذا السلطان ان يجلس بكرة الاثنين ما كان بالقلعة خلا شهر
رمضان فانه لا يجلس فيه هذا المجلس ومجلسه هذا هو في ايوان
بظاهر قصره فسيح من بابه وهو ايوان متسع على عمد من نفع
السمك امامه رحبة فسيحة يسمى هذا الايوان دار العدل
وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالبا
فاذا قعد للمظالم كان جلوسه على كرسي اذا قعد عليه تكاد
تلحق الارض رجله وهو منصوب الى جانب المنبر الذي هو تحت
الملك ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الاربعة
ثم الوكيل عن بيت المال ثم الناظر في الحسبة ويجلس على
يساره كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكملة
حلقة دائرة وان كان ثم وزير من ارباب الاقلام كان بينه وبين كاتب
السر وان كان الوزير من ارباب السيوف كان واقفا على بعد

مع بقية ارباب الوظائف وكذلك اركان ثم نائب يقف مع ارباب
الوظائف ويقف من ورا السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاح داريه
والجمداريه والخاصكيه ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعا من يمينه
ويسرته ذوو السن من اكابر امرا المئين وهم امرا المشورة ٥
ويليهم من اسفل منهم اكابر الامرا وارباب الوظائف ووقوف بقية
الامرا وقوف من ورا امرا المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة
بالسلطان الحجاب والدواداريه لاحضار قصص الناس واحضار المساكين
ويقرا عليه بها ما يحتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيه وما كان
متعلقا بالعسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه ويامر
في البقية بما يراه ٥

ذكر هيئته في بقية الايام

عادة هذا السلطان في الاثنين ما تقدم ذكره وكذلك في يوم
الخميس على مثل هذه الهيئة ايضا الا انه لا يتصدى فيه لسماع القصص
ولا يحضر احد من القضاة وكاتب الجيش والموقعين الا ان
عرضت حاجة الى طلب احد منهم وهذا القعود عادته في طول
السنة ما دام انه بالقلعة في الاثنين والخميس غير رمضان ايضا واما بقية
الايام فانه يخرج من قصوره الجوانية الى قصر الكبير الى
وهو شباك مطل على اصطبلاته وفي صدره تخت الملك
المختص فيقعد تارة عليه وتارة يقعد دونه على الارض والامرا

وقوف على ما تقدم خلا امرا المشورة والغربا منهم فانه ليس لهم عادة
بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الكبار الا من دعت الحاجة
الى حضوره ثم يقوم في الثالثة من النهار يدخل الى قصوره الجوانية ثم
الى دار حرمه ونسائه ثم يخرج في اخريات النهار الى قصوره الجوانية
لمصالح ملكه ويعبر عليه اليها خاصته من ارباب الوظائف في الاشغال
المتعلقة به على ما تدعو الحاجة اليه ٥

ذكر هيئته في الاسفار

قد تقدم ذكر هيئته في الاعياد وايام الموادين فاما في الاسفار
فانه لا يتكلف اظهار كل ذلك الشعار بل يكون الشعار
في موكبه السائر فيه جمهور مماليكه مع المقدم عليهم واستادار
وامامهم الخزائن والجنائب والهجن واما هو بنفسه فانه يركب
وبعده عدة كثيرة من الامرا الكبار والصغار من الغربا والخواص
ونخبة من خواص مماليكه ولا يركب في السير برقبته والعصائب
بل يتبعه جنائب خلفه ويقصد في الغالب تاخير النزول الى الليل
فاذا جاء حملت قدامه فوانيس كثيرة ومشاعل فاذا قارب
مخيمه تلقى بشموع موكبية في شمعدانات كفت وصاحب الجاووشية
بين يديه فترجلت الناس كافة الا حملة السلاح ووراءه
والوشاقية وراه ومشى الطبردارية حوله حتى يدخل الدهليز
الاول ثم ينزل ويدخل الى الشقة وهي خيمة مستديرة متسعة

ثم يمشي بها الى شقة مختصرة ثم الى الاجوق ومدار كل خيمة من جميع
جوانبها من داخل سور خركاه وفي صدر ذلك الاجوق
قصر صغير من الخشب ينصب له للمبيت فيه وينصب بازاء الشقة
الحمام بالقدور الرصاص والحوض على هيئة الحمام المبني في المدن الا
انه مختصر فاذا نام طافت به المماليك دائرة بعد دائرة وطاف الجميع
الحرس ويدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة مرتين الاولى
عند ما ياوي الى النوم والثانية عند قعوده من النوم كل زفة يدور بها
امير جاندار وهو من اكابر الامرا وحوله الفوانيس والمشاعل والطبول
والبيابة وينام على باب الدهليز النقبا وارباب النوب من الخدم
ويصحب هذا السلطان في اسفاره من غالب ما تدعو الحاجة
اليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من
الاطبا وارباب الكحل والجراح والاشربة والعقاقير وما يجري مجرى
ذلك وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف من
الشراب خاناه او الدواخاناه المحمولين في الصحبة ومن عادة هذا
السلطان مد السماط طرفي النهار في كل يوم لعامة الامرا
خلا البرانيين وقليل ما هم واما بكرة فيمد سماط اول
لا ياكل منه السلطان ثم ثاني بعده يسمى الخاص فربما اكل
منه السلطان وقد لا ياكل ثم ثالث بعده ويسمى الطاري
ومنه ماكول السلطان ٥ واما في اخريات النهار فيمد سماطان

الاول والثاني المسمى بالخاص ثم ان استدعى بطاري حضر والا
فلا خلا المشوي فانه ليس له عادة محفوظة النظام بل يقدم على
حسب ما يامر به وفي كل هذه الاسمطة يؤكل ويفرق نوالات
ويسقى بعدها الاقسما المعمولة من السكر والافاويه المطيبة
بما الورد المبردة ومن عادة هذا السلطان ان يبيت قريب مبيته
في كل ليلة اطباق فيها انواع من المطجنات والبوارد والقطر
والقشطة والجبن المقلي والموز والكماخ واطباق
فيها من الاقسما والما المبرد يتسمر ارباب النوبة في السهر حوله ليتشاغلوا
بالماكول والمشروب عن النوم والليل مقسوم بالنوبة تسهر على
الساعات الرمل فاذا انتهت نوبة تنبهت التي تليها ثم ذهبت هي
فنامت الى الصبح هاكذا ابدا سفرا وحضرا ويبيت في المبيت
المصاحف الكريمة لقراءة من يقرا منهم ويبيت الشطرنج ليتشاغل
به عن النوم وهذا السلطان يخرج ايام الجمع الى الجامع المجاور
لقصره في القلعة ومعه خاصة الامرا ويجي بقية الامرا من باب
اخر للجامع واما السلطان فيصلي عن يمين المحراب في مقصورة
خاصة به ويجلس عنده اكابر خاصته ويصلي معه الامرا خاصتهم
وعامتهم خارج المقصورة عن يمينها ويسرتها على مراتبهم فاذا
سمع الخطبة وصلى صلوة الجمعة دخل الى مقصورة وذور خدمة
حرمه ويتفرق الناس كل واحد الى مكانه ٥

ذكر انتهاء الاخبار اليه

عادة هذا السلطان ان يطالعه نوابه في مملكته بما يتجدد عندهم من مهمات
الامور او ما قاربها ويأخذوا امره ويعودوا اجوبته عليهم بما يراه وبين حضرة
السلطان وجميع بلاد ممالكه مراكز بين المركز والمركز اميال في كل
مركز عدة خيل بريد وللسلطان من الجند اناس بريدية في حضرته
وفي كل بلد لحمل الكتب والعود باجوبتها فاذا ورد بريدي بلد من
بلاد مملكته او عاد الجهة من باب الحصن امير جاندار وهو من امراء
المئين والدوادار وكاتب السر بين يديه فيقبل الارض ثم ياخذ
الدوادار الكتاب فيمسح به وجه البريدي ثم يناوله السلطان
فيفتحه ويجلس كاتب السر فيقراه عليه ويأمر فيه بامره ٥
ومما ينهى اليه من الاخبار ما يكتب في ورق خفيف صغير ويحمل
على الحمام الازرق وللحمام مراكز كل مركز منها بلصق مركز من مراكز
خيل البريد او ازيد لا يتعدى الحمام ذلك المركز ولا يمكنه تجاوزه
فاذا حمل الكتاب جلوه بنوع معروف ليعرف فلا يعارض ثم يسرح
فاذا وصل الى المركز المعد له اخذ عنه ونقل على حمام غيره
من ذلك المركز من مكان الى حضرة السلطان
ومن عادة هذه المملكة ان ولاة امور المدينة وهم اصحاب
الشرط يستعلم متجددات ولاياتهم في كل نهار ومن هم على
الحادث من قبلهم ثم يكتب متولي الشرطة مطالعة جامعة لما

يبعث اليه من ذلك ويحمل الى السلطان هذه المتجددات ما
يقع من قتل نفع او حريق كبير او يجري مجرى ذلك فاما يتبع الناس
في احوال انفسهم فلا ٥ فصل ومن عوائد
جيوش هذه الممالك الركوب في يومي الاثنين والخميس في الموكب
وهو مكان فسيح يكون لكل مدينة بها عسكر فيسيرون به
ثم تعقب العسكر مع نايب السلطان او الحاجب ان لم يكن ثم نايب
وينادي على الخيل بينهم وربما نودي على كثير من آلات الجند والخيم
والخركاوات والاسلحة وربما نودي على كثير من العقار ثم
ان كانوا بمصر طلعوا الى الخدمة السلطانية بالقلعة على ما قد مر ذكره
والاذن لهم في الانصراف بعد اكل السماط وان كانوا في غير مصر
من نواب في خدمة النايب الى مكان سكنه وهو دار السلطنة
ويجلس النايب ويقرا عليه القصص وينصف بين المظلومين ويمد
السماط ويأكل عامة الامرا والجند ثم ينصرفون وتزداد عساكر
الشام بركوب يوم السبت على هذين اليومين والنواب
تقعد لقراءة القصص الاثنين والخميس والسبت وربما قعدوا
طرفي النهار في هذه الايام لذلك ٥ ومن عادة هذا
السلطان انه يكتب خطه على كل ما يامر واما مناشير الامرا
والجند ٥ وكل من له اقطاع فانه يكتب عليه علامته وعلامة
السلطان القايم الان السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا

والدين ابي المعالي محمد بن الملك المنصور قلاوون خلد الله دولته
الى اسفل واما التقاليد النواب وتواقيع ارباب المناصب من القضاة
والوزراء والكتاب وبقية ارباب الوظايف وتوقيع الرواتب والاطلاقات
فانه يكتب عليها اسمه واسم ابيه صورته محمد بن قلاوون ه
واما كتب البريد وخلاص الحقوق والظلامات فانه يكتب
عليها ايضا اسمه وربما كتب من يكتب الشبه فاما من كرمه
من ذوي العمايم المدورة من القضاة والوزراء كتب اخاه بدلا من
والده فاما الاقطاعات فالرسم فيها ان يقال خرج الامر الشريف
واما الوظايف والرواتب والاطلاقات فالرسم فيهما ان يقال رسم بالامر
الشريف وليس بموضع استيعاب اوضاع المكاتبات ولو اخذنا
في هذا لطال ولاكنا نذكر نبذة تتعلق بالمناشير
والتقاليد والتواقيع اذ كانت هي الاصل لجريان الارزاق
بها فاعلاها ما افتتح خطبة الحمد لله ثم ما افتتح خطبة اولها
اما بعد حمد الله حتى يأتي على خرج الامر في المناشير او رسم
بالامر في التواقيع ثم بعد هذا انزل الرتب وهو ان يفتتح
في المناشير خرج الامر وفي التوقيع رسم بالامر وتمتاز المناشير
المفتتح فيها خطبة الحمد لله بطغرا بالسواد تتضمن اسم السلطان
والقابه ه ومن عادة هذا السلطان في الاقطاعات للجند
ان يتولى بنفسه استخدامهم فاذا وقف قدامه من يطلب الاقطاع

المحلول ووقع اختيار على واحد امر كاتب الجيش بالكتابة له
فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال مضمونها خبز فلان كذا
ثم يكتب توقيع رسم المستحق له ويناوله السلطان ويكتب
عليه بخط يده يكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض
ثم يعاد الى ديوان الجيش فتنشأ شاهدا عندهم ثم يكتب
مربعة مكملة بخطوط جميع الديوان الاقطاع وهم ديوان الجيش
وعلاماتهم ثم يرجع عليها خط السلطان ثم تحمل الى ديوان الانشا
والمكاتبات فتكتب المناشير ثم يعلم السلطان عليها علامة على
ما تقدم ذكره ثم يكمل ذلك المنشور بخطوط ديوان الاقطاع
بعد المقابلة على صحة اصله فاما الاستخدام في البلاد النائية فليس
للنواب مدخل في تأمير امير عوض امير مات بل اذا مات امير سوا
كان كبيرا او صغيرا طولع السلطان بموته فامر من اراد عوضه
اما ممن في حضرته ويخرجه الى مكان الخدمة او ممن في مكان الخدمة
او نقل البين بالاحر على ما يراه في ذلك ه فاما اجناد الحلقة
فاذا مات احدهم استخدم النائب عوضه وكتب على نحو من ترتيب السلطان
المثال ثم المربعة وجهز المربعة مع البريد الى حضرة السلطان فقابل
عليها في ديوان الاقطاع ثم ان امضاها السلطان كتب عليها يكتب
فلو فيكتب بها مربعة من ديوان الاقطاع ثم يكتب عليها من

ديوان الانشا كما تقدم في الجند الذين بالحضرة وان كان ما يمضيها السلطان
اخرجها لمن يرى ثم تكون بحكم الكتابة به حكمها القلم ومن مات من
الامرا والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق
ثم اما يرتجع سهم او يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم ولاقطاعات
الامرا والجند منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شا ومنها ما هو
نقد على جهات يتناولها منها فاما الرواتب ذوي الاقلام فانها مشاهرة
من مبلغ معين وغلة ولاعيانهم الرواتب الجارية في اليوم من اللحم بتوابله
او عنبر بتوابله والخبز والعليق ولاكابرهم السكر والشمع والزيت
والكسوة في كل سنة والاضحية وفي رمضان السكر والحلوى واكبر من
هولاء كالوزير له في الشهر ما يناهز خمسون دينار جيشية ومعه ما ذكر
من الاصناف والغلة اذا السطر ونمت كانت تتطيرها ثم ما دون ذلك
وما دون دونه ومن هو في الحضرة امس في ذلك ولكنا القضاه والعلما
فالقضاة ارزاقهم على السلطان واكثرها خمسون دينار لاهل شهر
ولهم في المدارس التي تسند اليهم من اوقافها وفي دمشق معالم حكامها
على وقف برسم مصالح المسلمين مضاف الى مال مسجدها الجامع واما
العلما فليس لاحد منهم شي الا من اوقاف مدارسه الا من له على سبيل
الراتب او الادرارات وذلك قليل نادر لا حكم له يعرج على ذكره
ولهذا السلطان صدقات جارية ورواتب دارة منها ما هو ارض من
بلاد ومنها ما هو مرتب على جهات من مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت

وكسوة واللحم والزيت والكسوة فقليل نادر لمن حصلت له عناية تامة الارض
والمبلغ والغلة والخبز فكثير جدا ومستمر وفي الغالب يتوارثه الابنا
عن الابا والاخ عن الاخ وابن العم عن ابن العم حتى ان كثيرا منهم يموت
ويخرج ادراره من مرتبه لا يعني بحصر العوض بعد ذلك ويقدم قصته يذكر فيها
اولويته بما له من قرابة فيستعاد له وفي هذه المملكة اقامة شعاير
الاسلام بالمساجد والخطابات في جميع القرى واما الارزاق والادرارات
فلا يوخذ الا بتواقيع السلطان ما قل منها وما جل وهذه المملكة تشتمل على
عدة من القلاع والحصون والمعاقل ولكل منها نايب حاكم شرعي خطيب مؤذن
ورجال جراية وحفظة ولحفظتها حواصل لا اقطاعات ولها الات التحصين
وذوو اعمال وصناعات والنجارين والبحارين والحدادين وما تدعو اليه
ضرورة مثلها ذلك

زي ذوي العمايم المدورة

شعار القضاة والعلما ورسمهم دلق متسع بغير تفريج وفتحة على كتفه
وشاش كبير منه ذوابة بين الكتفين طويلة واما من دون
هولاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج والذوابة ايضا فاما زهادهم
فيقصر الذوابة ويميلها الى الكتف الايسر على المسنون ولا
يلبس احد منهم الحرير ولا ما فيه الحرير ومنهم من يلبس الطيلسان
فاما قاضي القضاة الشافعي فوسمه الطرحة وبها يمتاز ويركب
اعيان هذه الطايفة البغلات بسروج غير مفضضة ولجم عوض

الطرزكيات في السروج عن قشينات وهي شبيهة بنوب السرج مختصر منه
وهو من جوخ وقد يكون من انواع الاديم وتسنق ويعمل بين السرج ومبنزه
وقصابهم يعمل بدلا من الكنبوش الزنادي وهو من الجوخ شبيه بالعباة
المحوزة الصدر مستديرة من ورا الكفل لا تعلوه لا ذنب ولا نوش وربما
ركبوا بالكنابيش وهولا لحمهم كبار ثقال الوزن واما الوزرا
والكتاب فلبسهم الفرجيات المفرجة من الصوف ومن الحبرات عمل
الاسكندرية وغير ذلك والصافي والبياض ويعمل اكابرهم
الطاقيات في الاكمام ويلبس البعض الطوق من تحت في حبهم وربما لبسوا
الجباب المفرجة من ورائها وتختلف ركوبهم وغالبه شبيه بالجند
او مقارب له ويحمل هذه الطائفة بمصر افضل مما هم عليه بالشام في زيهم
وملبوسهم ومركوبهم الا ما يحكى عن قبط مصر في بيوتهم من التوسع
الاحوال والنفقات حتى ان الواحد منهم يكون في دولته بارد اللباس
دني الماكل ويركب الحمار حتى اذا صار في بيته انتقل من حال
الى حال وخرج من عدم الى وجود ولقد تبالغ الناس فيما يحكى
من ذلك عنهم لبعد احاليهم وتباين امرهم فاما التجار وخلاط
عامة الناس فيختلف احوالهم في الملابس والزي حتى ان الفقرا
وان جمعهم زي الفقر وزيهم وضمهم لباس التصوف فانهم متباينين
حالاتهم في الملابس واطوارهم في التسبلات ٥

الكلام على ارباب الوظايف في هذه المملكة

نقول ان جميع الوظايف التي في حضرة السلطان لا نذكر منها
الا اعيانها واما صغار الوظايف فتجز من كل ولا حاجة بنا الى ذكرها
وكل ما نذكره مما هو في الحضرة نظيره في كل مدينة من قواعد مدن
هذه المملكة ويبقى الفرق ما بينهما الفرق ما بين المكانين ٥
فالوظايف الكبار من ذوي السيوف امرة سلاح الدوادارية
الحجوبية امرة جاندار الاستادارية المهمندارية
نقابة الجيوش الولاة ومن ذوي الاقلام الوزارة ٥
كتابة السر نظر الجيش نظر الاموال نظر الخزانة
نظر البيوت نظر بيت المال نظر الاصطبلات ومن
ذوي العلم القضاة الخطبا وكالة بيت المال الحسبة
ثم نقول ان هذا السلطان ابطل النيابة والوزارة بحضرته
ثم لما كانت النيابة قائمة كان النايب اولا سلطانا مختصرا وكان
هو الذي يفرق الاقطاعات ويعين الامرا وفي هذا القول كفاية
واما الوزارة وكان يليها من ارباب السيوف والاقلام على قدر ما
يتفق وكان الوزير ثاني النايب في المكانة فاما الان فان
السلطان بقي المصرف بما كان للسلطنة من العظمة والنيابة من التصرف
واما الوزارة فانه لعطلها واستخدم في امرها هذا السلطان وظيفة
تسمى مباشرتها نظر الخاص اصل موضوعها ان يكون مباشرها
متحدثا في ما هو خاص بمال السلطان فتحدث في مجموع الامر في الخاص

نفسه وفي القيام بما يحدث في ذلك فيه بعض حدثه فيه ولسببه كأنه هو
الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصرفه ولنذكر وضع كل وظيفة مما ذكرنا

ذكر الوظائف

أما النيابة فقد تقدم قولنا إن السلطان مختصر فيما هو نائب عن
الحضرة وإن النائب هو المتصرف المطلق التصرف في كل
أمر يرجع في الجيش والمال والخبر وهو البريد وكل ذي
وظيفة في بابه لا يتصرف إلا بأمره ولا يفصل أمراً معضلاً إلا بمراجعته
وهو يستخدم الجند ويرتب في الوظائف ولكن ما هو جليل منها
كالوزارة والقضاء وكتابة السر والجيش فإنه ربما عرض على
السلطان من يصلح وقل أن لا يجاب وربما سمي أكابر هؤلاء النواب
ملك الأمراء وإذا حصلت المنافسة لا يستحقها إلا من هو بدمشق
لأنها ليس بالشام فلعله الملك سواها وأما النيابة العظمى
فهي نيابة الحضرة ويسمى هذا النائب كافل الممالك وقد نبهنا
فيما تقدم على كبير محله وهو السلطان الثاني وجميع نواب الممالك
تكاتبه في غالب ما يكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه
كما يراجع السلطان وهو يستخدم الجند من غير مشاورة ويعين الأمراء
ولكن بمشاورة السلطان وعادته أن يركب بالعساكر في أيام المواكب
وينزل الجميع في خدمته فإذا مثل في حضرة السلطان وقف في ركن
الإيوان فإذا انقضت الخدمة خرج إلى داره والأمراء معه ومد

لهم السماط كما يمد السلطان ويجلس جلوساً عاماً للناس ويحضره أرباب
الوظائف ويقف قدامه الحجاب ويقرأ عليه القصص ويقدم إليه الشكاة
ثم ينصرف الناس ولما كانت النيابة قائمة على هذه الصورة لم يكن السلطان
يتصدى بنفسه لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى بل كان يكتفي بالنائب
ثم إن النائب إذا قرئت عليه القصص فما كان يكتفي فيها بمرسوم
أصدره عنه وسلم يكن فيه بد من صدور مرسوم سلطاني فيه أمر مكاتبته
عن السلطان وإصداره فيكتب وينبه فيما يكتب أنه بإشارته ثم يصدر
وما كان من الأمور المعضلة التي لا بد لها من إحاطة علم السلطان بها
يعلمه بها تارة منه إليه وقت اجتماعه به وتارة يرسل من يعلمه بها ويأخذ
أمره فيها وكان ديوان الإقطاع وهو الجيش في زمان النيابة ليس لهم
حديث إلا عنده ولا اجتماع إلا به ولا اجتماع لهم بالسلطان في أمر من الأمور ۞
وأما الوزير وكاتب السر فقد يراجعانه في بعض الأمور دون بعض ثم
اضمحلت النيابة بالحضرة وتهورت أوضاعها وأما الآن فقد بطلت
وأما الحجبة فهي موضوعة لأن صاحبها ينصف من الأمراء والجند تارة بنفسه
وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب إن كان وإليه تقدم
من يعرض ومن يرد وعرض الجند وما ناسب ذلك وأما مع عدم النيابة
فهو المشار إليه في الباب والقائم مقام النواب في كثير من الأمور
وأما أمير جاندار فصاحبها كالمسلم للباب وإليه البرددارية
وطوائف الركابية والخرسانية والجاندارية وهو يقدم البريد مع الدوادار

وكاتب السر على ما قدمنا ذكره واذا اراد السلطان تقرير احد او قتله
كان على يد صاحب هذه الوظيفة وهو المستلم الزردخاناه التي
هي ارفع قدرا في الاعتقالات من السجن المطلق ولا تطول مدة المعتقل
بها لما ان يعجل بتخلية سبيله او باتلاف نفسه وقد قدمنا القول ان صاحب
هذه الوظيفة يسير بالزرد حول السلطان في سفره مسا وصباحا
واما الاستادار فاليه امر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه
والحاشية والغلمان وهو الذي يمشي بطلب السلطان والحكم في غلمانه
وباب داره واليه امور الجاشنكيرية وان كان كبيرهم قرينه في
الامرة من نظراء المئين وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعا ما يحتاجه
كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجري مجرى ذلك
واما امير سلاح فهو مقدم السلاح داريه والمتولي لحمل سلاح السلطان
في المجامع الجامعة وهو المتحدث في السلاح خاناه وما يستعمل لها وما يقدم اليها
ويطلق منها وهو من اكابر المئين واما الدوادارية فمهم لتبليغ الرسائل
عن السلطان وابلاغ عامة الامور وتقديم القصص اليه والمشاورة
على من يحضر الى الباب وتقديم البريد هو وامير جاندار وكاتب
السر كما تقدم ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب
واذا خرج عن السلطان مرسوم يكتب ويعين رسالته ٥
واما نقابة الجيوش فهو كاحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند
في عرضهم ونعته يمشي النقباء واذا طلب السلطان او النائب او الحاجب

امير او احضار ما لو انه ارسل اليه واحضر واذا امروا بالترسيم على احد من هو
اكبر منه فرسم عليه وهو ممن يطلب بالخزانة في المواكب وفي السفر ٥
واما الولاة فهم اصحاب الشرطة ووظيفتهم معروفة معلومة ٥
واما وظائف ارباب الاقلام فجليلها الوزارة لانه ربما ثاني السلطان
اذا انصف وعرف حقه ولكن في هذه المدة حدث عليها النيابة وثاني حرمت
الوزارة حتى بعد بها مكانها وقد تقدم قولنا على انه وليها اناس من ارباب
السيوف والاقلام بالاتفاق على هذا الاتفاق ووظيفة الوزارة اشهر من ان تذكر
وضع مباشرها النظر في كلمته وتمام تصرفه ولكنها في اخريات هذه الايام
تقهقرت حتى كان المتحدث فيه كناظر المال لا يتعدى الحديث في المال
ولا يتسع له في التصرف مجال ولا تمتد يده في الولاية والعزل لتطلع السلطان
الى الاحاطة بجزئيات الاحوال ثم ان السلطان ابطل هذه الوظيفة وعطل جيد
الدولة من عقودها وصار ما كان الى الوزير منقسما الى ثلاثة الى ناظر المال
او شاد الدواوين امر تحصيل المال وصرفه في النفقات والكلف والى ناظر
الخاص تدبير جملة الامور وتعيين المباشرين والى كاتب السر التوقيع في
دار العدل بما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال ثم ان كل واحد
من المتحدثين الثلاثة لا يقدر على الاستقلال في امر الا بمراجعة السلطان
ومراجعته عليه واما كاتب السر فقراءة الكتب الواردة على السلطان
وكتابة اجوبتها واخذ خط السلطان عليها وتسفيرها وتصريف المراسيم
ورودا وصدرا والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها وقد صار

يوقع بيناكان يوقع بيناكان يوقع عليه بقلم الوزان على حسب
ما يرسم له به السلطان ٥ واما نظر الجيش فقد تقدم في ذكر
الاقطاعات وعند ذكر النيابه ما يدل على حال صاحب هذه
الوظيفه مما فيه كفايه ٥ وهذا الناظر معه من المستوفين من
يحرر كليات المملكه وجهات بابها فرءاسهم هو مستوفي الصحبه
وهو يتحدث في جميع المملكه مصرا وشاما ويكتب مراسيم يعلم
عليها السلطان تارة تكون بما يعمل في البلاد وتارة باطلاقات
وتارة باستخراجات كتاب في صغار الاعمال ومن هذا
وما يجري مجراه وهي وظيفه جليله تلي النظر واما بقيه المستوفين
فكل منهم جهته معين لا مطلق فانه لا يتعدى جهته قطرا
من اقطار المملكه وهذا الديوان هو ارفع ديوان الاموال وفيه
بيت التواقيع والمراسيم السلطانيه وكل ديوان من دواوين الاموال
هو فرع هذا الديوان واليه يرفع حسابه وتنتهي اسبابه
واما نظر الخزانه فكانت الخزانه اولا كبيره الوضع لانها
مستودع اموال المملكه فلما استحدثت وظيفه الخاص ضعف
امرها المسماه بالخزانه وصارت تسمى بالخزانه الكبرى وهو اسم اكبر
من مسماه ولم يبق بها الان الا خلع تخلع منها او ما يحمل عليها
ويصرف اولا فاولا وفي غالب ما يكون ناظرها من القضاه
او من يلحق بهم فاما نظر البيوت فهو نظر جليل وهو منوط

بالاستاددارية فكل ما يتحدث فيه استاددار الدار فيه مشاركة الحديث
وقد تقدم تفصيل حال وظيفه استاددار في ما تقدم ٥
فاما نظر بيت المال فهي وظيفه جليله معتبره موضوعها حمل
حمول المملكه الى بيت المال والمصروف منه ثم رقه بالميزان وثباته
بالتسبيب بالاقلام ولا يلي هذه الوظيفه الا من ذوي العداله المبرزه
واما نظر الاصطبلات فهو ديوان جليل مباشرته في اصطبل
السلطان وله الحديث في انواع الاصطبلات والمناخات وعلفها
وادرار المستخدمين فيها وما لها من الاستعمالات والاطلاقات
وكل ما يباع لها او يبتاع بها واما وظايف ذوي العلم فقد
تقدم القول انها القضاه والخطابه ووكاله بيت المال والحسبه
وهي وظايف معروفه ومباشراتها معلومه لانه لا يكاد
تخلو مملكه من ممالك الاسلام منها ٥

فصل في هذه المملكه وفيما هو
متعلق بها مجموع المساجد الثلاثه التي لا تشد الرحال الا
اليها المسجد الحرام والبيت المقدس ومسجد النبي صلى الله عليه
وسلم واول ما نبدا به ما هو محقق في هذه المملكه وداخل في
حدودها وهو القدس وبه المسجد الاقصى والصخره التي هي اول
القبلتين واليه كان اسرى النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام
كما قال الله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد

الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وبجانبه الايمن الطور وعليه كانت
مخاطبة موسى عليه السلام وفيه وفيما حوله غالب مواطن الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم قال التيفاشي في كتاب سرور النفس
بمدارك الحواس الخمس ذكرت الرواة ان هذه الارض التي بارك
الله فيها وحولها اربعون ميلا طولا في اربعين ميلا عرضا في تدوير
البيت المقدس والبيت المقدس في وسطها وكان اسمها في الزمن
الاول ايليا وقول الله تعالى يحقق ان بيت المقدس في وسط ربع
الارض المقدسة التي بارك الله تعالى فيها والمسجد الاقصى وفي قبة السلسلة
كان يحكم داود عليه السلام وفيه ايضا الموضع الذي عرج بالنبي
صلى الله عليه وسلم الى السماء منه وهو تحت قبة المعراج وفيه موضع مصلى
ايوب عليه السلام والملائكة على قبة يقال لها قبة الملائكة وفيه الصخرة
التي كان يقرب عليها يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران وفيه محراب
مريم وفيه معبد زكريا وهو بقية من بنا داود وسليمان عليهما السلام
قلت وفيه قبر ابرهيم الخليل على الصحيح داخل السور
المحيط بالمكان المعروف به الان بقرية ابرهيم المسماة الان ببلد
الخليل وان لم يصح القبر المعين الان بعينه وقد تضمن كتاب الله
العزيز والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم من فضايله
ما فيه كفاية والصخرة قبلة اليهود الان واليها الحج بحجهم وبالقدس
القمامة التي تحجها النصارى من اقطار الارض واعماق البحر والى جانب

القدس مدينة نابلس يحسوبه من الارض المقدسة وداخلة في حدودها والى
طورها حج السامرة وهم طايفة من اليهود تسمى ايمتها الى نبوة هرون
عليه السلام فالقدس الشريف معظم عند جميع المسلمين واليهود والنصارى
ومكان زيارة لهم اجمعين وانما اختلافهم في اماكن الزيارة منه وما
نبهنا على هذا الا لما فيه من الغاية لاطباق الجميع على تعظيمه وفضله
بالزيارة ٥ واما الحرمان الشريفان مكة والمدينة زادهما الله
جلالا وتعظيما فهما من الحجاز ولم يزل امرا المدينة الشريفة
متراميين الى صاحب مصر في غالب اوقاتهم ومعظم ايامهم الا القليل
النادر فانه ربما عصى بعضهم ومع هذا الابتلى الى سوله ٥
واما امرا مكة المعظمة فقد كان منهم من يميل حينا الى
ارتقا ابن صى صاحب مصر بانه سامع له مطيع ويقول لصاحب اليمن
مثل ذلك وكان اكثر ميلهم الى صاحب اليمن وحقيقة هواهم مع
ثم تراموا الى صاحب العراق لعفة سلطانه وما برح هذا السلطان
يحبس منهم ويطلق ويقيم الواحد بعد الواحد وجهز اليهم الجيش مرة
بعد اخرى ليصفوا له كدرهم وهم على علاتهم فاما الان فقد
حكم عليهم حكما قاهرا حتى ابتذل صعبهم ولانت له
شكايمهم على اباء فيها واعوجاج بها وذلك ايام ابي
سعيد بهادر خان بن محمد خدابنده سلطان العراق وتشعبت بعد
الا هوا ولم يعد الى بعد تاليف كتابي هذا ايهم حمل ولا صحبت لهم

امود وامرا المدينة من بني الحسين بن علي رضي الله عنهما من اولاد جماز
ابن شيحة ولمرا مكة المعظمة من اولاد الحسن بن علي رضي الله عنهما
من اولاد ادريس بن قتادة وكل منهما جماعة من الاشراف اقارب
امرايها وهولاء امرا مكة والمدينة على طاعتهم وعصيانهم لابد
للقايم منهم بالامر من طلبه صاحب مصر حتى ياخذه منه تقليدا بالامر
لخوفهم من قربه ومواصلة ركبانه اليهم من مصر ودمشق وقد ذكرنا
هذا انه في شرط هذا الكتاب ولم نتعرض الى ذكر فضائلهما ففي
الحرمين عن ذلك وفيهما البيت المحجوج المحبوب ونبي هذه الامة وشفيعها
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فحسبهما بمكان بيت الله ورسوله المصطفى
صلى الله عليه وسلم شرفا تتطامن له اعناق السماء وتمسك باطراف
السيطين الذي هو الماء ٥ ومما هو في حدود هذه المملكة مما له اسم
سلطان حاكم وملك متصرف حماه وهي مدينة بين حمص وحلب
وهي ليقايا ملوك بني ايوب من اراد صاحب مصر ولاه ومن اراد عزله
ولقد كانت انتزعت منهم بعد موت المظفر شادي بن المنصور محمد بن
المظفر وولت لنواب كسيفية نواب هذه المملكة ثم ان هذا السلطان
اعادها الى اهل البيت الايوبي وملك بها المويد عماد الدين اسماعيل
ابن الافضل علي بن المظفر ابن عم الذي انتزعت بعد موته ثم بعده لولده
الافضل محمد وهو القايم بها الان يستقل فيها باعطا الامر والاقطاعات
وتولية القضاة والوزرا وكتابة السر وكل الوظايف ويكتب المناشير

والتواقيع من جهته ولكن لا يمضي امرا كبيرا في مثل اعطا امرة او عطا
وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر وهو لا يجيبه الا بان الراي ما يراه
وهنا ومثلها وهذه حماه مبنية على نهر العاصي وهي من احاسن
مدن الشام ٥ ومما يجب ذكره هنا ذكر بلاد سيس
وهي ما بين حلب والروم استولى عليها الارمن من قديم وملكها
في بيت لاون ملك الارمني من مدة متقدمة وبلادها بعضها اغوار
على ساحل البحر وبعضها معلقة بالجبال وهي من العواصم ومما
مليها ومليكها متذمم الى صاحب العراق والعجم متنظم في سلكه وما خرج
عسكر الى الشام لقتال صاحب مصر الا وخرج معهم وكثر سواد
عسكره وبالغ في نكاية الاسلام واهله وهو مع هذا يداري صاحب
مصر ويداهنه ويحمل اليه مالا في كل سنة قطيعة مقررة وفي
كل وقت وحين تغزو عساكر مصر والشام في عقر البيت وتجتث
البلاد وتسبي النسا والذراري وفي سنة ما اتفق فيه تهذيب الكتاب وهي
سنة ثمان وثلثين وسبع ماية جهز السلطان فرقة من العساكر اليها
فخاف صاحبها وسلم حصونا من بلاده مما يلي المملكة الاسلامية
من نهر جيحان الى ما لاصق البلاد وصارت بحمد الله في يد الاسلام
وقبضها السلطان ووفر عليه القطيعة على ما في بلاده ومن خصايص
هذه المملكة معدن الزمرد وهو بالبر المتصل بسواكن لدى جهة
السلطان ديوان وشهود ومشد على العمال به ويقام لهم المون

الحرم واستخراج الزمرد منه وهو في جبال من رمله يحفر فيه وربما سقط
على الجماعة به فماتوا ويجمع ما يخرج منه ويحمل الى السلطان
ومنه يحمل الى البلاد ولقد رايت منه قطعة وسطها اخضر في نهاية الحسن
واطرافه جميعه ابيض وما بين وسطه واطرافه بين اللونين ثم ما كان اقرب
الى الوسط كان اقرب الى الخضرة وما كان الى الطرف كان اميل الى
الناصع الى ان كان اخره ابيض والوسط النضيجة الطبيعية نضجا كاملا
والاطراف لم يكمل نضجها فسبحان الله مبدع كل شي ومنها البلسان
وهو شجر يصاد بالمطرية خاصة عين شمس بالقرب من القاهرة
ويسقى من بير هناك ولا يكون الا في تلك البقعة وهذه البير
تعظمها النصارى وتقصدها وتغتسل بمائها وتستشفي به على
زعمها ويخرج لاعتصار البلسان اوان ادراكه من قبل السلطان من
يتولى ذلك ويحفظ ويحمل الى الخزانة ثم ينقل منه الى قلاع الشام
والمارستانات لمعالجة المبرودين وملوك النصارى من الحبوش والروم
والفرنج يهادون السلطان بسببه ويستهدونه منه لانهم لا يصح عندهم
تنصر الا بان يغمس في ما المعمودية وعندهم انه لا بد ان يكون في
ما المعمودية من دهن البلسان هكذا اخبرني جماعة من النصارى
وهو ظاهر النفع في معالجة الفالج واسترخا الاعصاب وسائر الامراض
ومنها القرصعنه والصمغ السليماني والسنبسب من مكان يعرف
ببلاد العرب قرب مصر انفع دوا للاستسقا ومنها الافيون وهو

عصارة الخشخاش الاسود المصري وكذلك الجوز الماثل وهو يطلع
بدمياط فاما ما يطلع بجبال القدس وبلاد فلسطين والاردن من الحشائش
المنصوص عليها في كتب الاطبا فكثير جدا كالمرباقلون ذات
الالف ورقة التي هي من اجل الادوية النافعة من السموم القتالة
ولم نذكر هذا الا على سبيل العرض والا فليس من المقصود

ذكر عادة هذه المملكة في الخلع ومراتبها

وهي ثلثة انواع ارباب السيوف والاقلام والعلما فاما ارباب السيوف فخلع
اكابر ذوي المئين منهم الاطلس الاحمر الرومي وتحته الاطلس الاصفر
الرومي وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله سجف
من ظاهره مع العشا قندس وكلوته زركش مذهب وكلاليب ذهب
وشاش لانس رفيع موصول به من طرفيه حرير ابيض مرقوم بالقاب السلطان
مع تقويين باهي من الحرير الملون مع منطقة ذهب ثم تختلف احوال
المنطقة بحسب مقاديرهم والاعلا ما ان يعمل بين عمدها بوادر وسط
ومجنبين مرصعة بالبلخش والزمرد واللولو ثم ما كان بكاريه واحده
مرصعة ثم ما كان ببكاريه واحده من غير ترصيع فاما من تقلد
ولاية كبيرة منهم فانه يزاد سيفا محلى بذهب وفرسا مسرجا ملجما
بكنبوش مذهب وصاحب حماة خلعته من اعلا هذه الخلع وبدل
الشاش اللانس لثاما يعمل بالاسكندرية من الحرير شبيه بالطرح

ومزوج بالذهب يعرف بالمثمر ويعطي من يشار احدهما كما ذكر والاخر ملون
عوض كنبوشته زنادي اطلس احمر وقد استقر لنائب الشام مثل هذا
وارباب هذه الرتبة كنبوش زركش ذهب دائرة بالعباء الفوقاني ٥ ودون هذه
المرتبة في الخلع نوع يسمى الطرد وحش يعمل بدار الطراز بالاسكندرية
وبمصر وبدمشق وهو مجوخ جاخات كتابة بالقاب السلطان وجاخات
طرد وحش اي وطير وجاخات الوان يمتزج بعضه بذهب يفصل
بين هذه الجاخات نقوش وطراز هذا من القصب وربما كثر بعضهم
تركيب عليه طراز مزركش بالذهب وعليه السنجاب والقندس كما تقدم
وتحته قباء من المفرج الاسكندراني الطرح وكلوتة زركش وكلاليب
وشاش على ما تقدم وحياصة ذهب الا انه تكون ببيكارية وتارة لا تكون
ببيكارية وهذه لاصاغر امراء المئين ومن يلحق بهم ودون هذه الرتبة
كنجي عليه نقش من لون احمر غير لونه وقد يكون من نوع لونه ويفاوت
بينهما بسنجاب مقندس والبقية كما قدمنا ذكره الا ان الحياصة والشاش
يكونان باطراف رقم بل تكون حياصة باخضر واصفر مذهب لا تكون
ببيكارية ودون هذه الرتبة كنجي بلون واحد بسنجاب مقندس
والبقية على ما ذكر وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وحياصتها يكاد
ان يكون من خالص الحلية ولا حياصة له ودون هذه الرتبة مخمل
لون واحد والبقية على ما ذكر خلا الكلوتة والكلاليب ٥
ودون هذه الرتبة مخمل مقندس وتحته قباء ملون بجاخات من احمر

واخضر وازرق او غير ذلك من الالوان وسنجاب ومقندس وتحته
قباء نفساه اما ازرق او اخضر وشاش ابيض باطراف من نسبة ما تقدم
ذكره ثم ما دون هذا من هذا النوع ولابد من تفقيص ما
واما الوزراء والكتاب فاجل خلعهم كنجي ابيض مطرز برقم
حرير ساذج وسنجاب وقندس وسطر القندس بالسنجاب وتملا
الاكمام به وتحته كنجي اخضر وبعيار كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة
ثم دون هذه الرتبة عدم تسطير القندس بالسنجاب واخلاء الاكمام منه
ودونها ترك الطرحة ودونها ان يكون التحتاني مخرما ودون هذا
ان يكون الفوقاني من نوع الكنجي لكنه غير ابيض ودونه ان يكون
الفوقاني مخرما ابيض ودونه ان يكون الفوقاني مخرما غير ابيض
ثم تحته عتابي طرح او ما يجري مجراه ثم ما دون ذلك كما قدمنا في
خلع ارباب السيوف ٥ واما القضاة والعلماء فخلعهم
من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة واجلها ان يكون ابيض وتحته
اخضر ثم ما دون ذلك على نحو ما قدمنا ٥ واما هيئة الخطباء
فانها من السواد للشعار العباسي وهي دلق مدور كما قدمنا وصفه
في ذكر زي العلماء وشاش اسود وطرحة سوداء وسيف على
المنبر علمان اسودان مكتوبان بابيض او بذهب ويخرج المبلغ
من المؤذنين قدام الخطيب وعليه سواد مثل الخطيب خلا الطرحة
وفي يده السيف فاذا صعد الخطيب المنبر اخذ منه السيف فاذا فرغ

المنبر وسلم اذن لابس السواد تحت درج المنبر وتبعه المؤذنون ثم ذكر
الحديث الوارد اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب انصت
فقد لغوت ثم يبلغ عنه الصلوة والرضا والدعا للخليفة وللسلطان
هو ثم المؤذنون ثم اذا انحط الى الصلوة اخذ السيف من يده ۵
وهذه الاهب يصرف من الخزانة ثم يكون في حواصل الجوامع
لتلبس في ساعات الجمع فاذا اخلقت اعيدت الخلق الى الخزانة
وصرف لهم عوضها ۵

ذكر العيدين

قد تقدم ذكرنا لهيئة السلطان في ركوبه ايام الاعياد وبقي الان ما
لم نذكره هنا وهو انه اذا ركب من باب قصره بقلعة الجبل ونزل الى
منفذه من الاصطبل الى ميدان العيد الملاصق له ينزل به في دهليز قد
ضرب له على اكمل ما يكون من الابهة فيصلي ويسمع الخطبة ثم يركب
ويعود الى الايوان الكبير [illegible] ذكره ويمد به السماط ويخلع على حامل
الجتر والسلاح واستاذدار والجاشنكير وكثير من ارباب الوظائف
الذين لهم خدمة في مهم العيد كنواب استاذدار وصغار الجاشنكيرية
ونقيب النقبا وناظر البيوت ومثل هولاء ؛ ومن عادة هذا السلطان ان
يعد له كل عيد خلعة على انها الملبوسة من بشته خلع اكابر امرا المئين
فما يلبسها هو ولكن يخص بها بعض اكابر امرا المئين يخلعها عليه

ولصاحب مصر في مثل هذا اليد الطولى حتى يبقى بابه سوقا ينفق فيه كل
مجلوب ويحصل اليه الناس من كل وطر حتى كاد هذا يهلك المملكة
ويودي بمحصلها عن اخرها وعلى لب هذا ربما قرن هذا السلطان
ولقد يتعجب من يجي بعده بكثرة هذا الاحسان ۵
ولهذا السلطان عادات جميلة كلها من الخلع في اوقات لعبه
بالكرة على انه قد جرت له عوايد بالخلع في ذلك الوقت
كالجوكاندار والولاة ومن يجري مجراهم ممن له حضور في ذلك
عادة مما ينعم به ويطلقه واذا حصل له احد شيئا مما يتصيده
في صيوده خلع عليه واما اذا خرج الى صيد الوحش وصادوا
الغزلان والنعام فكل من احضر له صيدا خلع عليه بما يستحقه بما
يناسب خلعة مثله للكبير كبير وللصغير صغير كل واحد على قدره
وكذلك للبرداريه وحملة الجوارح ومن يجري مجراهم عند كل صيد انعامات
ينعم بها عليهم ولعلمائه في الطشتخاناه والشرابخاناه والفراشخاناه
ومن يجري مجراهم عوايد في كل سنة زمان الصيود كل هذه عوايد جارية
لا تنقطع ولكل من يتصل بخدمة السلطان ممن يرد عليه او يهاجر
من مملكته او يهوي اليه انواع الادرارات والارزاق والانعام وغلات
لا يسعها قرار بلاده والذين يطلبهم وكذلك التجار الذين
يصلون اليه ويصعب عليهم عليه الرواتب الدايمة من الخبز واللحم والتوابل
والحلوا والعليق وللمسافات تنظير كل ما شاع عليه من الرفق لمالك

والجواري معما يسامحهم به ايضا من حقوق تطلق اخرى وكل من له اذا ابا عوا
عليه ولكون اسا واحدا من الرقوق لهم خلع مكمله لكل واحد بحسبه خارجا
عن الثمن وعما ينعم به على بعضهم او يسفر به من مال السلطان على سبيل
القرض لتاجر به فاما جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين
وبرقة وبلاد الغرب فان لهم من ذلك الحظ الوافر والنصيب الراجح
وربما اعطى عن الفرس رطبه منها عشر مرات واكثر غير الخلع والرواتب
والعلوفات والانزال ورسوم المقامات خارجا عن ثمن الخيول ومسامحات
تكتب لهم بالمقررات عن تجارات يتجرون بها سيما احلاف من اثمان الخيول

قلت وبهذه المملكة جميع قبل الملل اما القبلة الاسلامية
فهو بيت مكة المعظمة وهو بها كما تقدم واما اليهود فقبلتهم البيت
المقدس وقد كان القبلة الاولى في الملة الاسلامية وهو بها واما
السامرة وهم فرع من اليهود فقبلتهم الى طور نابلس وهو بها وعندهم انه
طور سينا وكذا النصارى فلا قبلة لهم وتوجههم الى الشرق لا القبلة
في جميع معابدهم التي يعظمونها بها مثل قمامة وهي بالقدس والبها
حجهم من اقطار الارض يأتون اليها في البراري والبحار وبيت لحم به
وبه مولد عيسى المسيح عليه السلام وكنيسة صيدنايا ببر دمشق وكنيسة
صور ومن ملوكهم من لا يصح تمليكه حتى يصلي عليه فيها وكنيسة
مريحنا بالاسكندرية هي معتقد اليعاقبة منهم وبها بطرك القبط
وملوك الحبشة تعظم هذا البطرك وتشير اليه بالتعظيم واذا جاءهم

كتابه عملوا به لا خروج لهم عنه ولا مندوحة لهم عن حكمه وهو يولي عليهم
مطرانا بعد مطران كلما مات واحد بعث غيره نائبا له فيهم وذلك
المطران يقوم بالحبشة مقام البطرك في الامر والنهي فيهم وانقيادهم اجمعين
الطاعة من غير مخالفة ولا علية في شيء حدثني من اثق به ان بعض
التجار بمصر جهز مالا له مع مسفر له الى الحبشة فمات المسفر وبين صاحب
المال من قبله وكان مالا كثيرا فعيل صبره وشكا الى السلطنة بمصر حاله
فعيل للبطرك فكتب كتابا الى ملك الحبشة يامره باعادة مال الرجل اليه
فسار صاحب المال يسفر رجلا اعتمد عليه فما طال به المكث حتى كوتب بالاقبال
واحضر معه جميع المال بعينه اصله وربحه وحكى من تعظيم الحبشة لكتاب
البطرك انه منذ دخل حدود بلادهم وعلموا بالكتاب تلقاه عمال الاطراف
بها ورفعوا الكتاب على رمح وحملوه هو ومحصن ومن حضر معه على
ارفه الدواب ورتبوا له الانزال والاقامات يوصله اهل كل عمل الى
الاخر على هذه الصورة حتى انتهى الى حضرة الملك فبالغ في اكرامه والنزل
واضافته فلما كان يوم الاحد اخذ منه الكتاب وقرأه المطران
في الكنيسة على الملك وهو واقف مكشوف الراس الى ان فرغ ثم امر
باحضار المال وتسليمه اليه ولم يخرج من مكانه حتى اوصل اليه المال ثم وصله
بصلة جيدة واعاده مكرما والانزال جار عليه من عمل الى عمل الى ان
خرج من حدوده قلت وهذا جميع ملوك النصرانية
الملكية واليعاقبة تهادي صاحب مصر وتراسله لاحتياجها للمعن

المترددين من عندهم من زيارة قمامة وبقية مزاراتهم والبعا فيه الكثر
حاجاتهم اليه للمقام بطريركهم عندهم فانهم لا باب لهم بخلاف
الملكية فان لاولئك الباب وهو برومية

قلت

والباب هو طاغيتهم العظمى عندهم ان الحلال ما حلل والحرام ما حرم
ولا احد عندهم مندوحة ان يتاخر عن امره او يتقدم ۵

فصل ومن شيعة هذا السلطان طايفة تعرف
بالاسماعيلية مساكنهم في مصياف وما معها من قلاع الدعوة وهي
سبع قلاع على مسامتة ما بين حمص وحماه متصلة بالبحر الرومي الى جانب
طرابلس الشام وهولاء هم الذين يسمون في بلاد العجم تارة بالباطنية وتارة
بالملاحدة ويلحظ معتقدهم التناسخ وهم يسمون انفسهم اصحاب الدعوة
الهادية وهم شيعة الخلفاء الذين كانوا بمصر وتسموا بالفاطميين وكان
قد انتهت رياسة هذه الطايفة الى راشد الدين سنان وكان صاحب
سيميا اراهم بها ما اضل به عقولهم من تخييل اشخاص فمن مات
على طاعتهم عند ائمتهم في جنان ونعيم واشخاص ممن مات على
عصيان ائمتهم في النار والجحيم وهم يعتقدون ان كل من ملك مصر
كان مظهرا لهم فلهذا يتولاه هذه الطايفة ويرى اتلاف نفوسها
في طاعته لما تنتقل اليه من النعيم الاكبر ولصاحب مصر بتشيع هولاء مزية
يخاف بها اعداوه لانه يرسل من هولاء اليه من يقتله ولا يبالي بمن يقتل
معه ومن بعثه صاحب مصر الى عدو له ليقتله فجبن قتله اهله اذا عاد

وان هرب اتبعوه وقتلوه ولقد سالت المقدم عليهم والمشار اليه
فيهم وهو مبارك بن علوان عن معتقدهم وجاذبته في هذا الحديث
مرات فظهر لي ان هذه الطايفة ترى ان الارواح مسجونة في هذه
الاجسام المكلفة بطاعة الامام المطهر على زعمهم فاذا انتقلت على
الطاعة كانت قد تخلصت وانتقلت للانوار العلوية وان انتقلت على العصيان
هوت في الظلمات السفلية وعقيدتهم ان عليا رضي الله عنه كان
المطهر ثم الانتقال منه وليس هذا مكان التطويل فيه ۵
واكابر المدن المشهورة بهذه المملكة قاعدة الملك الكبرى
وهي القاهرة وقد تقدم القول على انها هي والقلعة والفسطاط بلاد ثلث
صارت مدينة واحدة وقوص والاسكندرية ودمياط ودمشق
وهي قاعدة الملك الثانية ثم بعلبك ثم حمص ثم حماه ثم حلب
ثم طرابلس ثم صفد والقدس والكرك وغزة وتقدم القول
على مكة والمدينة المعظمتين وكيف دخولهما في المملكة
على ما بينا هناك ۵ فاما قلعة الجبل فهي على نشز عال
يسمى الجبل الاحمر من قطع جبل المقطم بناها قراقوش للملك
الناصر صلاح الدين ابي المظفر يوسف بن ايوب رحمه الله ولم يسكنها
حتى ملك اخوه الملك العادل ابو بكر فسكنها وهي مبنية على
ذلك النشز ترتفع في موضع منه وتنخفض في اخر يدور بها سور حجر
بابراج وبدنات الى ان ينتهي الى القصر الابلق الناصري المستجد

بناءً ثم من هناك تتصل بدور الملك ليست على اوضاع ابراج القلاع
يدخل الى القلعة من بابين احدهما بابها الاعظم مواجه القاهرة
والثاني ينفذ الى القرافة بينهما ساحة فسيحة في جانبيها قلعة يشرف
ومنها لا يغرب بيوت وبالقبلي سوق للماكل وينتهي من صدر الساحة
الى دركاه جليلة يجلس بها الامرا حتى يؤذن لهم بالدخول وفي وسطها
باب القلة يدخل منه في دهاليز فسيحة الى ديار وبيوت ومساكن
والى المسجد الجامع وقد كان كان المسجد لضيق بنائه فبناه
هذا السلطان بناءً متسع الارجاء مرتفع البنا مفروش الارض
بالرخام مبطن السقوف بالذهب في وسطه قبة عليها يليها المقصورة
مستورة هي والرواقات بالشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه
رواقات من جهاته ويمشي من دهليز باب القلة المقدم الذكر في مداخل
ابواب الى رحبة فسيحة في صدرها الايوان الكبير المعد لجلوس ايام
المواكب واقامة دار العدل وبجانب الرحبة دركاه جليلة وفي مجنبتها ممر
الى باب القصر الابلق تليه رحبة صغيرة يجلس هناك خواص الامرا
قبل دخولهم الى الخدمة الدائمة ويمشي من باب القصر في دهاليز
الى قصر عظيم البناء شاهق في الهوا بايوانين اعظمهما الشمالي
يطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل
والقاهرة وضواحيها الى بحر النيل وما يليها من بلاد الجيزة
وقراها وفي الثاني القبلي باب خاص لخروج السلطان وخواصه

منه الى الايوان الكبير ايام المواكب ويدخل من هذا القصر الى ثلثة قصور
جوانية منها واحد مسامت لارض هذا القصر الكبير واثنان مرفوعان
يصعد اليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد تخرق الى مثل منظر القصر
الكبير وفي هذه القصور مجاري الما مرفوعا من النيل بالسواقي
الابقار ومن مقرة الى اخرى حتى ينتهي الى القلعة ثم يدخل الى القصور
السلطانية ودور اكابر الامرا الخواص المجاورين للسلطان يجري
في دورهم وتدور حماماتهم وهو من عجايب الاعمال لرفعته مما يقارب
خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ويدخل من القصور الجوانية الى حريم
الحرم وابواب الستور السلطانية وهذه القصور جميعها من ظاهرها
بالحجر الاسود والاصفر مؤزرة من داخلها بالرخام والفص المذهب
والمشجر بالصدف والمعجون والمطرفات وانواع الملونات والسقوف
المبطنة بالذهب واللازورد يخرق الضو في جدرانها بطاقات من
الزجاج القبرصي الملون كقطع الجوهر المولفة في العقود وجميع الارض
بها مفروشة بالرخام المنقول اليها من اقطار الارض مما لا يوجد مثله
فاما الادر السلطانية فعلى ما صح عندي حتى دولات لسايس
واسطبلات وساحات للحيوانات البديعة والابقار والاغنام والطيور
الدواجن وما في داخلها اعني القلعة للمماليك السلطانية وخواص
الامرا بنسائهم وحرمهم ومماليكهم ودواوينهم وطشت خاناتهم
وفراش خاناتهم وشراب خاناتهم ومطابخهم ووظايفهم والقلعة

فيها مساكن لاكابر الامرا ومن كبر من امرا الطبلخانات والعشرات اومن خرج
عن حكم الخاصكية الى طبقة البراسن ودار الوزاره ودار كاتب السر
وديوان الانشا وديوان الجيوش وديوان الاموال والنقبا والزردخاناه
والحبوس والاسرى وماجرى هذا المجرى من هذه المساكن وفيها المساجد
والحوانيت والاسواق في جهاتها هذه جملة العمارة ۝ ثم نذكر
بقية ما يتعلق بالقصر السلطانية فنقول انه ينزل منه من جانب ايوان
القصر الى الاصطبلات السلطانية ثم الى ميدان ممرج بالنخيل الاخضر
فاصل بين الاصطبلات وبين سوق الخيل في غربيه فسيح المدى ليتعافر
النظر في ارجايه يركب السلطان من درج يلي قصره الجوانى وينزل
الى الاصطبل الخاص ثم اليه راكبا وخواص الامرا في خدمته لعرض
الخيول في اوقات الاطلاق او قبول القادم او المشترى وفي ايام
طعم الطير وربما وقف به راكبا وربما نزل فيه ولم ينصب عليه خيام وربما نصب
عليه الخيام اذا طال مكثه وكان زمان حر او برد وربما مد به السماط
ثم يطلع راكبا الى قصره وبهذا الميدان انواع من الوحش المستحسن النظر
ويربط به خواص الخيول للتفسح وفي هذا الميدان يصلي السلطان
وخواصه ومن لا بد لهم من الحضور صلوة العيدين ونزوله اليه وطلوعه
منه من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه لما
قد سلف ذكره وللسلطان عدة ابواب سر الى القرافة والى غيرها لا حاجة
بنا الى ذكرها **قلت** هذه القصور والايوان الكبير

والميدان الاخضر والجامع وغالب العمائر الصحيحة بالقلة والقلعة عمائر
هذا السلطان وبنا ومطرزة الطرز فيها بالقابه واسمه تزداد الطرف
كليلًا بانوارها وترف القلوب على ما تعتم من نقوش نوارها تعتز الملوك بها
لعلو همته وسعة انفاقه وكرمه تقف عليها الابصار ويعرف من راها
انه هان عليه العدو والدينار ۝ **والقاهرة**
مدينة مبنية في وطاة نائية عن ذروة الجبل ارضها سباخ ولاجل
هذا تعجل الى مبانيها الفساد والفسطاط المسمى الان على السنة
العامة بمصر فليست مبنية على ضفة النيل الشرقية وبعض
قبالتها في الجزيرة المبني بها المقياس ابنية كثيرة صارت كانها
فرقة من مصر ومجرى النيل بينهما للمتنزه بينهما عند اشتداد ضوء القمر
او انعقاد السرج في الليل منظر يجذب القلوب بازمتها وكل من مصر
والقاهرة وحواضرهما الممتدة ذات رباع عليه يبلغ بعضها اربع
طبقات في كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها ومرافقها وسطح مقتطع
لها من الاعلى بهندسة محكمة وصناعة عجيبة مع كون البيوت بعضها تحت
بعض لا يرى مثل صناع مصر في هذا الباب وفي كل من هاتين المدينتين
وحواضرهما القصور الشاهقة والدور العظيمة والمنازل الرحيبة والاسواق
الممتدة والمدارس والخوانق والربط والزوايا والجميع على اتساع رقعة
البنا وفسحة الشوارع مزدحمة بالخلق سكنا ومشيا قد حشرت
اليها الامم واختلفت اليها انواع الطوائف وقال لي غير واحد

ممن رأى المدن الكبار والخطط العظام في مشارق الارض ومغاربها
وبعيدها وقريبها انه ما رأى مدينة اجتمع فيها من الناس ما اجتمع
في مصر والقاهرة وحواضرهما قال لي الصدر مجد الدين اسمعيل
السلامي وقد سألته عن بغداد وتوريز وهل يجمعان مثل مصر فقال
في مصر خلق قدر كل من هو في جميع البلاد منها الى توريز وغالب
من فيها من العوام والباعة واهل المهن والصنايع كما قال القاضي
الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمه الله اهل مصر على كثرة عددهم وما ينسب اليهم من وفور المال
الى بلدهم مساكين يعملون في البحر ومجاهيد يدأبون في البر
واحمله على انه قصد السجع اذ كل بلد فيها مجاهيد في اعمالهم وما زال هذا
في خاطري لا زيادة عندي عليه الى ان قدمت مصر وسافرت في صحبة
السلطان غالب بلادها فرأيت خلقا ممن عليهم ارض سجلة قد ركب
المنخفض فيها ولم يركب العالي وهم وقوف كل اثنين على مستنقع ما
وبايديهما قفة يخيطون في ذنبها وهما ينزفان الماء بها صاعدا من المبدا الى ورائها
في بعره يحفرونه يجتمع ما ينزح منها ثم يصرف في مجاري الى تلك الاعالي
التي لم يركبها الماء ليسقوها وهم من هذا في جهد جهيد وامر شديد فعلمت
ان هؤلاء الذين اراد القاضي الفاضل رحمه الله بقوله مجاهيد يعملون في
البر فانه ليس في البلاد اشد جهدا منهم فانهم يلزمون بمدارهم معين
واردب معين فان لم يعملوا هذا اضنكهم الطلب ولم يجدوا اجرة للوفاء
واما ابر الدار بالمصرية فهو يعقد بين حاجزين واعقد رمل معضل

بالقرى وهي مبنية بالطوب سود الظواهر تحف بها النخل وتقل في بعض
وتكثر في الاخرى كلها على انموذج واحد من رأى واحدا منها
فكأنما رآها كلها **قوص** مدينة على شرقي النيل في اعلا
الصعيد واقعة في المباني ذات ديار جليلة وفنادق ورباع وحمامات ومدارس
يسكنها جلة من التجار والعلماء وذوي الاموال وهي اول محط ركاب تجار
الهند والحبشة واليمن والحجاز الواصلون في البحر الملح من صحراء عيذاب وبها
المكاسب ولها البساتين والحدايق ومنابت البقول والخضراوات لكنها شديدة
الحر كثيرة العقارب والسام ابرص وبها صنف من العقارب القتالات
حتى انه يقال فيها عن الملسوب اكلته العقرب لانه لا يرجى له افاقة
قال لي عز الدين حسن بن ابي المجد الصفدي احد العدول بالقاهرة انه عد في
يوم صيف على حايط الجامع سبعين سام ابرص على صف واحد والمستفاض
ان اهل قوص اذا امسى منهم احد في مكان او خرج الى بيته او منه ياخذ
بيده الواحدة مسرجة وفي الاخرى مشكة ليشك به العقارب وبالصعيد
بقايا سحرة قد يحكى عنهم اشياء اصح ما سمعت منها ما حكى لي من
اثق به عن طقصبا والي قوص قال امسكت امراة ساحرة فقلت لها اريد
ان ابصر شيئا من سحرك فقالت اجود عملي ان اسحر العقرب فقلت لها
كيف تسحر العقرب قالت اسحر على اسم شخص مخصوص فلا تزال تلك العقرب تتبع
ذلك الشخص حتى تلسعه فتقتله فقلت اريني هذا واسحري العقرب على اسمي
فاخذت عقربا وسحرته وارسلته فتبعني فتعبت منه كلما انتحي عنه وهو يتبعني

فجلست على تخت منصوب في بركة ما فجاءت العقرب الى البركة وصارت تحاول
طلوعها الي ولا تقدر على اقتحام الماء فذهبت الى الجدار وصعدت فيه وانا انظرها
حتى ترقت الى السقف وجاءت الى مسامتة مكاني ثم رمت بنفسها الى ان نزلت
الى الارض وقصدتني فضربتها بعصا في يدي فقتلتها ثم امسكت تلك الساحرة بعلمها
ملاءات من سحرها العظيم ويحكى كثير من هذا الجنس هذا موضع ذكره ثم من
قوص الى اسوان ومن اسوان المرحل الى بلاد النوبه ومن اسوان
شعبه الى الصحرا الى عيذاب على ساحل البحر يجاز منه الى جدة مينا مكة
المعظمة ومن هذا البحر مسالك للتجار الى عدن ثم الى ما ازاد واس من
الهند واليمن والحبشه ولم نذكر قوص دون ما سواها في الصعيد الا
لانها من مدينتها الخاصة وبها حط مصعدا ومحدرا من الرفاق والمسافرين
والاسكندرية مدينة قديمة جليلة عظيمة وكانت في القديم
اكبر مما هي الان واعظم في كثرة الاهل والبنيان بناها الاسكندر
ذو القرنين على شاطي البحر الرومي وكان بها على ما يقال سرير ملكه
ومستقر لسلطنته جميع بنائها بالحجر والكلس مسقفة البيوت باطنا
وظاهرا كانها الحمامة البيضا ذات شوارع مشرعة وسعة الارجا كل
خط بذاته كانها رقعة الشطرنج يستدير بها اسوار منيعة وبروج محصنة
عليها الستاير المسترة والمجانيق المنصوبة وبها عسكر مستخدم
لحفظها وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها مرسوم بنيابة السلطنة
سوى الاسكندرية لا يزال اهلها على تيقظ من امور البحر ومحارسه

العدو وبها الدور الجليلة والجوامع والمساجد والربط والخوانق والمشاهد
والفنادق والرباع والاسواق الممتدة ومعامل البز والقماش والطرز
الفايق المثل واليها تهوي ركايب التجار برا وبحرا من كل فج
عميق ومكان سحيق وليس في الدنيا نظير شربها وطرازها
المعمول بها والمحمول الى اقطار الارض شرقا وغربا منها من
الحفير المنسوج بالذهب والفضة والمقصب بالقصب وطرد الوحش
المنوع والحبر والمنقوش والممزج والمدفون والدبيقي والساذج
والمفتوح والمقاطع والمهرس والشرب الخام والمقصور وبدلات
المقانع وانواع العصابات والملون بالذهب والفضة والملاءات والفوط
من كل ما لا تشبيه لرقمه ولا نظير لحسنه تباع كل بدرية منها بالالوف مولفة
من الذهب الاحمر ولا ينفذ متاعها ولا ينقل موجودها وبالاسكندرية
معاملة الدراهم السواد حقيقة مقصورا عليها لا تخرج في سواها
ولا تتعدى خاصة اسوارها وهو فيها كل درهمين سوداوين بدرهم
واحد من نقد الدرهم المصري يوجد بها الدراهم السود حقيقة اسم على
مسمى واما في بقية الديار المصرية فكما قدمنا يوجد اسما لا مسمى
كل ثلثة دراهم سودا بدرهم واحد من الدراهم المصرية ٥
والاسكندرية هي فرضة الغرب والاندلس وجزاير الفرنج وبلاد
الروم واليها ترد شوانيها وتجلب بضايعها ومنها تخرج اصنافها
فاما دمياط فهي وان كانت رسيلتها في هذا الباب فانه لا نسبة لها

الى الاسكندرية وسياتي ذكرها والاسكندرية لها بحر خليج من
النيل يصل فيه المراكب من مصر اليها ومنها الى مصر وفي اوان زيادة
النيل يمتلي هذا الخليج ويمتد الى صهاريج داخل المدينة معدة لاختزان
الما بها لشرب اهلها ثم منه من بعض الدور الى بعض يمكن النازل الى صهريج
منها الصعود من اي دار اختار وتحت تلك الصهاريج الابار النبع بالما
المملوح فهي طبقات ثلثة طبقة الابار وعليها طبقة الصهاريج وعليها طبقة
البنا ولا يعتني اهل الاسكندرية ببنا الطبقات على اعالي ابنيتهم لقوة
الامطار بها وتوقف قرارها وعلى الاسكندرية البساتين الانيقة
والغيطان الفساح وفيها المحلة اهلها القصور الناهلة والجواسق
الشاهقة يحصن جميعها باحكام البنا وعلو الجدر حسبه من طوارق
العزيج وذعار العرب وبها من الفواكه المنتخبة الثمار وهي تفوق
مصر بحسن ثمراتها وحصل الفواكه بها وليس للاسكندرية من
ازدراع القمح والشعير والحبوب الاماقل وغالب قوتها محمول
من ارياف مصر اليها **تنبيه** قد ذكرنا فيما تقدم
ان الاسكندر هو الذي بنى الاسكندرية وذلك صحيح بمعنى انه جدد
بناها واما سبب بنايها القديم فقد ذكره السفاسي في كتاب سرور
النفس بمدارك الحواس الخمس قال ذكر احمد بن مطرف في كتاب
الترتيب ان الذي بنى الاسكندرية اول امرها جيرون المؤتفكي
وان الذي دعاه الى بنايها انه عشق بعض النسا اللواتي
هكن

مصر وكان اسمها حوريا بنت الدرنا وانه لما طال بينهما الحرب انفذت اليه
تقول اني قد رغبت في التزوج بك فيصير ملكنا واحدا ودارنا واحدة
واصير انا وملكي لك وذلك خير لك من ان تقيم على الحرب فيفسد
مالك ويفني رجالك فان ظفرت بي لم يحصل لك طايل لان الهزايم
تذهب الاموال وتمحقها وان استحوذت لك ذهبت وذهب جميع
مالك فاجابها الى ما ارادت وخاطبها وعقد النكاح على ما كانوا يعتقدونه
والتمس الدخول بها فبعثت له انه يقبح بي وبك ان نجتمع في غير مدينة تبنيها
لهذا الامر في احسن موضع واجمل مكان بحيث لم يكن فيه بنا قط غير
ما تبنيه وانما كان ذلك منها مكرا به لتنفذ امواله وتبلغ منه ما تريد
في لطف وتوادعه فاجابها وانفذ المهندسين اليها وخيرها المواضع
فاختارت موضع الاسكندرية وقسمت المدينة وصورها المهندسون
ثم عرفته ذلك فاجاب الى كل ما طلبت وسار بخيله فنزل على
ذلك الموضع وشرع في البنا وكان كلما بني بنا خرجت دواب البحر
وعبثت به وهدمته فاقام زمانا ونفدت الاموال وضاق ذرعا فوقع
له ان دل على بعض السحرة فاحضره وشكا اليه ذلك الامر فوضع له
طلسمات وجعلها في انية زجاج كالتوابيت فكانت تدلى في الما
حذا الابنية فاذا جات دواب البحر ترى الطلسمات والتوابيت تعرض
فتثبت البنا وبنيت المدينة وتمت بعد زمان طويل ثم راسلها في المسير
فسارت بجميع ملكها وعساكرها حتى نزلت حذا عسكره وراسلته

اني قد احببت ان احمل عنك موونة الانفاق على العسكرين في اطعمة تصلح
واشربة وقد اعددت لوجوه الامرا والقوا دخلعا وتحفا حملا عنك
لما الزمك في بنا المدينة فاحب ان تجيبني الى ذلك فاجابها وامرت
بذلك فعمل وانفذت اليه انا احب ان اراك واري ساير عسكرك
في الميدان يلعبون ضروب اللعب ويكون منصرفكم بعد ذلك الى
حضور الطعام والخلع فاجابها وتقدم بركوب الجيش وحمل السلاح
واللعب فلما فعلوا واشتد عرق القوم انصرفوا اليها جميعا فلقتهم
اصحابها بالخلع المسمومة فلبسها وجوه العسكر ولبس الملك جبة خلعته
وكانت اقل سما من غيرها لما ان عليه ليبقى فيه بقية لخطابها فما افوا
الا ساعة بالخلع حتى طفيوا وماتوا وراي ذلك بقية العسكر فعلموا موضع
الحيلة فتبادروا مستامنين فنودي فيهم بالامان وبقي في الملك بقية من الحياة
فامرت ان يحمل اليها فلما راته في السياق قالت له ان هلكا انفق ماله وافنى
زمانه وفرق ملكه رجا شهوة لا يدري اينالها ام لا لملك سخيف وكان اخر
كلامها خروج روحه فمات ودخلت هي المدينة واقامت بها زمانا ثم عادت الى
مصر ثم ملك الاسكندر فزاد في بنايها واطال في منارها وجعل فيها
مراة كان يري فيها مراكب العدو عن بعيد اذا صارت بازايها وصدمها
شعاعها احرقتها كما يحرق المهاه في الشمس ما قابلها من الخرق وان لم تتصل
بها فسميت الاسكندرية من حينئذ وكان اسمها قبل ذلك رقوده
وبذلك يعرفها القبط في كتبهم القديمة واقامت المراة على ذلك زمانا

وشق ذلك على الروم فاحتالوا حيلهم من حكمايهم بان وافق سلطانهم على
ان بعث ابو الاعم اصحاب له فيدفنونها في مواضع متفرقة من ثغور
الاسلام ثم عادوا بعد دفنها فصنع كتاب مطالب ذكر فيه المواضع وحكمه
بان تحت المراة التي في منارة الاسكندرية كنزا لا يحصى ما فيه من الاموال
وعتق ذلك الكتاب ودفعه الى انسان ذكي وامره ان يسير به الى بلد بلد
وان يكون قصده الى سلطان كل بلد ليعرفه ما في ذلك البلد ويخرجه
ويأخذ منه جزا يسيرا ففعل ذلك باول بلد لقيه وصح قوله فاخرج المال
واخذ منه جزا يسيرا واتصلت الاخبار الى ساير الثغور بذلك فكان
سلطان كل بلد ينفذ اليه من يستلمه بعد ان يحضر اخراج الكنز في البلد
الذي هو فيه فلم يزل الى ان وصل الى الاسكندرية فقال لملكها ما قال في
المراة وقال له اذا قلعتها واخذت الكنز انا اردها الى افضل ما هي
عليه الان فاجابه وقلعت المراة وشرع في هدم ما تحتها واشتغل الانسان
وترك تلك الاموال التي اخذها من الكنوز المتقدمة ليطمينوا ولا يجدوا في
طلبه ففاتهم وتفقدوا فلم يجدوا شيئا فعلموا ان ذلك كله كان حيلة على قلع
المراة فلم يقدروا على ردها الان واضعها كانوا حكما قد نصبوها
بطالع مختار واختلف الناس في هذا القول فمنهم من ذكره ومنهم من ذكر
غيره قال غير ابن فرات في بعض كتب التواريخ ان عجايب الدنيا
اربعة فرس من نحاس بارض غرب الاندلس لا يتجاوزه احد الا ابتلعه
الرمل وسجن من نحاس برومية عليها صورة طاير من نحاس وهو الذي يسمى

الزرزور اذا كان اوان نضج الزيتون فلا يبقى طاير من جنسه وهو الطاير المعروف
الا اتى حاملا زيتونة في منقاره وزيتونتين في رجليه فيلقيه هذا الطاير
النحاس المذكور فيعصر اهل رومية من ذلك ما يكفيهم ادهانهم وسرج قناديلهم ذلك
لان رومية ليس بها زيتون ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس بارض عاد
اذا كان في الاشهر الحرم جرى منها الماء ولا يجرى من غيرها ومرآة بمنارة
الاسكندرية ترى بها القطايع الحربية اذا تجهزت من القسطنطينية العظمى
فيرى اهل الاسكندرية اهل القسطنطينية وبينهما عرض البحر قال واما
مساحة المنارة فهي ثلث طبقات ومساحتها على ما ذكره بعض المحصلين مائتا
ذراع وثلث وثلثون ذراع فالطبقة الاولى مربعة وهي مائة ذراع واحدى وعشرون
ذراعا والطبقة الثانية مثمنة وهي احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة
الثالثة مسدسة وهي وثلثون ذراعا ونصف ذراع

قلت

اما ما حكاه عن منارة اسكندرية فقد اصبحت كلها اثرا بعد عين سقطت
اعلامها ومحيت اثارها ولم يبق من المنارة الا دون العشرين ذراعا وامر
السلطان لها بالبناء ولم يصرف اليها حب الاعتنا وليس الناظر الان الا
في منارة استحدثت على كوم عال داخل السور يعرف بكوم معلى لا له
اساس ثابت ولا جدار معلى ٥ ولها عمود الصوارى فباق على حاله
والطلل هايل ولا طايل ومن الاسكندرية على مسافة نصف يوم في غربيها
البراري القفر المتصل بعضه الى الغرب الاقصى والرطل الاسكندري المسمى الجروى
وهو رطلان واوقيتان بالمصرى واردبها ثمان ويبات باردب وثلث بالمصرى

واسعارها اقرب الى الرخا ولولا التحجير زادت رخاوتها وعظمت حلاوتها
ودمياط مدينة على صفة البحر عند مصب احد فرعي النيل
بناوها الان غير موثق يطوف بها جسر سارى النيل الى مصبه
وهي موضع غرة للعدو من قبل البحر وقد علقت بها همة الكفر
زمانا طويلا حتى نصر الله عليهم في احزاب الدولة الايوبية ٥
حدثني من راى دمياط انها مدينة لطيفة فيها مدرسة واحدة واسواق
ليست بالكثيرة ومنها الافضا الى بحيرة تنيس المذكور في القدم
بحسن الاوضاع وجودة القماش والمتاع وانما هي الان جون
من البحر المالح او كالجون وبدمياط وما يليها شجر الموز الكثير
ومنه مورد مصر والقاهرة وبلادهما **فايدة**
قال التيفاشي في سرور النفس يقال ان تنيس ودمياط والفرما
ثلثة اخوة ملكوا هذه المدن الثلثة فسمى كل واحد منهم مدينته باسم نفسه
وكانت تنيس يقال لها تنيس الاخصاص ويقال ان المسيح عليه السلام
دخلها فاكرمه اهلها فدعا ان يبارك الله لاهلها فيها وان ياتيها الرزق
من كل مكان لما راها وسط بحيرة ولم يدخل دمياط واما الجفار
فهي خمس مدن الفرما والبقارة والوراده والعريش ورفح
والجفار كله رمل وانما سمى جفارا لشدة المشي فيه على الناس والدواب
لكثرة رمله وبعد مراحله والجفار تحفر فيه الابل وغيرها فتهلك
فاتخذ له هذا الاسم كما قيل للجبل الذي تجربه العير هجار والذى

تجربة حجار والذي يعقل به عقال والذي يبطن به بطان وكذلك خطام
وزمام ونحوه والبقارين من البقر والوراده من الورود والعريش اخذ
من العرش ويذكر انه نهاية التخوم من الشام واليه كان ينتهي رعاة
ابرهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانما اتخذ به عريشا كان يجلس فيه ومواشيه
تحلب بين يديه فسمي بذلك وقيل اسم رجل نسب اليه المكان

قلت هذه جملة الكلام في عرض الديار المصرية المشهورة
واما برها فياخذ من جبال نصانيقا في اوله باعلا الصعيد
ثم اخذ في التنفيس الى الجنين فانفرجا واتسع مدى ما بينهما حتى انقطع
بالبحر الرومي الى اخر الاعمال فاوسعه مدى نحو يومين واضيقه نحو
ساعة واكثر وغالبه نحو ساعتين وما بين ذلك وهذا هو
عرض الديار المصرية حقيقة الا ان نظرت الى قفارها وحشية تهاب
الجن سلوكها ويخاف الظلام اقتحامها على ان يهدي العرض الذي ذكرناه
عطل الخالين من الحرث والنسل والزرع والغروس خال من الانيس
الا سارى سبيل او ضال عن طريق والعامر الاهل من هذا الذي يملئه
والسلك كثير لكنه ذو ربع رائع والمحصل كثير وبمصر من انواع الثعابين
والافاعي والحيات والعقارب والفار وساير الحشرات ما لولا ما يهلكه
النيل الفائض على البلاد في كل سنة وما يغرق من النيل ويعف اهل البلاد
له على الطرق ما يدبسهم العمد والعصي لقتل ما بها جمهور منها لما سكنت
مصر ولا تاهلت لها دار ولا استقر بها لاحد قرار واما زمان

ربيعها وما يبقيه من المقطعات بنيلها وما يوشي حللها من نوار البرسيم
والكتان ويحشر في ارضها من الطير على اختلاف ذوات الجناح
فما يملا عينيك وسامة وحسنا ويروقك صورة ومعنى كان نباتها
زمردة خضرا ومقطعا بها فيروزج زرقا ونوار الكتان قرط من لولوة
بيضا عليها للطيور طلل من الغمام قد نصبت على فرشها للاستبرق
خيام ولما رايت منظرها البديع في زمان الربيع وبين اكنافها
الخضر قرارات الما كانها النجوم في السما قلت

لمصر فضل باهر لعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقي ما الحيوة والخضر

ونحن نقول ان الديار المصرية وجهان
قبلي وبحري جملتهما خمسة عشر ولاية فالوجه القبلي اكبرهما
وهي تسعة اعمال وهي عمل قوص وقوص شرقي النيل وهو اجلها
ومنه اسوان وعيذاب فيما لم واسوان نهاية حد المملكة من الجنوب وعمل
اخميم وهي شرقي النيل ايضا وعمل اسيوط وعمل منفلوط وعمل
الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا ومنه الغراي وهو عبارة
عن قرى على غربي المنهى الماد الى الفيوم وعمل الفيوم وهو منقطع
وعمل اطفيح وهو شرقي النيل وعمل الجيزة والوجه
البحري وهو ستة اعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية
وبرقة وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين

البحر المالح ومسكبه عند دمياط وهو المسمى بالشرقي والبحر الثاني ومسكبه
عند رشيد وهو المسمى بالغربي والمنوفية وكانت منف
المنسوب اليها هذا العمل هي مصر قديما ومنها ابيار المسماه بجزيرة اي
نصر وهي جزيرة تاخذ في وسط البحر الغربي وعمل قليوب وقليوب
شرقي النيل وعمل الشرقية وهو متصل البر بر الشام والقلزم
والحجاز وكذلك عمل اشموم ويعرف باشموم طناح ومنها
الدقهلية والمرتاحية وهما موقع ثغر البرلس وموقع ثغر رشيد
والمنصورة المبنية زمان محاصرة دمياط وفي هذا الوجه الاسكندرية
ودمياط وهما مدينتان تشدران على البحر لا عمل لهما واما الواحات
فمنقطعة وراء الوجه القبلي في مغاربيه ولا تعد في الولايات ولا
في الاعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحكم عليها
من قبل مقطعها وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد
والنوبة والحبشة بعضها داخل بعض قال البكري وهو بلد
قايم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر الى سواه وفي هذه الارض
شبية وزاجية وعيون حامضة الطعوم تستعمل كاستعمال الخل
وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والملح ولكل نوع
منها منفعة وخاصية ٥

ومما يتعلق بذيل هذه المملكة
ذكر برقة

مدار وجه منف اليه وهو مدينة
وهو مصر في القديم الجاهلي
الآن في طرف الجيزة بعد
بالعدو شيف لها عين
في كتاب الاعتبار بذكر
الخطط والآثار عدة
اخبار

قال ابن سعيد هي سلطنة طويلة وان لم يكن يمكن بها استقلال
لانه قد استولت عليها العرب وكان سريرها في القديم مدينة طبرق
ولبس لها سلطان بلد ولا سوى اهل العمد سكان
وقربها الى افريقية اكثر من قربها الى مصر ولكن بها دون العقبة
لصاحب مصر وامرها اليه ٥ اخبرني الامير الفاضل ناصر الدين
محمد بن الحسني انها بلاد كثيرة الما صحيحة الهوا وارضها محاجر وحزون
وعرم في الغالب وبها المروج والاشجار الكثيرة وبها المدن
المبنية الباقية البنا الى الان وهي خالية من السكان وبها القصور العلية
والاثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة وهي اليوم سيد
العرب وهم اصحاب ماشية ودواب سايمة كثيرة من الابل والغنم
ومنهم من يزرع في بعض اراضيها فتخصب زروعها ولكنهم اهل
بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع وحدثني غير واحد ممن دخلها
من العسكر المصري ممن كان جرد اليها انها شبيهة باطراف
الشام وجبال نابلس في منابت اشجارها وكيفية ارضها وما كانت
عليه وانها لو عمرت بالسكان وتاهلت بالزراع كانت اقليما
كبيرا يقارب نصف الشام وقد كانت برقة مقطعة بمنشور
صاحب مصر لابن الحسني وكان يتوجه اليها ويلخذ من العربان بها
ثم اقطعت لامرا عربان مصر من سليم وهم الان يتنادون من
عرب برقة الغداد ٥ وحدثني الامير فايد بن مقدم السلمي

المقطعة لم الآن ان برقة من اركى البلاد ارضا للدواب والمراعي لها
واما خيل برقة فهي من اقوى الخيل بناء واذا قيل الخيل البرقية فهي
وهي مدورة ذات لبب كمفرطات العلو ولكنها عراض مدورة ذات
صلبة الحوافر قد جمعت من سبق العربيات وقوة صدماتها وكمال
تخاطيطها وصلابة حوافر البراذين وثباتها على الجبال والوعور وادمان
الركوب فاما صورها فهي بين العراب والبراذين عليها سيمات
السنية وهي الى محاسن العراب اميل وفحول الخيل البرقية يجلب من اناثها
ولجلب لمصر بها عناية وتباع بالاثمان الغالية ولكنها لا تبلغ مبلغ
خيل البحرين والحجاز والشام [illegible] وطولها بالمسافة مقدار شهرين وكانت
قاعدة برقة مدينة انطابلس ومن مدنها طبرق وقد تقدم ذكرها
وطلميثة ولبدة وهي ذات رخام كثير عمد والواح وبها الى الآن رخام
قائما وثابتا ومن مدنها المشهورة سرت ٥ وحدثني قاضي
الجماعة ابو اسحق ابرهيم بن ابي سالم عن لبدة انها مملوءة بالرخام
الابيض الفائق حتى شوارعها وممشى الناس في اسواقها وانها لا يعوزها
من العمارة الا السكان ٥ وحدثني الشيخ شرف الدين عيسى
الزواوي قال [illegible] بلاد برقة قراها كلها خرائب [illegible] ما
فيها الا بادية العرب وبها القصور المبنية ليس بها الا غلال يخزنونها
لهم وقال لي ان في جبال برقة اشجارا [illegible] من الزيتون والفواكه
الكثيرة ولكن ليس بها مدينة معمورة تذكرها اخبار وسكان

برقة كلهم اهل دين لا [illegible] الا [illegible] حتى ان منهم من يكون
معه دراهم فيعرضها للبيع ويقول من يشتري مني هذه الدراهم لانها
ليست عندهم نقدا ولا معاملة ٥

ذكر المملكة الثانية وهي مملكة الشام

وقاعدتها مدينة دمشق وكانت الشام يقال لها ارض كنعان ثم
جاء بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وبقيت الشام لبني
اسرائيل الى ان غلبت عليهم الروم وانتزعوها منهم
قال التيفاشي في كتاب سرور النفس قال الشريف الادريسي
في حدود الشام انها من المشرق الجزيرة بينه وبين العراق وسميت
الجزيرة لانها بين نهري دجلة والفرات وهي ادنى الارض التي ذكر
الله عز وجل في سورة الروم ومن بلاد الجزيرة نينوى مدينة يونس عليه السلام
وقاعدتها اليوم الموصل ومنها الرقة ونصيبين وديار ربيعة وبني تغلب
والجزيرة هي التخوم الفاصلة بين الشام والعراق وحدها النهران
دجلة والفرات وحدود الشام من الجنوب وادي العريش ومن
الغرب عسقلان والحاجز الذي بين البحرين حيث مدائن لوط
عليه السلام وطوله اكثر من شهر ونحو بعضه في الاقليم الرابع
وبعضه في الثالث والتوجه في قبلته الى الميزاب الى الركن الشامي
من جهة الشرق واكثر اهله يمن وفيهم معد [illegible] ثم قال

روى الحافظ بن عساكر ابو القاسم علي بن الحسن في تاريخ الشام بسنده
الى الشعبي قال لما هبط ادم من الجنة وانتشر ولده ارخ بنوه من
هبوط ادم وكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخوا
بمبعث نوح حتى كان الغرق فهلك من كان على وجه الارض
فلما هبط نوح وذريته وكل من كان في السفينة الى الارض
قسم الارض بين ولده اثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت
المقدس والنيل والفرات والدجلة وسيحان وجيحان وذلك ما بين
فيشون الى شرق النيل وما بين منخر ريح الجنوب الى منخر الشمال
وجعل لحام قسمه غربي النيل فما وراءه الى منخر ريح الدبور وجعل
قسم يافث في فيشون فما وراءه الى منخر ريح الصبا ثم تفرق بنو نوح
من بابل الى سائر جهات الارض فلحقت كل طائفة منهم بجهة
وفي رواية للحافظ من طريق اخر عن هشام بن محمد عن ابيه قال
كان الذين عقد لهم الالوية يعني ولد نوح عليه السلام فنزل
بنو سام المجدل سرة الارض وهو ما بين ساتيدما الى البحر وما بين اليمن
الى الشام وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والادمة والبياض
فيهم ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ويقال لتلك الناحية
الداروم وجعل الله فيهم ادمة وبياضا قليلا واعمر بلادهم ورفع عنهم
الطاعون وجعل في ارضهم الاثل والاراك والعشر والغار والنخل
وجرت الشمس والقمر في سمائهم ونزل بنو يافث الصفون مجرى الشمال

والصبا وفيهم الحمرة والشقرة واخلى الله ارضهم فاشتد بردها واخلى
سماءهم فليس يجري فوقهم شيء من النجوم السبعة الجارية لانهم صاروا
تحت بنات نعش والجدي والفرقدين وابتلوا بالطاعون ثم لحقت
عاد بالشحر وعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ولحقت عبيل
بموضع يثرب ولحقت العماليق بصنعاء قبل ان تسمى صنعاء ثم انحدر بعضهم
الى يثرب فاخرجوا منها عبيلا ونزلوا موضع الجحفة واقبل سيل فاجتحفهم
فذهب بهم فسميت الجحفة ولحقت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثم
ولحقت طسم وجديس باليمامة وانما سميت اليمامة بامراة منهم
فهلكوا ولحقت اميم بارض ابار فهلكوا بها وهي بين اليمامة والشحر
ولا يصل اليوم اليها احد غلبت عليها الجن وسميت ابار بابار
ابن اميم ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن فسميت اليمن حين تيامنوا
اليها ولحق قوم من بني كنعان بن حام بالشام فسميت الشام
حين تشاءموا اليها وكانت الشام يقال لها ارض كنعان ثم جاء
بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وكانت الشام لبني اسرائيل
ووثبت الروم على بني اسرائيل فقتلوهم واجلوهم الى العراق الا
قليلا منهم وجاءت العرب فغلبوا على الشام قال ابو بكر محمد بن
القاسم الانباري الشام فيه وجهان يجوز ان يكون ماخوذا من
اليد الشؤمى وهي اليسرى ويجوز ان يكون فعلى من الشؤم ويقال
انجد اتى نجدا واعرق دخل العراق واعمن اتى عمان واشام اتى الشام

ومصر وكوفة وفي التنزيل العزيز واصحاب المشأمة ورجال الشأم
من اهل الشام وسميت اليمن لانها عن يمين الكعبة وسميت الشام لانها
عن شمال الكعبة وقيل كان اسم الشام اول الامر سورية

ذكر دمشق وابنائها

روي عن كعب الاحبار قال اول حايط وضع على وجه الارض بعد الطوفان
حايط حران ودمشق ثم بابل وفي رواية اخرى ان نوحا
لما نزل من الجبل اشرف فراي تل حران بين نهري جلاب وديصان
فاتاه فبنى حايط حران ثم سار فبنى دمشق ثم رجع الى بابل فبناها
وفي رواية اخرى ان جيرون بن سعد بن عاد بن عوص نزل
دمشق وبنى مدينتها وسماها جيرون وهي ارم ذات العماد وليس اعمدة
الحجارة في موضع اكثر منها بدمشق ٥ قال الجاحظ وجدت في
بعض الكتب ان جيرون وبريد كانا اخوين وهما ابنا سعد بن لقمان
ابن عاد وهما اللذان يعرف جيرون وباب البريد بدمشق بهما ٥
وفي رواية عن وهب بن منبه قال ودمشق بناها العازر
غلام ابرهيم الخليل عليه السلام وكان حبشيا وهبه له نمرود
ابن كنعان حين خرج ابرهيم من النار وكان اسم الغلام
دمشق وكان متصرفا في جميع مال ابرهيم ٥ وروى الحافظ
انه وجد في كتاب ابي عبيدة بن المثنى المسمى بفضايل الفرس ان
سوراسب الملك الكبر اي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق

قال الحافظ والمعنى من وجه اخر انه لما رجع ذو القرنين من الشرق وعمل
السد بين اهل خراسان وبين ياجوج وماجوج وسار يريد المغرب فلما
بلغ الشام وصعد على عقبة دمر ابصر هذا الموضع الذي فيه اليوم مدينة
دمشق وكان هذا الوادي الذي فيه نهر دمشق غيضة ارز وقيل
ان الارزة التي وجدت في سنة ثلث عشرة وثلثماية من بقايا تلك الغيضة
فلما نظر ذو القرنين الى تلك الغيضة وكان هذا الما الذي هو
في هذه الانهار اليوم يفترق يجتمع في واد واحد فاخذ ذو القرنين يفكر
كيف يبني فيه مدينة وكان اكثر فكره فيه وتعجبه منه انه نظر الى جبل
يدور بذلك الموضع وبالغيضة كلها وكان له غلام يقال له دمشقش على
جميع ملكه ولما نزل ذو القرنين من عقبة دمر سار حتى نزل في موضع
القرية المعروفة ببيلدا من دمشق على ثلثة اميال فامر ذو القرنين ان يحفر
له في ذلك الموضع حفيرة ففعلوا ذلك ثم امر برد التراب الذي اخرج منها
فلما رد التراب لم يمتلي الحفيرة فقال لغلامه دمشقش اني كنت
نويت ان اوسس في هذا الموضع مدينة فاما اذا بان لي منه هذا فما يصلح
ان يكون ها هنا مدينة قال ولم قال ذو القرنين ان بني ها هنا
مدينة فانها لا يكون زرعها يكفي اهلها قال ثم رحل ذو القرنين
حتى وصل الى الثنية حوران اشرف على تلك السعة ونظر الى تلك
التربة الحمرا فامر بتناول شي من ذلك التراب فلما صار في يده اعجبه
لانه نظر الى تربة كانها الزعفران فنزل هنالك وامر ان يحفر حفيرة

فحفرت وامر برد التراب الى المكان الذي اخرج منه فملاه وفضل منه تراب
كثير فقال ذو القرنين لعلامه دمشقش ارجع الى ذلك الموضع الذي
فيه الارز فاقطع ذلك الشجر وابن على حافة الوادي مدينه وسمها على
اسمك فهناك تصلح ان تكون مدينه وهذا الموضع منه قوتها وعليه
مبنيها قال الحافظ وعلامة صحة ذلك ان اهل غوطة دمشق لا تكفيهم
غلاتهم حتى يتكفوا من البثنيه وحوران فرجع دمشقش وبنى
المدينه وعمل لها حصنا وهي المدينه الداخله وعمل لها اربعه ابواب
جيرون مع باب البرد مع باب الحديد في سوق الاساكفه
مع باب الفراديس الداخله هذه كانت المدينه اذا غلقت هذه
الابواب فقد اغلقت المدينه وخارج من الابواب كان مرعى
فبناها دمشقش وسكنها ومات فيها وكان قد بنى الموضع الذي هو
الان مسجدها الجامع كنيسه يعبد الله فيها الى ان مات ٥ وروى
ان بني دمشق بناها على الكواكب السبعه وان المشتري كان طالع
بنائها وجعل لها سبعة ابواب وصور على كل باب احد الكواكب السبعه
وصور على باب كيسان صورة زحل فخربت الصور التي على
الابواب كلها الا باب كيسان فان صورة زحل باقيه عليه الى
الان وروى الحافظ عن ابي القاسم تمام بن محمد قال قرات
في كتاب عتيق باب كيسان لزحل باب شرقي للشمس باب توما
للزهرة باب الصغير للمشتري باب الجابيه للمريخ باب الفراديس
لعطارد باب الفراديس الاخر المسدود للقمر ٥ وروى الحافظ عن
ابي مسهر قال ان ملك دمشق بنى حصن دمشق الذي حول المسجد داخل
المدينه على مساحة مسجد بيت المقدس وعمل ابواب مسجد بيت المقدس
فوضعها على ابوابه فهذه الابواب التي على الحصن هي ابواب مسجد بيت
المقدس

اسما بعض جهاتها

خرج الحافظ مرفوعا ان اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام ولد له اثنا عشر
ولدا تسمى مسهر دوما وبه سميت دومة الجندل وفي رواية الجوزي انه كان
للوط اربعه بنين واثنان ماب وعمان وحلان وملكان والنائن
زغر والزبه وعمان مدينة البلقا سميت بعمان وماب من ساير البلقا
سميت بماب وعين زغر سميت بزغر بنت لوط والزبه سميت الزبة
باب الشرقي بن القطامي وسميت صيدا بصيدون بن صدوق بن كنعان
ابن حام بن نوح وسميت ارحا بارحا بن مالك بن ارفخشذ بن سام بن نوح
وسميت البلقا بالبق بن عمان بن لوط لانه ملكها وسكنها قال وقيل
ان الكسوه سميت بذلك لان غسان قتلت بها رسل ملك الروم فذهبوا اليهم
في طلب الجزيه فقتلوهم واخذوا كسوتهم هذا اخر ما نقله البقاعي

ملت وبدمشق مهبط عيسى عليه السلام وهي
فسطاط المسلمين يوم الملحمه الكبري وقد تقدم القول
ان الخوارزمي قال طفت جوانب الارض الاربعه فذكر فضل
غوطة دمشق عليها فضلها على غيرها كانها الجنه صورت

على وجه الارض * واما وصفها فكثير جداً المحكي منه قول ابن عنين

دمشق فبي شوق اليها مبرح وان لج واش او الح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول عرقله

ما بين سطرى ومقرى جنة سرحت انهارها في ظلال الآس والبان
يظل نثورها في الارض منتثرا كانما صيغ من در ومرجان
فالطير يصدح في اغصانها سحرا هذا هو العيش الا انه فاني

وكذلك قول ابن عنين وقد نفي منها

فسقى دمشق وواديها والحمى متواصل الارعاد منفصم العرى
حتى ترى وجه الرياض بعارض احوى وفود الدوح ازهر نيرا
ولقد ابا ما قطعت خميلة ما بين حرة عالقين وعلبرا
تلك المنازل لا اعقة عالج ورمال كاظمة ولا وادي القرى
ارض اذا مرت بها ريح الصبا حملت عن الاغصان مسكا اذفرا
فارقتها لا عن رضى وهجرتها لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

وقول البحتري

العيش في ظل داريا اذا بردا والراح نمزجها بالراح من بردا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا

تمشي السحاب على جبالها فرقا ويصبح النبت في محرابها بددا
ولست تبصر الا واديا خضرا او يانعا خضلا او طائرا غردا
كانما القيظ ولى بعد جيئته او الربيع اتى من بعد ما بعدا

ومدامتها الموصوفة في الآفاق المعروفة في مغارسها بكرم العراق تنشر كاساتها الذهبية حمرا وتوقد في صفحات الخدود جمرا فمن حمراء كانها لهب ومن صفراء كالزجاج المذهب ومن بيضاء كانها نطفة غدير او فضة طافت بها قوارير او وردية تتضاحك في الشفاه اللعس ثغورها المفلجة وتخالطها الصفا لخد اسمر بحمرة تضيء في دجى الليل مصابيحا وتهدي الى الجلساء بريحها تفاحا وبلاد الشرق بها ما رق عن الزجاج وخف عن مخالطة المزاج يتعلق فوق الماء على الاقداح وتعلو حمرته عليه كالشفق على المصباح يطير عليها الشعاع ويطيب الى قهقهة قيانها السماع وصيدنايا معدن ذهبها وافق كوكبها واليها اشار ابن عنين بقوله

ومدامة من صيدنايا نشرها من عنبر ومقيضها من صندل
مسكية النفحات تشرف اصلها عن بابل وتجل عن قطربل

وقد خالف القاضي الفاضل الناس حيث قال يذم دمشق ودخلت دمشق وانا ملتاث لتغير مائها وهوائها وابنيتها وابنائها واوديتها واودبيها ومن في مصر فاني ابع بردا نشرته من هوائها فالظل

هايل ولا طايل وما سمعناه من تلك الفضايل مستطايل ووال فيها وقد
وقع عليها الثلج واما دمشق فنادرها اليوم للثلج فوالب وقد اخذ في
ارميزوب فالشوارع تحتاج الى مراكب ه وبدمشق من كل
ما في مصر من الوظايف وليس هذا في بقيه بلاد الشام مثل قضاه
القضاه الاربعه من المذاهب الاربعه وقاضي عسكر وخزانه يخرج
منها الانفاقات والخلع وخزاين سلاح وزردخانات وبيوت
تشتمل على حاشيه سلطانيه مختصره حتى لو حضر السلطان في البها
حربيه وجد بها من كل الوظايف القايمه بدولته وكل امير العشر
فيها او في غيرها من الشام او ولي رتبه وظيفه وظيفه من عاده
مسلمها ان يخلع عليه او خدم احد خدمه في مهم من المهمات او
امير من الامور يستوجب عليه خلعه او انعاما ولم يخلع عليه من مصر
او لم ينعم عليه من مصر كان من دمشق خلعته والانعامه ومنها
خروج اعلام الامرا وطلايعهم وشعار الطبلخانات وفي خزاين
السلاح بها معمل الجانيق والسلاح والزرد خانات ويحمل الى جميع
الشام ولمصر به البلاد والقلاع ومن قلعتها تجرد الرجال
وارباب الصنايع الى جميع قلاع الشام ويندب في التجاريد والمهمات
وهي مدينه جليله وقلعتها مرحليه على الارض يحيط بها وبالمدينه
اسوار عليه يحيط بها خندق يطوف الما منه بالقلعه واذا
دعت الحاجه اطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينه فيعمها وهي

في وطاة مستويه باردة عن الوادي المنحط عن منتهى ذيل الجبل مكشوفه
الجوانب لممر الهوا الا من الشمال فانه محجوب بجبل قاسيون
وبهذا تعاف وينسب الى الوخام ولولا حجبها الغربي الملبس بالمروج
صيفا وشتا لكان امرها في هذا اشد وحال مكانها اسوء
ولكنه درياق ذلك السم ودوا ذلك الدا وهي مدينه حسنه
الترتيب جليله الابنيه بالحجر والخشب والاجر مصنب بين مداميك
البنا بالخشب الملبن واخشابها من خير اخشاب الارض يسمى الحور
ينصب في بساتينها ويربى ويقطع في اوقاتها يعطى اللبان
فاذا انكسر عود منها بقي في مكانه متماسكا على سنين
واكثر ولو انه متعلق بقدر شعره واحده ولهذه المدينه خواص فسيحه
من حسنها انها الاربع والما حاكم عليها من جميع نواحيها باتقان
محكم على ما نذكره في صفه نهرها وهذه المدينه معقبه على جوانب
الجامع بها لا اعلى لها واسطها من كل الجهات فان ما بينه وبين نهايه
المدينه من القبله وما بينه وبين نهايه المدينه من الشرق اوسع مدى
مما بينه الى نهايه المدينه من الجانبين الاخرين الشمالي والغربي
واشرف هذه المدينه ما قرب الى الجامع منها وبها الدور الجليله
المذهبه السقوف المفروشه بالرخام ومنها ما هو مؤزر الحيطان
بالرخام المنوع المفصل بالصدف والذهب والبرك الما الجاريه
وقد يجري الماء في الدار في اماكن وبها الطباق الرفيعه والافنيه

الوسيعة والاسواق المليحة الترتيب والقياسير الحصينة وبها الصناع
المهرة في كل فن من النساجين وصناع السلاح والمصوغ والزركش
وغير ذلك ويعمل بها الطرايف الاعمال في كل نوع وصناعها
تفخر على بقية صناع هذه المملكة الا فيما قل سيما بمصر ٥
ومصر والشام والعراق والروم يستعمل من لطايفها خصوصا في
القسي والنحاس المطعم والزجاج المذهب وجلود الخراف المدبوغ
بالقرظ المضروب بها المثل وهي احد جنات الدنيا الاربع
وقال الخوارزمي رايت جنات الدنيا الاربع وكان فضل
غوطة دمشق عليها كفضلها على سواها ٥ انها الجنة على
الارض حسبما ذكرناه وبها البساتين الانيقة تتسلسل
جداولها وتغني دوحاتها وتتمايل اغصانها وتغرد اطيارها
وفي بساتين التي بها العماير المصخمة والجواسق العلية والبرك
العميقة والبحيرات الممتدة عليها العروش المظللة يقابل
بها الاواوين والمجالس وتحف بها الغراس والقضوب المطرزة
بالسرو الملتف البرود والجوز الممشوق القدود والرياحين
المارجة الطيب والفواكه الجنية والثمار الشهية
والبدايع التي تغنيها شهرتها عن الوصف وبها في سفح
جبل قاسيون الصالحية وهي مدينة ممتدة في سفح
الجبل بازا المدينة في طول مدى ذات سوق وجوامع ومدارس

ورباط وتربة جليلة وعماير ضخمة ومارستان واسواق جليلة
بالبز وغيره وباعلاها الجامع ذيل الجبل المقابر العامة وجميع
الصالحية مشرفة على دمشق وغوطتها وكل بساتينها وسرقها
وصاديها وبحيري واديها وجبابيها القرى ٥
كان دير مران المشهور مكانه الان من المدرسة المعظمية
الى عقبة دمر ومن هناك بقايا اثار ٥ واما خواص
دمشق فهي كما قدمنا القول جليلة من جميع جهاتها
واجلها ما هو في جانبيها الغربي والشمالي فاما الغربي
فانها تفضي من تحت القلعة بها في ساحة فسيحة هي سوق
الخيل على ضفة الوادي ويخرج اليها من جوانب المدينة
من امتعة الجند فتباع في ايام المواكب بها وفيما يليها
من الوادي الى سترين محيطين به قبلة وشاما في ذيل
كل منهما ميدان اخضر بالنخيل والوادي يشق بينهما
وفي الميدان القبلي منهما القصر الابلق بناه الملك الظاهر
بيبرس البندقداري الصالحي وطاهر من وجه الارض الى نهاية
اعلاه بالحجر الاسود والاصفر مدماكا من هذا ومدماكا
من هذا بناء لعب غريب واحكام عجيب ويدخل من دركاه
له على جسر راكب العقد على مجرى الوادي الى ايوان
يرى يشرف على الميدان القبلي اسجده قوس الاقوام

زمان بنا بنيانها ثم يدخل الى القصر من دهليز فسيح مشتمل على
قاعات ملوكية تستوقف الابصار وتستوهب الشموس من
اشعتها الانوار بالرخام الملون فاما ازاميا في مغارسها وصدورها
واعاليها واسافلها مموهة بالذهب واللازورد والفص المذهب
وازر من الرخام الى سجف السقوف وبالدار الكبرى بها ايوانان
متقابلان تطل شبابيك شرقيها على الميدان الاخضر
الممتد وغربيها على شاطي الوادي المخضر والنهر به
كانه ذايب الفضة ولها الرفارف العالية الشامخة للسحب
تشرف من جهاتها الاربع على جميع المدينة والغوطة والوادي
كامل المنافع بالبيوت الملوكية والاصطبلات
السلطانية والحمام والمنافع المكملة لساير الاغراض
وتجاه باب القصر باب من رحبته الى الميدان الشمالي وعلى
الشرفين المقدم ذكرهما ابنية جليلة من سوق ومناظر ومساجد
ومدارس وربط وخوانق وزوايا وحمامات ممتدة على جانبين
ممسكين طول الوادي وقد بني في هذه السنين نايب السلطان
بها على الشرف القبلي منهما جامعا بديعا بالنيه تربة صحنه
ودارا ملوكية ومدرسة بازاء الجامع سوقا لطيفا وحماما فايقا
زاد المكان حسنا على حسن وابداعا على ابداع
واما حاضرها الشمالي ويسمى العقيبة فهو مدينة مستقلة

بذاتها ذات جوامع ومساجد ومدارس وربط وخوانق وزوايا
واسواق جليلة وحمامات وبها دور كثيرة للامراء والجند
واما نهر دمشق وهو بردا فمجراه من عينين المبعد
منهما دون قرية تسمى الزبداني والادنى منها عين بقرية تسمى
الفيجة بذيل جبل عظيم والما خارج من صدع في
نهاية سفل الجبل وقد عقد على مخرج مايه قبو رومي البنا
ثم تتفرق منه انهر في مجرى النهر ثم ينقسم النهر بعد اثنان
عن اليمين واثنان عن الشمال مرفوعان على مجرى النهر
في قرار الوادي دايمة بمقتسم معلوم وعليه الفاف البساتين
ممتدة من الجانبين الى ان يمر على المكان المسمى بالربوة
وقد بنى الملك العادل الشهيد نور الدين محمود بن زنكي رحمه
الله بها المقام المعروف بمهد عيسى يقال ان مريم اوت
اليه بولدها عيسى عليه السلام وان هذه الربوة هي المعنية
بقوله تعالى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ومنظر
هذا الوادي من اعجب المناظر لتراكم الظل والما واظلال
الشمس والهوا وافراش الجليلين المحدقين به في ارضه
بالبنفسج تحت الاشجار المتمايلة على غصون البان
تتفتح بينها خدود الورد وتفتر مباسم الياسمين وتندلق
السن السوسن ويتجاوب فيها هدير الما والحمام

وتتلاقى خيوط النسيم الطاير من الشمال على منابت الشيح
ومن القبلة على الحدايق الفيح وان الى جانب هذا الوادى
في قبلته لشمال سطح ممتد على ظاهر المزة كانه قطعة بيدا
مقفرة ينبت بها الشيح والقيصوم وتتلاعب بها الصبا
والدبور عرفت بصحة الهوا وفسحة الفضا تطاب به ما حاورها
وصح لاجله ما قاربها ثم نعود الى ذكر النهر ٥
وتسمى الانهار السبعة بمجرى الوادى والستة المقسومة
فمجرى الوادى بردا فاوقع عليه هذا الاسم لا يعرف بغيره
وعلى يمنة بردا في الجانب الغربى الاعلى الاخذ قبلة
نهر داريا ودور المزة ودونه نهر القنوات ودونه نهر
باناس وعلى يسرة بردا في الجانب الشرقي الاخذ شمالا
الا على نهر يزيد ودونه نهر ثورا فاما القنوات وباناس
فهما نهر المدينة حاكمان عليها ومسلطان على ديارها
يدخل باناس القلعة بها ثم ينقسم قسمين قسم للجامع
وقسم للقلعة ثم ينقسم كل قسم منها على تقاسيم تفرق
على اصابع في المدينة باصابع مقسومة وحقوق معلومة وكذلك
تنقسم القنوات في المدينة ولا مدخل له في القلعة ولا الجامع
ويجرى الما في قنى مدفونة في الارض الى ان يصل الى مستحقيها
ويتسع في منافعها ثم تنصب فضلات الما والبرك في مجارى

المتضاوات والمرتفقات الى قنى وسخ معقودة تحت ارجات الما
المشروب ثم تتجمع وتتنهر وتخرج الى ظاهر المدينة لسقى الغيطان
واما بقية الانهر خلا مجرى بردا فانها تنصرف الى البساتين
والغيطان وعليها القصور والبنيان خصوصا ثورا فانه يسيل
دمشق عليه اجل مبانيهم وبه متنزهاتهم واليه اكثر سيادتهم
وتوجهاتهم تخاله من يراه زمردة خضرا لتراكم الافيا عليه
والتفاف الدوح من جانبيه ويجرى يزيد في ذيل الصالحية
ليسقى خططا من عمارتها واما مجرى بردا فانه يفترق منه فرقة
بجانب المدينة تدخل الى داخل سورها وتدور به ارحاوها
وينصب باقيها في مجرى الوادى الى ان يخرج من حدود العمارة
والارحا المنصوبة عليه الى تتمة الوادى تحف به الغياض المتكاثفة
من السفرجل والجوز والبساتين ثم يرمى الى ظاهر قرى دمشق
ليسقى ما لحكم عليه ثم ينصب في بحيرة هناك متصلة بالبرية
هذه امهات الانهار من بردا وما ينقسم منه على ان كل
نهر من هذه الانهار تنقسم منه انهار كبار وصغار وتتشعب من تلك
الانهار جداول ثم تفرق في البساتين والغيطان لسقى اراضيها
وادارة ارحايها مما لا يكاد يعد كثرة ٥ فاما مسجدها
الجامع فصفته طاير في الدنيا كان هيكلا لعباد الكواكب
ثم كنيسة للنصارى الى ان فتحت دمشق على ايدى ابي عبيدة بن

الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما تجري عليه حكم الما صفا فوقع
نصفه الشرقي للمسلمين وبقي نصفه الغربي بايدي الروم الى خلافة
الوليد بن عبد الملك فاستخلصه واتمه جامعا للمسلمين وهو بيت
عبادة من قديم وقد ذكرناه فيما تقدم ٥

اما جملة اعمال دمشق

فهو ثمانية وعشرون عملا وهي ما نذكر عمل صواحبها
ويسمى بولاية البر وهو الغوطة والمرج وجبة عسال والاقليم
كل هذا عمل واحد والبلاد الساحلية القبلية وما تبعها
وهي عبارة عن بلاد غزة وما جاورها سهلا ووعرا وهي تسعة
اعمال فخاصة غزة ثلثة اعمال وهي عمل غزة وعمل
قرتيا وعمل بيت جبريل والساحل ثلثة اعمال وهي
عمل الرملة وعمل لد وعمل قاقون والجبل وهو ثلثة اعمال
عمل نابلس وعمل القدس الشريف وعمل بلد الخليل عليه السلام
فهذه جملة هذه الاعمال والمشاهير منها مذكور في عمله من موضع
الانابلس فاننا نذكرها هنا فنقول
انها مدينة ممدنة يحتاج اليها ولا تحتاج الى سواها والصفقة القبلية
وهي بلاد حوران والغور وما مع ذلك وهي عشرة اعمال وهي
عمل بيسان وبيسان لها قلعة من بنا الفرنج وهي مدينة الغور
وعمل بانياس وهي مدينة الجولان وبها قلعة الصبيبة وعمل

الشعرا وعمل نوى وهي مدينة قديمة وبها قبر ايوب عليه السلام
وعمل اذرعات وهي مدينة البثنية قال البلاذري ولما فتح
المسلمون بصرى اتاهم صاحب اذرعات فصولح على مثل ما صولح
عليه اهل بصرى على ان تكون البثنية خراجا ومضى يزيد بن
ابي سفيان حتى دخلها وعمل عجلون ومنه الصويت وقلعة عجلون
بين الاردن وبلاد السراه وهي محدثة صغيرة المقدار مبنية على
جبل مطل على الغور يعرف بجبل عوف لانه كان به قوم من بني عوف
اهل عتو فلما اقطع الملك العادل ابو بكر بن ايوب هذا الجبل عز
الدين اسامة بنى هذه القلعة لتحصين نوابه منهم لعدم تمكنهم منهم واي تارك
فلما تكاملت مدة بناها حصر مشايخ بني عوف وقبض عليهم وحبسهم
وكان مكانها دير يسكنه راهب اسمه عجلون فسميت به واما
الباعونة فكان مكانها ايضا دير به راهب اسمه باعونة فلما
بنيت سميت باسمه وعمل البلقا ومنه الصلت قال البلاذري
ومن البلقا كورة السراه وفيها الحميمة وفيها كان منزل علي بن
عبد الله بن العباس ومن البلقا مآب وعمان فاما عمان
فان يزيد بن ابي سفيان فتحها واما مآب فان ابا عبيدة رضي الله عنه فتحها
واما الصلت فان قلعتها من بنا الملك المعظم عيسى بن العادل
وكان السبب في بنائها انه عمرت لاجل رهبان فخرج عليهن
طايفة تعرف ببني رهبان من اهل قديم كانوا يهودا فنبشوا واحدثوا

جماعة ممن بناها على قنة جبل يعرف برأس الأمير وكان بها كانها
ثغراً ملتقم وعمل صرخد وهي مدينة قديمة وقلعتها محدثة
بنيت بسبب الشهيد نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى
وآخر ما انتهت اليه في الدولة الايوبية الى يد نواب الظاهر
علي بن العزيز كان بها من قبله مسعود بن قليج المعتب
فلما جاءها عسكر هولاكو بعد اخذ دمشق هدموا شرفاتها وابقوها
بلا تجديد الملك الظاهر بيبرس البندقداري حصنها وحسنها
وصرخد مدينة حوران العليا وعمل بصرى وهي مدينة حوران
السفلى بل حوران كلها بل هذه الصفقة جميعها قال البلاذري
وبصرى قصبة حوران وهي مدينة على سيف البرية ولها ذكر
في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ودخل اليها قبل بعثته وهو
تاجر لخديجة بنت خويلد الاسدية رضي الله عنها وفيها لقي
بحيرا الراهب وبها مبرك الى عصرنا هذا وقال البلاذري
اجتمع المسلمون عند قدوم خالد بن الوليد على بصرى ففتحوها
صلحاً وانبثوا على حوران فغلبوا عليها وقال ابن جرير
وقد ذكرها في هذه النواحي قلعة صرخد وهي محدثة ثم كان بها
ملوك بعد ملوك قلت وهكذا جرت العادة في
عصرنا وما تقدمه مما ادركته ان تكون لمن انزل عن دست سلطنته
او ما قاربها ه وعمل زرع فهذه جملة الاعمال

والصفقة الساحلية والجبلية الشمالية وهي اربعة اعمال وهي عمل
البقاع العزيزي وعمل البقاع البعلبكي وعمل بيروت وهي ثغر
على ضفة البحر وعليها سور من حجارة وبها جبل فيه معدن حديد
ولها غيضة من اشجار الصنوبر تكسيرها اثنا عشر ميلاً تتصل
بلبنان وشرب اهلها من الآبار وهي بلد في صدر دمشق وعمل
صيدا وعليها سور حجر وهي تنسب الى رجل من ولد كنعان بن حام
وكورتها كثيرة الاشجار غزيرة الانهار تشتمل على نيف وستمائة
ضيعة وشرب اهلها من ماء يجري اليهم من قناة فهذه جملة
هذه الاعمال والصفقة الشرقية الشمالية وهي البلاد الحمصية
وهي اربعة اعمال وهي عمل حمص وعمل حماة وعمل سلمية
وعمل تدمر وتدمر مدينة شامية عراقية لاتصالها ببر العراق وبر
الشام وهي مدينة جليلة سليمانية البناء وبها بساتين جليلة
ومتاجر مغلة ولاهلها يسار ومنها تجار تضطرب في الارض
فهذه جملة المملكة الدمشقية ه

وبعلبك مدينة قديمة البناء شمالي دمشق يقال
انها من بناء سليمان بن داود عليهما السلام لها قلعة عظيمة من جليلة
على وجه الارض مثل قلعة دمشق تشتمل برجها وبالمدينة سور منيع
محصن عظيم البناء بالحجارة النقل الكبار من الصخر الشديد المانع
وبها ثلاث احجار عظيمة محمولة تحت برج ... كوامل ذوات الطوال

وعروض وسمك مرتفع كافلاق الجبال وفي القلعة عمد عظيمة شواهق
وسعة المدور مسرفة العلو وفي هذه القلعة من عماير من تقدم
بها من الملوك الايوبية اثار ملوكية جليلة القدر جلية الحسن
كالدار الامجدية والنجمية واما المدينة فمختصرة من دمشق
في كمال محاسنها في حسن الترتيب والبنا وجهات الوقف العامرة
من الجامع والمساجد والمارستان ودار الحديث والمدارس والربط
والخوانق والزوايا والاسواق اللطيفة المشتملة على انواع المبيعات
وتخترق الما في دور هذه المدينة ومشارعها واسواقها ويعمل بها الدهان
الفائق في الماعون مما يستحسن ويحمل منه الى كثير من البلاد ويحف
بالمدينة غوطة عظيمة انيقة ذات بساتين مشتبكة الاشجار بانواع
الثمرات الحسان والفواكه المختلفة الالوان ولبعلبك في ظاهرها
عين ما سارحة منبعة الدائم مشهورة بالزينة ماوها في غاية
الصفا عليها بهجة الحسن بين مسرح اخضر وبستان مونق وعليها
مسجد واسجد الى جانبها مسجد جامع كمل به طرازها المذهب
وسما لها المبدع يمد منها نهر يتكسر على الحصبا في خلال تلك
المروج كنصل سيف لمن فوق مستو الى ان يدخل المدينة
وتتقسم منه في دورها وجهاتها ويسمى راس العين ولبعلبك
عين اخرى اغزر من هذه الاولى مدى يقال لها عين اللجوج
في طرف بساتينها البعلية حقيقة الما ها ضمه لا ميثوب اكابر بعلبك

واهل النعمة بها الامر مالكها ويتصل منها فرع الى الجانب الشمالي من
بعلبك ويصب منه في قناة هناك ويدخل الى القلعة منه وهو
من الما المستطاب الموصوف في البلاد وبعلبك بلد لطيف طريف كثير
الخير والارزاق ارخص اسعارا من دمشق كثير الاطايب وبها الملبن
المعمول على انواع يقل وجود مثلها في الارض لا يكاد يعوزها من
دمشق فايت وبها جبل لبنان المشهور المبارك البقعة موطن الاوليا
والصلحاء والسواح ياوي اليه كثير ممن انقطع الى عبادة الله عز وجل
وهو مدرج طريق الفقرا وقطب مدار الاوليا يعبر بهذا من عرفه ولا
يستطيع انكاره من جهله ومع ما ذكرنا من حسنها قد ذمها
القاضي الفاضل فقال وكتابي اليها من احدى المضايق
بل المطابق المسماة بعلبك وانا نازل على عين يصم السمع هديرها
فوق جبال يقمر العين صريرها تحت سما قد رابني منها العذاه
سفورها انا مني قتال يدير كاس الموت فيه مديرها وراي احجار
المنجنيقات التي اذا دارت نقطها حروف البروج محيت سطورها
والله المستعان على ما تصفون

حمص

مدينة قديمة اسمها القديم سوريا كانت معظمة عند ملوك
الروم كرسي ملك لهم ولم تزل تشار اليها بينهم بالتعظيم
وهي في وطاة ممتدة على جانب نهر العاصي في شماليه مبنية بالحجر
الاسود الصغير وبها قلعة لا تمتنع ويستدير بها سور هو امنع من القلعة

واستمنح من ابراجها في الرفعة ولها من العاصي ما مرفوع يجري الى دار
نائب السلطنة بها وبعض مواضع بها ولها من بر بعلبك انواع
الثمر وظاهرها احسن من باطنها لاسيما في زمان الربيع وما تلبس به
ظواهرها من حلل الربيع الموشعة بالازهار رما مد النظر من ابواب حداق
النرجس وثغور الاقاح وتتوسط بها البحيرة الصافية الما الصافية
النما ذات السمك المنقول من الفرات اليها حتى تولدها والطين
المنبوث في نواحيها وبها الى جانب مسجدها الجامع قبة العقارب
لا يوجد لها نظير يقال انها طلسم قديم موضوع لدفع العقارب عنها
ولاجل هذا لا يوجد بها شخص عقرب ولا يحمل عقرب اليها
الا ويموت بها ومن اخذ ترابا من ارض حمص وسلطه ما حتى يصير طينا
ثم الصق تلك الطينة ببعض جدران تلك القبة من داخلها وتركها
حتى تسقط بذاتها من غير ان يلقيها احد ثم اخذها ووضع شيا
منها في بيت لا يدخله عقرب او في قماش لا يقربه عقرب فان ذر على
عقرب منه احدث بها مثل السكر وربما زاد عليها فقتلها هذا
لا يحتاج لسؤال عن تحقيقه ولا يابى من هو في غاية المشرق او
المغرب من تصديقه بل والذي يقال ان هذا لا يختص بهذه القبة
وانما هو حاصل في عامة ارض حمص لا يقرب عقرب ترابه والمعتمد
ما دام عليه من غبار ترابها حدثني خلق بهذا ورايت بعيني وجربت
ما يتعلق بالطين الملصق بالقبة والى هذا اشار الفاضل في

في التسبري بفتوحها ودب البهاس عقارب المحاسن ما خالف عاد حمص في
العقارب ورميت بها الحجارة على الحجارة وظهرت العداوة المعروفة بين
الكارب ٥ وحمص تتلو الاسكندرية فيما يحل فيها من العمائر
الفائقة على اختلاف الانواع وحسن الاوضاع لولا قلة ماها وحموحتيمه
مع انه يبلغ الغاية في اليمن وان لم يلحق اسكندرية مصر فانها تفوق
صنعا اليمن ٥

حماه

مدينة قديمة وهي في وهدة حمرا ممتدة عليها لتبزان عاليان مطلا
عليها السيما ان ونون حماه ذكرها امرؤ القيس وهي وشيزر
في شعره المار بهما في طريقه الى قيصر وهي مبنية على صفة العاصي
بنا متمكنا بالحجارة ولها قلعة ملونة الاحجار لتسد بها سور
وسوق ملوكها وسروايها مطل على النهر بها القصور الملوكية
والدور السرية والمساجد والمدارس والربط والزوايا والاسواق
التي لا يعدم نوعا من الانواع ولا صنفا من الاصناف جليلها
وحقيرها وغالب مبانيها العلية واثار الخير الباقية فيها
من مواصلة نعم الدولة الايوبية فيها ولها النواعير المركبة
على العاصي تدور بذاتها وترفع الما الى الدور السلطانية ودور
الامرا والكبرا والبساتين والغيطان وفي بساتينها الاشجار
والغراس المتقنة الافنان وبها بقايا الملوك من بني ايوب الى
يومنا هذا ولولاهم لخلا هذا القطر من بقايا الناس وانموذج

الكرام يحل بهم الغنا بضيافتهم والشعرا بمدائحهم ويقصدهم الفقرا
والسوال وطوايف بني الامال وتتفنن ارباب الصنايع في دقايق الاعمال
وتقدم اليهم التحف ويخصهم التجار ببدايع الطرف وكرمهم يربي على الامل
ويزيد على الرجا حتى ان كل احد يتعلق من ملوكها بالمطامع بسبب
ويفدهم بفضل وهم اجود من الغمام السكوب واندى من الرياح بذي
عند الهبوب ثم نعود الى ذكر حماه فنقول انها لم تكن في القدم
نبيهة الذكر وكان الصيت دونها لحمص ثم تنبهت في الدولة الاتابكية
ذكرها فلما جات الدولة الناصرية الصلاحية وانتقلت حماه الى
ملوك بني ايوب مصروا مدينتها بالابنية العظيمة والمساكن الفاخرة
وتامير الامرا فيها وتجنيد الجند بها وعظموا اسواقها وزادوا
فيها القصور والغراس وجلبوا اليها من ارباب الصنايع كل
من فاق في فنه وبقي كل ما يحل بها يكبر ويزداد الى ان اصبحت
الان تامة المحاسن معدودة في امهات البلاد ومحاسن الممالك
وبها الفواكه الكثيرة والخيرات الغزار واسعارها رخيصة
وسمتها ملوكية خلا انها ذات وخم في الصيف لحجب الهوا عن
اختراقها ويعرض بها في الخريف تغيير ينسب الى الوخم ولا يبقى
بها الثلج كما يبقى في بقية الشام مدخرا الى الصيف ولكن يجلب
اليها مما يجاورها وحول حماه مروج ممتدة وبر فسيح يكثر
به مصايد الطير والوحش وليس بعد دمشق في الشام لها شبيه

ولا يدانيها في لطف ذاتها من بعيد ولا من قريب ولا بعلبك وليس لها
سوى عملين عمل بارين وعمل المعرة ٥

وحلب مدينة عظيمة قديمة ام اقاليم وبلاد واغوار
وانجاد وبها معظم قلاع الشام ومعاقله وحصونه وثغوره وتسمى
حلب الشهبا وهي ذات القلعة البديعة العلية المنال وهي اعني
حلب في وسط وطاة حمرا ممتدة والقلعة بها على تل عالي
كانت قد عظمت ايام بني حمدان وتاهت بهم شرفا على
كيوان ثم جات الدولة الاتابكية فزادت تحصينا واتخذت لها
من بروج السما منطقة واسوارا ولم تزل على هذا الشان الشهبا
بالتعظيم وتابى اهلها في الفضل عليها لدمشق التسليم حتى وطيها
هولاكو بحوافر خيله واقام عليها مفرقا في اقطار الكلام بعوث
سراياه وجنده فهدمت اسوارها وخربت خواصرها فاصبحت
يرثي لها الشامت ويبكي بها اللاهي وهي على ما توالى عليها
من المحن واطاف بها من نوب الايام مصر جامع ومصر رابع
مبنية بالحجر الاصفر الذي لا يوجد مثله في البلاد كانها برد رافله
في حلل الديباج ماثلة في ذهبية الاصيل وبها الدار العظيمة
والجامع ذو المآذن العليا الفائقة والمارستان والمساجد
والمدارس والربط والخوانق ووجوه البر الدايم والصدقات الجارية
ويجري الى داخل المدينة فرع ما يتشعب في دورها ومساكنها

وهو قليل بُرٍّ لا يبل صداها ولا يكفي نغبتها ولها الصهاريج المملوءة
من مياه الامطار صافية النطاف باردة الزلال منه شرب اهلها وبدخل
اليها الثلج من بلادها ولبس اهلها اليه كثير الثياب لبرد هوائهم ومائهم
وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم وبها نهر قويق وهو نهرها القديم
وبه نهر الساجور يستجد فيها ساقه هذا السلطان اليها وحكمه جاريا
عليها وحلب اوسع الشام بلادا واوطاها اكنافا لجبل الامد
مجالا ولها المروج الفيح والسهل الممتد حاضرة وبادية ومنازل عرب
واتراك بها جند كثيف وامم من طوايف العرب والتركمان وبها
البطيخ القليل في الشام مثله وانواع من الفواكه اكثرها مجلوبة
من بلادها متصلة لسيس والروم وبلاد ديار بكر وبرية العراق
وفي اعمالها وادي الباب وبزاعة وهو الوادي المشهور نزل به المنازي
الشاعر ووصفه بقوله

وقانا لفحة الرمضا وادٍ ... [illegible]ه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظماء زلالا ... الذ من المدامة للنديم
يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم
تصد الشمس انى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم

واما اعمالها فهو كثير منه قلاع وحصون ومنه ما ليس له قلعة وعدة
الجميع ثلثة وعشرون عملا وهي عمل شيزر المدينة المشهورة

وعمل الشغر وبكاس وهي قلعة وعمل القصير وهي قلعة وعمل
دبركوش وعمل حارم وعمل انطاكية المدينة العظيمة المشهورة
المذكورة وعمل بغراص وهي قلعة حصينة ثغر الارمن والدربساك
وهي قلعة وعمل جسر شغلان وهي قلعة وعمل الراوندان وهي
قلعة وعمل عينتاب وهي مدينة مليحة جليلة وعمل مدينة
بهسنى وهي مدينة جليلة على ما يذكر وعمل كركر وهي قلعة
وعمل الكختا وهي قلعة وعمل البيرة وهي القلعة الجليلة المشهورة
وعمل قلعة المسلمين وهي قلعة جليلة وعمل منبج وعمل
الجبول وعمل سرمين وعمل عزاز وعمل سرمين ومعها الفوعة
ومسرين وعمل كفرطاب وعمل الباب وبزاعة المقدم الذكر

اطرابلس

قد قدمنا القول على انها بنيت
عند الفتح عوض اطرابلس العتيقة وكانت تسمى قديما بدار العلم
وتداولها ملوك بني عمار وكانوا في الاول هم القضاة بها
ولما بنيت هذه المدينة الحديثة كانت وخيمة البقعة ذميمة
المسكن فلما طالت مدة سكناها وكثر بها الناس والدواب
وصرفت المياه الاجنة التي كانت حولها الى منافع وعملت بساتين
ونصب بها النصوب والغرس خفف ثقلها وقل وخمها
وقد كان بها اسد مر الكرجي نايبا وبقي لا يستقل من لوثة وخم
فشكا الى الحكيم الفاضل امين الدين سليمان بن داود المتطبب

وجاء منها وسأله عما تحقق بعض ذلك فأشار عليه أن يستكثر
بها من الحمام وتقية الدواب ففعل ذلك وأمر به الأمراء والجند
فخف ما بها وكان الأمر كما أشار به الحكيم وسألت عن تعليل
هذا كثيرا من الأطباء فقال إنه لا يعرفه وفوق كل ذي علم عليم
وأما ما قاله لي الصدر نجم الدين أبو بكر بن غانم رحمه الله فإنه
قال إن السبب فيما يعرض للأجسام بها أنها تجاور البحر وغمرة
حارة فتكون في أول الليل كذلك فلا يعمل فيها ثقيل الغطاء فإذا
نام النائم فلبث الدثار فاجأه البرد الشديد في آخر الليل
من قبل الجبال المجاورة لها فيجيء البرد عقيب الحر والمسام مفتحة
والنائم في غفلة فيحدث له ما يحدث ٥ ولها نهر يحكم على
ديارها وطيقانها تخترق الماء في مواضع من أعالي بيوتها التي لا
يرقى إليها إلا بالدرج العلية وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء
خفيفة الماء ذوات أشجار وكروم ومروج وأغنام ومعز ويجتمع
فيها الجوز والموز وقصب السكر والثلج ويعمل بها السكر ويهوى
إليها موز البحر وترسي بها مراكبهم موضع زرع وضرع وهي
الآن مدينة ممتدة لكثرة الزحام ذات مارستان ومساجد
ومدارس وزوايا وأسوار جليلة وحمامات حسان موصوفة
وجميع أبنيتها بالحجر والكلس مبيضا ظاهرا وباطنا تخيط بها
غوطتها وتحيط بغوطتها مواضع مزدرعاتها بديعة المنظر ف

لمستيقن بعين من يشرف من هضبة عليها وهي مملكة ذات حصون وبركان
وخاصة لأهل الجبال فيها يد في الرمي على القوس الثقيل بالنشاب
الخارق ولها حصون وقلاع وتجاورها قلاع الدعوة المعروفة وقاعدتها
مصياف ومن جملتها قلعة القدموس وبها حمام يخرج بها أنواع حيات
كثيرة لا تحصى حتى إن القاعد في داخلها ليغتسل والحيات طائرة
من الأنبوب مع الماء حتى إن الخارج من الحمام ليرفع قماشه من الأرض
ليلبسه والحيات تتساقط منه ولكنها لا تؤذي أحدا ولا يعرف هذا
عنها في وقت من الأوقات وبالقرب من هذه القلعة قلعة
الخوابي ٥ حدثني الأديب بدر الدين حسن الغزي أن في سورها
أعني قلعة الخوابي مكانا إذا لدغت أفعى أو حية أحدا
وحمل لكي يشاهد ذلك الموضع من سور الخوابي بعينه أو كان
الملدوغ عاجزا فأرسل رسولا إلى ذلك الموضع فأتى إليه وشاهده
بعينه قبل عطب السليم الملدوغ نجا السليم وكانت عاقبته
إلى سلامة وهذا من عجائب ما حدث به في الآفاق فما أدري أهذا
لطلسم هناك أو لخاصية في ذلك الحجر وعلى كلا الحالين هذا
أمر عجيب غريب وأغرب ما فيه كون هذا قيد نفع اللديغ
برؤية رسوله له إذا لم يره هو بنفسه فسبحان من له الحكم وإليه
مرجع الأمر كله ٥ ووادي العوارف بجنب حصن الأكراد غربا
بشمال على الطريق السالك صفته هناك صفة بين قائمة في الأرض

وفي سفل البير سرداب يمتد الى الشمال يغور في كل اسبوع يوما واحدا
لا غير فتسقي به ارض بهم دزعات ويترل عليه الركبان ويردوه ويعيبه الايام
يابس لا ماء فيه ويسمع له دوي كالرعد قبل فورانه والسرداب خلف
البناء وذكر من دخل السرداب ان في نهايته نهرا كبيرا اخذا من
الغرب الى الشرق تحت الارض وله جريان معين وبه موج وريح عاصف
ولا يعرف الى اين يجري ولا من اي جهة يجي وداخل البحر الشامي بطرابلس
عند برج الحصاص بقدر رمية حجر فوارة ما حلو عذب يطلع على وجه
الما علو ذراع او اكثر يبين ذلك عند سكون البحر لكل احد ه

صفد مدينة في سفح جبل صحيحة الهوا خفيفة الما يحمل
اليها الما على الدواب من واديها وبها عين ما الوانها دمع لما ليلت الساق
ولا املت بلى البكا به الاحداق واكثر ما يدخل اهلها حمامات
الوادي بها ولا يرضى حمامات المدينة لقلة مائها وهو وسوء بنائها
وبها عسكر من الجند والحلقة وهي على مسافة يومين من دمشق
يحكمها حكمها وكلما يوجد بدمشق عنها مما هو من صفد
وبلادها ومما هو مجلوب من دمشق اليها وهي الى جانب عكا
وقد خربت عكا وبقيت هي مدينة ذلك الساحل وقاعدة ذلك
ولها قلعة قل ان يوجد لها ثانية كانما عليها من ذهب الاصيل
ثوب لا تدوم السحب الا من صبب ولا يطوف عليها سوى الشفق
مدامة عليه من مواقع النجوم حبب ولا يجاور الارض الا وهي اذا

رامت السما لا يعوقها سبب ولما فتحها الملك الظاهر بيبرس عظم
امرها وهي تستحق التعظيم وتستوجب الرفعة بما رفع الله من بنا
بنائها العظيم وقد ذكرها ابن الواسطي الكاتب فقال وقلعة
صفد بناها الفرنج وكانت اولا تلا عليه قرية عامرة تحت
برج اليتيم بنتها الداوية في سنة خمس وتسعين واربع مائة وقال وهي
قلعة حصينة على جبل يكتنفه جبال واودية ولها احد عشر عملا
وهي ولاية برها وولاية الناصرة منبع الطائفة النصرانية وولاية بلغ
طبرية ذات البحيرة المشهورة والحمة العجيبة وطبرية في
سفح جبل مطل على البحيرة وطول البحيرة اثنا عشر ميلا وحمتها
يقصدها المبرودون للاستشفا ويكاد ان يسلق بها البيض
والحبا وماوها حلو ويخرج منها نهر الاردن ومن عملها قدس
وكان معها قلعتا السواد وبيسان ثم خرجا عنها وولاية تبنين
ومنها هونين وهما حصنان منيعان بناهما الفرنج بعد الخمسمائة
وهما من جبل عاملة بين بانياس وصور وولاية عثليث وولاية
عكا وولاية صور وشهرتهما تغني عن ذكرهما وولاية
الشاغور وولاية الاقليم وولاية شقيف ارنون وعلى الشقيف
قلعة حصينة ويقاربها شقيف تيرون وهو حصن جبلة مغاره
منيعة وما هي من صفد وولاية جينين فهذه جملة اعمال
صفد ومما نذكر فيها حيفا وهي خراب على الساحل

وقلعة كوكب وهي التي وصفها العماد الاصفهاني راسية راسخة شماء شامخة
وقلعة الطور وهي مفردة على جبل الطور بناها العادل ابو بكر بن ايوب
ثم غالب عليها الفرنج فهدمها

والقدس الشريف الارض المقدسة مشتملة على مدينة القدس
وما حوله الى نهر الاردن المسمى بالشريعة الى فلسطين المسماة بالرملة
طولا ومن البحر الشامي الى مداين لوط عرضا غالبها جبال واودية
الا ما هو في حيطانها واما مدينة القدس الشريف فعلى جبل على
مدينة مستديرة في وسطها السور المحيط على الصخرة والمسجد المسمى
الان بالاقصى وانما حقيقة المسجد الاقصى جميع ما يحيط به السور
المذكور وهو المعروف بالسور السليماني ويشرف عليها من شرقيها
جبل اعلا منها يفصل بينها الوادي المعروف بوادي جهنم ويعرف
بالطور وبه الى الان بناء جليل روي يقال ان منه كان صعود
المسيح عليه السلام الى السماء وبهذا الوادي عين سلوان
وهي تخرج من مكان في الجبل الذي عليه بنا مدينة القدس
وتجري الى داخل ذلك الجبل ازيد من غلوة نشاب بقدر ما
ثم تخرج من صدع في الجبل الى ساحة لطيفة في انفراجة في الجبل
لا يرى الاحد ولا جاريا والنبع من داخل الصدع ثم تسيح على
وجه الارض وتجري الى الوادي وتسقي المباقل وماؤها قليل
ليس بالكثير ومدينة القدس مبنية بالحجر والكلس وغالب

حجرها اسود وهي وعرة المسالك وكان بها ايضا قلعة قديمة خربة
حدثت في ايام هذا السلطان سنة عشرة وسبعمائة على يد بلكتمر
الجوكندار اذ كان كافل الممالك ووجودها وعدمها سوا
اذ لا نفع بها ولا تحصين لها وبالقدس مدارس وخانقاه وربط
وزوايا وترب وللمسجد الاقصى بها وقوف كثيرة جارية على مصالحه
والمؤذنين به وجماعة من العلماء والقراء به وقد تقدم القول
في اول هذا الكتاب على ان في القدس لكل الملل معتقدا واليه
توجهها وان اليهود تزوره والنصارى تحج به قمامة وتزور كنيسة
بيت لحم مكان مولد عيسى عليه السلام وقد كانت مدينة القدس
بعد تولي ايدي الفرنج عنها تغلب عليها الهدم والخراب الى هذه
الدولة الغريبة انصرفت الهمم الى عمارة اماكن بها وتوفرت الدواعي عليها
ووفق نايب السلطان بالشام الان الاهتمام بذلك وساق السهل
قناة لسبطها الى بركة لم يجتمع بردها بالماء زمان قبله لما
وتجري الى مدينة القدس وتدخل الى سور المسجد الاقصى وتجري
به وعمر نايب السلطان الى باب جاور الرباط المنصوري قلاوون
مدرسة حنفية ووقفها على مدرس ووقفها وبعضهم على مذهب الامام
ابي حنيفة رضي الله عنه وباعلاها خانقاه مشرفة وتحصن بها مكتب
ايتام حصل له به الاجر التام وللناس الرفق العام اثابه الله وتقبل منه
وعمر بها حمامين جليلين كانت احوج شي اليه لانه لم يكن

بها حمامات مرضية واتسع بها الاسواق والعمائر واصبحت مدينة القدس
ضاحية المرأى آهلة الرحاب وعادت الى ما كانت عليه من التمدن
لقد ان كانت لا تعد من القرى ولا تبدي في جوانبها الثرى وأما
بلد الخليل عليه السلام وهي مزرعة ابرهيم فانها بلدة غير مسورة على نحو
نصف يوم من مدينة القدس بالسير المعتاد وهي منطوية بين جبال لا هي
في صحرا ولا في واد وهي قرية ام عمل ولولا مكان الخليل عليه السلام
بها لم تذكر فيما يذكر وانما عادت عليها بركات ذلك المثوى
الكريم فباهت الاقطار بفضلها وتاهت الامصار باهلها ٥
واحتوى بكثير الحول كذا ر قبل ان يكون كافل الممالك اليها
عين ما كانت على بعد منها ولقد شاهدت بها الماجاريا
في طبقة عليه تصعد اليها من نحو عشرين درجة في العلو والخليل
عليه السلام بها يحيط به سور هو داخل ذلك السور ولا يصح مكان
القبر به على التخصيص وبه سرداب الخليل المنسوب اليه داخل ذلك
السور يوقد عليه قنديل ولهذا تقول العامة صاحب السرداب
والقنديل وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم ٥
والكرك مدينة ذات قلعة تعرف بكرك الشوبك
والشوبك اقدم منها والكرك مدينة محدثة البنا كانت ديرا
يتدير به الرهبان ثم كثروا فكبروا بناءه وكثروا بناءه واوى
اليهم ناس من مجاوريهم من النصارى فقامت لهم به اسواق ودارت

لهم به معايش واوت اليه الفرنج فادارت اسوارها فصار مدينة مشهورة
ثم بنوا الحصن وكانت قلعة مذكورة فاستولى عليها الفرنج
حتى فتح في زمان السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابي المظفر يوسف
ابن ايوب رحمه الله تعالى وهو في مكان صعب المرتقى لا تلين عقارب صخوره
للرقى قد زاحم الشعرى العبور بمناكبه وعلا في السما فالتقى الهلال
نعلا راكبه وتقدم الى البر المقفر على نشز عال لا تبلغه النسر
الا محلقا ولا يغدو مصباح الصباح الاعلى شرق بها معلقا [illegible]
الملوك لمالها حرزا ولمالها كنزا ولم يزل اولاد السلاطين في الامور
ملجا ومن الدهور منجا وماوى من مطر السما وله واد تتفجر عيونه بالما
وهو بلد خصب واقبال ومنبت زرع ومسرح مال ٥ وفيه يعود
الفضل الفاضل وكان الكرك شجى في الحلق حجر وقذى
في المحاجر ورصد الطرقات المسلوكة وصير من السبل المسلوكة
قد اخذ من الامال بمخنقها وقعد بارصاد العزائم وطرقها وصار دينا
للدهر في ذلك العجز وعند التدارك فرض الله من المحجج وجلس
من هام الاسلام مكان عمامته وجثم على انفاس الحجاز فلم يدع
نفسا تصعد من تهامته فواديه من مسايل المعاقل بجمعها وطله
من نجوم الاسنة بمطلعها وهو والشوبك بسير الله الاحد لست الواصف
للاسدين ما سريوبر الا وعندهما لحم رجال او بولغا ردها
وكعو لشارم انه مكان الغزالة ومغربها ومستودع الفريضة ومستقرها

مجاورة لتبوك وغزاتها آخر الغزوات النبوية والى طريقة انتهت
الخطط المحمدية المحمدية والعمل على آخر الاعمال الشرعية والوقوف
عليه اشارة لا تخفى عن الافهام اللوذعية وتحف بهذه القلعة مدينة قد عقد
الجبل حبوتها وازلق الغراب ان يطأ ذروتها وعصم سوار الوادي الملوى
معصمها وحمت غرة الجبل المطل ادهمها فمنكبها حاطم والله يحطمه
وفيها من ثدي الغمام راضع ومهد المنجنيق يفطمه وهصره هصرة فاذا
السلك قايم على عروشه بل طرح على نعوشه قد محيت سلة دانية من الدور
فما يعامل بالسكن فيه اهل الغرور وصار كل مذبح في الكنيسه مربطا
وكل مصعد من قلله مهبطا وكل مسقط راس بالحقيقة لراس مسقطا
وفيه نقول ايضا ومما فتح الله على سلطاننا بلاد الكرك وما ادراك
ما هو قلعة كانت على الاسلام آفة مضرة بل كانت لكعبة الاسلام زادها
الله شرفا ابرهة ضرة وان نعم الله لاكثر من ان يحصر لها حد بيانا وان الله
قد اعشى لليل الشرك نهار الاسلام يطلبه حثيثا وما اشك في ان اهل
الحرم الشريف مع الرماة رماة لسهام الاسحار ويجاهدون وبالحجارة ما
جرحوا ولا بعدوا عن البكار وكلا وعد الله الحسنى ٥

والشوبك المنسوب اليه الكرك مدينة صغيرة اكثر في
البرد حولا منها والخوافي التي تغيب في القبلة عنها ذات الكواكب
من جداول الانهار موضوعة وسرر من مقاعد الابراج مرفوعة وفاكهة
كما قال الله تعالى في الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ٥

والشوبك فتح وقت فتوح الكرك بعد ان دام الحصار
سنتين على الكرك واقطعهما الملك الناصر لاخيه الملك العادل ولم تزالا
في يده حتى اعطاهما لولده الملك المعظم عيسى فصرف اليهما العناية حتى
ترك الكرك مدينة تغني بنفسها وزادها تحصينا وتحسينا وجلب الى الشوبك
غرائب الاشجار حتى تركها تضاهي دمشق في ربواتها وتدفق مائها
وتزيد بطيب هوائها **قلت** وذكر ابن جبير كونه المحاب فقال
وقد لحدثنا به مدينة تسمى الكرك وقال البلاذري في كتاب
فتوح البلدان ان مدينة هذه الكورة الغرندل ٥ واما اعمال
الكرك فهي اربعة زغر وهي مدينة قديمة حارة متصلة بالبادية وبها
نبل جيد ومعان وكان مدينة قديمة خربت هي وعملها ومؤتة
وهي باقية ووقعتها معروفة وبها قبر جعفر بن ابي طالب عليه السلام
والشوبك وهو محدث كما ذكرنا

وغزة

وهي مدينة بين مصر ودمشق بها دفن هاشم بن عبد مناف وبها
ولد الشافعي رحمه الله وهي مبنية بالحجر والكلس موثقة البناء
على تل عال على نحو ميل عن البحر السواحلي الشامي ذات هواء
صحيح وماء مصروف هاضم لا يستلذ ويشرب اهلها من الآبار
ولها مجمع للمطر يدوم به ماء السنة لكنه يستثقل ولها فواكه كثيرة
اجلها العنب والتين وبها مارستان بناه هذا السلطان اثابه الله
احوج ما كانت الحاجة اليه في مكانه وبها من المدارس والترب

ثم ازدانت به وهي نيابة جليلة وبها طايفة من العسكر والتر-
والتركمان وهي آخذة من البر والبحر بجانبيها متصلة ببيت بني اسرايل
من قبليها موضع زرع وماشية ومجمع حاضرة وبادية وقرار به اهلها
عشير ان بعضهم عدو لبعض لولا مهابة الدولة لما حمدت فيها ما د
ولا الم فيها بالمخفور غار لا يطمين فيها ساكن ولا يستقر ظاهر
ولا باطن ٥ ومما استجد مضافا الى هذه المملكة
فهي البلاد الجهانية وبها النيابة بها مدينة اياس وهي الان
عامرة آهلة وكذلك كاورة واسفندكار ونصف المصيصة
لان الذي استقر للمسلمين هو كلما هو الى هذه الجهة الشامية
من جيحان ونصف اذنه منه ونصفها الاخر قاطع جيحان
من جهة الارمن فهو لهم واما ما اختص به المسلمون وبقي عليه
لهم فهو الهارونية وحميص وتل حمدون والنقير وكل
ذلك من دون جيحان الى الشام وكذلك مما استجد قلعة
جعبر وهي شرقي الفرات وقلعة دركة وهي قاطع بهسنى
الى الروم ٥ فهذه جملة هذه المملكة

فايدة جليلة تتعلق بذكر غزة

قالوا يجوز ان يكون اسمها ماخوذا من الغز والغز الشدق وهما
غزان سميت بذلك لانها في فم الشام مما يلي شقة البحر او يكون ماخوذا
من قول العرب اغزت البقرة فهي مغزة اذا عسر حملها سميت بذلك
لعسر السير اليها على الناس والدواب للرمل المتاخم لها ويعرف في القديم
بغزة هاشم سميت بهاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واليها كانت رحلة قريش وهي احدى الرحلتين المذكورتين في القران رحلة
الشتا والصيف وهي الصيفية منهما وكان عليها حصن منيع قد بقيت
منه بقية الى الان هدمته قيس لما لجا اليها بعض قبايل اليمن
وفيها يقول ابو عامر السلمي في قصيدته المسماة بالذاهبة وهي ثلثماية
بيت يهجوا بها اليمن ويذكر ما بينهم من العداوة والاخبار ويذكر مناقب قريش

ونحن الموقدون على حروري ونحن لحصن غزة هادمونا

وفي غزة قبر هاشم بن عبد مناف وبذلك قيل لها غزة هاشم وهاشم
اول من مات من بني عبد مناف وكانوا اربعة اخوة هاشم هذا وقبره
بغزة ثم مات بعده اخوه عبد شمس وقبره بمكة بالحجون
ثم مات بعده اخوهما نوفل بطريق العراق بموضع يقال له سلمان
وقبره هناك ثم مات بعده اخوهم المطلب بارض اليمن في موضع يقال
له ردمان وقبره هناك فهولا بنو عبد مناف الاربعة

تتمة في ذكر سبب سفرهم الموجب لموت من مات منهم غريبا

اتفقوا على انه كان لعبد مناف خمسة بنين وهم سادة قريش كلها
هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس وابو عمرو وكان يقال
لهاشم والمطلب البدران ولنوفل ولعبد شمس الازهران وابو عمرو
مات صبيا فلم يكن له خبر مع اخوته وكانت العرب
وقريش كلها تسمي بني عبد مناف هولاء الاربعة قداح النضار
لشرفهم وجمالهم وبهايهم وكانت قريش كثيرة التجارة الا انهم كانوا
لا يخرجون عن مكة والحجاز وكانت الاعاجم تاتيهم بالبضايع فيشترون
منهم ويبيعونهم فاقاموا على ذلك زمانا طويلا حتى ركب هاشم بن عبد مناف
فخرج الى الشام فنزل بقيصر ملك الروم واسم هاشم عمرو العلى
فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويجعل اللحم عليها ويدعو
من حوله فياكلون معه وكان هاشم من احسن الناس وجها واكرمهم اخلاقا
فقيل لقيصر هاهنا رجل من قريش يهشم الخبز ويصب عليه المرق
ويجعل عليه اللحم وانما كانت العجم تجعل المرق في الصحاف واللحم في المرق
ويأتدمون بذلك ولم يكونوا راوا الثريد فسمي هاشما بهشم الثريد وفيه
يقول شاعرهم بمكة

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وهو اول من فعله من العرب والعجم فدعاه قيصر فلما راه وكلمه اعجبه
اعجابا عظيما فقال له هاشم ايها الملك ان لي قوما هم تجار العرب
فان رايت ان تكتب لي كتابا تؤمنهم فيه على انفسهم وما معهم من المال

والبضايع وغير ذلك فانهم يقدمون عليك بما تستطرفه من ادم الحجاز
وثمره وغير ذلك مما يصير اليهم ولا يبلغك من طرف البلاد فامر
ان يكتب له كتاب جامع للعرب واخذه هاشم وسار فصار كلما جاء
حيا من احياء العرب على طريق الشام اخذ من اشرافهم ايلافا والايلاف
ان يامنوا عندهم وفي ارضهم على انفسهم واموالهم واخذ هاشم الايلاف
من جميع القبايل ممن بينه وبين الشام حتى قدم مكة فاتاهم
بشي لم ياتهم بمثله احد قط فسروا بذلك سرورا عظيما وخرجوا بتجارة
عظيمة وخرج هاشم معهم يكفيهم ويونسهم ويجمع بينهم وبين روسا العرب
في جميع طريقهم حتى وردهم الشام فاحلهم غزة ومات هاشم في ذلك
السفر فدفن بغزة ثم خرج اخوه المطلب الى اليمن ففعل كفعل هاشم
بالشام واخذ من ملوك اليمن عهدا لمن تجر وسافر اليهم من قريش ثم اقبل
ياخذ الايلاف ممن يمر به من العرب حتى اتى مكة كما فعل هاشم
وكان المطلب اكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض لكرمه وهلك عبد المطلب
بردمان من ارض اليمن في سفره سافرها فخرج عبد شمس بن عبد
مناف الى ملك الحبشة فاخذ منه كتابا وعهدا لمن تجر من قريش ورجع ياخذ
الايلاف من كل من مر به من العرب من بلاد الحبشة الى ان اتى مكة
كما فعل هاشم والمطلب فمات بمكة وقبر بالحجون وكان اكبر من هاشم
فخرج نوفل بن عبد مناف وكان اصغر اخوته الى العراق فاخذ عهدا
من كسرى ثم عاد ياخذ الايلاف الى ان اتى مكة ثم رجع تاجرا

الى العراق فمات سليمان في طريق العراق **تنبيه**
البيت المتقدم ذكره اختلف فيه واصح الروايات انه لابن الزبعرى والزبعرى
في اللغة البعير الازب الكثير شعر الاذنين والراس وفيه قصر وغلظ وهو
من قصيدة له في هاشم واخوته على ما ياتي في البيت الاخير منها وهي

يا ايها الرجل المحول رحله هلا مررت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو مررت بدارهم لحموك من جوع ومن اقراف
المطعمون اذا الرياح تناوحت والظاعنون لرحلة الايلاف
والآخذون العهد من آفاقها والناهشون لمقدم الاضياف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

قلت وهذا ختام في ذكر الرملة جر الكلام اليها فرتبها من غيره
يقال ان الذي احدثها سليمن بن عبد الملك بن مروان وان مدينة فلسطين
كانت قبلها لد وان سليمن وليها من قبل ابيه وهو صبي وكان
معه من قبل ابيه من يدبره ويشير عليه والاسم في الامارة لسليمان
وكان الى جانب كنيسة لد بستان حسن العمارة مليح الموضع
كثير الفواكه وكان سليمن كثيرا ما يستحسنه ويجلس فيه ويتنزه
فقال يوما للشيخ الذي يرجع الى رايه وكان يسمى رجاء بن حيوة احب ان
تشتري لي هذا البستان حتى ابني فيه من الابنية ما يصلح لمثلنا وكان
البستان للقسيس الذي يتولى امر الكنيسة فاحضره رجاء وقال له ذلك
فقال سمعا وطاعة احضر لي القاضي والشهود حتى اشهد على نفسي

بذلك وافرغ منه الساعة فاحضرهم وحضر القسيس فقال لهم جميعا الستم
تعلمون ان هذا البستان لي وفي ملكي ويدي لا مانع لي ولا معارض فيه فقال
له القاضي والشهود نعم يريدون بذلك تصحيح الملك ليصح البيع فقال
لهم فاشهدوا الان اني قد حبسته على الكنيسة حبسا ثابتا لا رجعة
لي ولا مثنوية فيه الى ان يرث الله الارض ومن عليها فسقط في ايديهم
وتم مكره وعظم ذلك على من حضر وهم سليمن بقتله فمنعه من ذلك
رجاء ورفق به وشاغله وقال له سر بنا نتفرج ونبرم امرا يكون
فيه هلاك الكنيسة وغيرها فركبا وامر سليمان ان لا يتبعهما احد
فلما فصلا من لد رايا بيتا من الشعر مضروبا على ربوة من الارض
هي الان موضع المصلى وكان الحر قد اشتد فقال له رجاء اعدل بنا
الى هذا البيت لنتطرس به ونستريح فيه الى ان يبرد النهار فعقبا من البيت
وسلما على من فيه وهما لا يريان احدا فبرزت لهما منه امراة ذات
برقع ردت عليهما السلام باحسن لفظ ورد وسالتهما النزول عندها بلسان
فصيح وعزم صحيح فنزلا وسالتهما ان يخففا ويستريحا عندها واعجبهما
فعلها ونسي سليمان امر البستان اعجابا بكرمها وعقلها وسالاها عن
اسمها فقالت رملة وعرفتهما ان لها تعلا في ماشية لها وعرضت عليهما
الغذاء واللبن وقالت عندي اللبن الحلو واللبن الحامض والخبز الحار والخبز
البارد لان ايثاري يخالف ايثار غيري في الطعام وانا اعد له ما يوثر واعد
لغيري ما اشتهيه وقدمت لهما من كل شي من ذلك فردت لهما وقد

ذهلا من حسنها وجمالها وادبها وحسن بعلها في جميع ما جاولها واقسمت
عليهما ليا كلان وقالت لو جاز لي ان اكل معكما لفعلت والطعام بدعوا
الكرام الى نفسه فاكلا ونظر الى ما حول البيت من الشجر والضياع وغير
ذلك فاستحسنا الموضع واشرافه على ما حوله من العمارة فقال رجا لسليمان
لو امرت ببنا ديرها هنا للنصارى ومسجد للمسلمين وامرت بالندا في الناس
من احب الله ان يكون في حمى من المسلمين والنصارى فليبن دارا الى جنب
مسجد ودير للنصارى مدينه ولتعطلت الكنيسه بالدير وهذا الموضع احسن من
موضع لد واعلا ففعل ذلك وتبادر الناس من كل اوب من المسلمين
والنصارى يختطون المنازل والقصور على قدر هممهم ونعمهم
وكان سليمن خط مسجدا صغيرا ودارا للامارة لطيفه فقال له رجا
غير هذا فانها ستكون مدينه عظيمه فخط جامعا كبيرا ودارا واسعه
وهو هذا الجامع وهذه الدار المعروفه بدار الامارة ثم ان سليمان
اراد هدم الكنيسه واخذ رخامها وعمدها للجامع فدافعه رجا عن
ذلك وكتب الى عبد الملك يخبره بما فعل القسيس من عذره ومكره
وما فعله من بنا المدينه والجامع وكتب عبد الملك الى ملك الروم
وكان الاسلام في ذلك الوقت ظاهرا على الروم فانفذ ملك الروم
الى عبد الملك من دله على موضع اخرج منه عمدا لم ير مثلها في الاعتدال
والحسن واخرج معها رخاما مشقوقا وغير مشقوق ما كفى الجامع
ويقال عنه يقال انه كان في ضيعه من الداروم داروم غزه

يقال لها عمودا وكان الزمان النصارى بين ذلك ان يعملك
الروم الذهم بنقل العمد والرخام من عمودا الى الجامع
وسميت المدينه الرمله باسم المراه المقدم ذكرها واحسن سليمان
اليها والى بعلها ٥